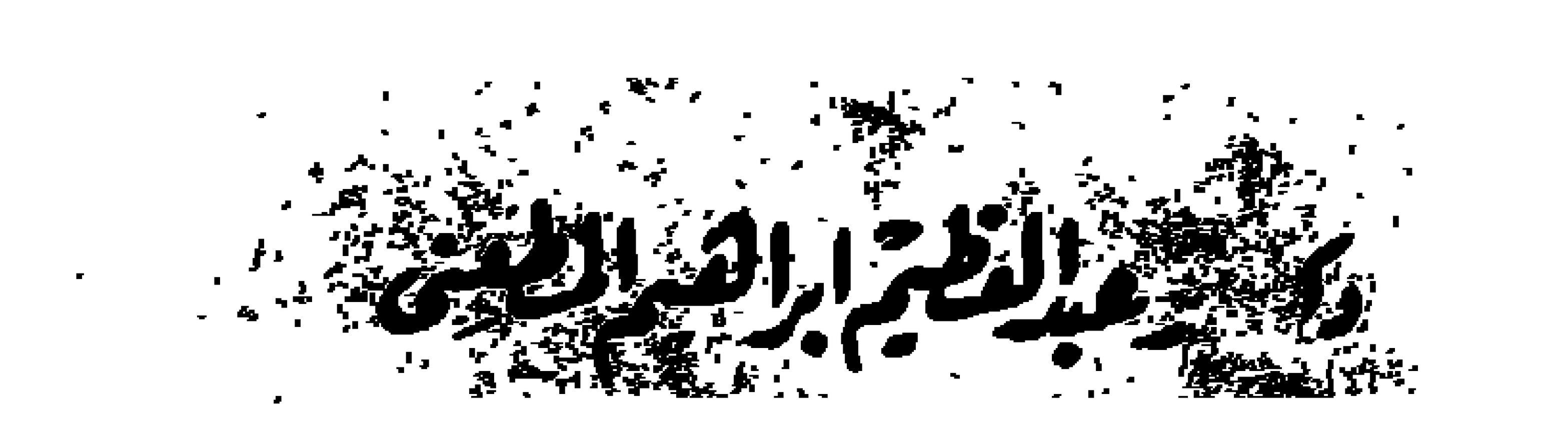

مواجهة صريحة
بين الإسلام وخصومه
د. عبد العظيم إبراهيم المطعني



مواجهة صريحة

بين الإسلام وخصومه

الطبعة الأولى

دار الأنصار
مكتبة . طباعة . نشر . توزيع
٨١ ش البستان . ناصية ش الجمهورية
أمام قسم عابدين ت ٩٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

فى أول ديسمبر سـنة ١٩٧٠ نشرت مجلة الهـلال المصرية فى عددها الثـانى عشر مقالا للانبا شنودة بابا الاسكندرية الثالث وبطريرك الكرازة المرقسية · وكان عنوان المقال :

القرآن والمسيحية

وقال فى مقدمته :

« موضوع واسع كهـذا كتبت فيه مجلدات عديدة ، ولم توفه حقه بعـد ، لست أستطيع أن أدعى بأننى سـألم بأطرافه المترامية فى صفحات قليلة كهـذه ، وانما سأعرض لبعض النقـاط المحدودة وألقى عليهـا ضوءا بسيطا نراها من خلاله ، ونترك التفاصيل لبحوث خاصة ؟ ! » ·

وقد تناول فى المقـال مجموعة من القضايا الدينية والفكرية · بعضهـا لا نختلف معـه حولها · وبعضها لا نملك مجاراته عليها لاختلافها مع عقيدة المسـلم اختلافا عميقا · ومجرد التسليم بها معناه أن المسلم يتهم مصادر العقيدة الاسلامية ، وفى مقدمتها القرآن الحكيم ، بالكذب · وهـذا هـو الكفر الصراح ؟ ! ·

على أن أغرب ما فى هـذا المقـال أن الكاتب يستشهد على صحة ما يقول مما هـو مخالف لعقيدة المسلم بآيات من القرآن الحكيم ، ونصوص من السـنة الشريفة · كما يستشهد بأقوال مفسرى القرآن الكريم فكيف يستقيم هـذا ، وعقيدة عامة النصارى ، فضـلا عن عقيدة آبائهم وكهنتهم — لا تؤمن برسالة الاسلام كتابا ورسولا ؟ ! ·

وليت الامر يقف عنـد مجرد الاستشهاد ، واذن لهان الخطب ، ولـكن الكاتب يلوى معانى النصوص ليا كريها ، ويقسرها قسرا على المراد ؟ ! ·

وأمر ثالث نلحظه فى هـذا المقال ، وهو أن الكاتب يحث عن النصوص الاسـلامية قرآنا وسـنة وأقوال مفسرين التى يمكن ، من حيث الظاهر ، تطويعها وحملهـا على مراده ، فاعتمدها واستشهد بها وترك مـا عداها من



النصوص التى تتعلق بنفس الافكار والعقائد التى أوردها فلم يقم لها شأنا ، سعيا وراء ايهام القراء بأن ما يقرره هو صحيح تؤيده مصادر العقيدة فى الاسلام • وهذا خطأ منهجي جسيم • اذ كان يجب ـ لو أراد البحث عن الحقيقة المجردة ـ أن يورد كل النصوص المتعلقة بالفكرة المدروسة ، منتهيا الى ما تنتهى اليه من « حقائق » مهما كان مؤداها • أما وقد فعل ما فعل • فان النتائج التى أوردها ليست ذات قيمة ، لخروجه على المذهب العلمى السليم فى البحث والاستنتاج ؟ ! •

فاذا كان هدف الكاتب من ذلك المقال هم بنو عقيدته فانه لم يخلص لهم النصح لاخفائه الحقيقة عنهم ؛ وان استهدف غيرهم فان عور المنهج المتخذ في ذلك المقال لا يخفى على أحد من ذلك « الغير » صحيح انه قد يترك لدى بعضهم ، وخاصة الشباب ـ ظلالا باهتة من التشيتكيك • ومن أجل هذا وضعنا هذه « المواجهة » حماية لعقيدتهم • وصونا للحق أن يضاع •

وأمر رابع نلحظه فى منهج المقال • وهو أن الكاتب يقوم أحيانا ببتر النصوص فيذكر ما يوافقه • ويهمل ما يخالفه • فقد يأخذ جزءا من آية ، ويترك جزءا آخر ، لأن الذى أخذه يمكن حمله من حيث الظاهر أيضا على تأييد مدعاه • وأما الجزء المتروك فانه يهدم ـ لو ذكره ـ ما بناه • ولذلك ترك •

وقد أثار البابا فى مقاله القضايا الآتية ، واستشهد على صحتها بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين • وتلك القضايا هى :

١ ـ ان القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الانجيل • بل هو دعا إلى الايمان بهما والعمل بمقتضاهما ؟ ! •

٢ ـ ان التوراة والانجيل لم يقع بهما تحريف • والقرآن يشهد بذلك ويحكم على من يعتقد خلاف ذلك بأنه كافر خاسر ؟ ! •

٣ ـ ان معجزات السيد المسيح ، وخاصة الخلق وعالم الغيب ، فوق مستوى البشر ـ جميعا ـ لانها ـ أى معجزات عيسى عليه السلام ـ من عمل الله نفسه •• ؟ ! • ولذلك فان عيسى قد احتل ـ فى القرآن ـ منزلة رفيعة لم يتمتع بها أحد سواه من البشر • ولو كانوا رسلا لله ؟ ! •

٤ ـ ان النصارى ـ مع اعتقادهم فى الثالوث ـ موحـــدون لا مشركون ويذكر لتأييد هـذا الادعـاء حشدا هائلا من آيات القرآن الكريم • واضـعا لها فى غير موضعها • مريدا منها ما ليس فيها ؟ ! •

هـذا ، وقد وعد الكاتب في مقـاله ذاك فى ذلك الحين (١) بصـــدور بحوث خاصة تقوم بمهمة التفصيل والبسط لهـــذه القضايا التى أوجز هـــو القول فيها نظرا لطبيعـــة ضيق المســـاحة فى مجلة الهـــلال التى نشرت ذلك المقـــال ؟ •

فما الذى حدث بعد ذلك الوعد ؟ ! •

استحالة تحريف الكتاب المقدس •• ؟ !

ان الذى حدث • هـــو واحـد من تلك « البحوث الخاصة » التى وعـــد بها البابا من منـــذ ثمـانى سنوات • انه كتـــاب ظهر بعنوان : استحالة تحريف الكتاب المقدس • أصـــدرته كنيسة الشهيدة القديسة دميانة بالهرم • ومـادة الكتاب ـ كما جـــاء فى مقدمة طبعتـــه ـ هى ثمرة الدراسات التى القيت بكنيسة الشهيدة القديسة دميانة بشارع الهرم ردا على تساؤلات شباب الكنيسة فى هـــذا الموضـــوع (٢) وقـام بتحرير مـــادة الكتاب « مهندس وهيب عزيز خليل » وأسهم فى اخراجـــه كل من : البابا شنودة والانبـــا دوماديوس أسقف الجيزة • وراجعـه الكتاب الايبودياكون الدكتور ابراهيم ســـدراك •

وقد نفذت الطبعة الاولى من هـــذا الكتاب فى أقـــل من شهر كما جاء فى مقدمته • وقام بكتابة مقدمتى الطبعتين الاولى والثانية القس مرقس حبيب •

وتاريخ صدور الطبعتين هو كالآتى :

الطبعة الاولى	الطبعة الثانية
أول توت سنة ١٦٩٤ ق	
١١ سبتمبر سنة ١٩٧٧ م	١١ سبتمبر سنة ١٩٧٨ م .

أى أن تاريخ صدورهما متحد (يوم معين من شهر معين) وأى أن (أخرى) الفارق بين صـــدور الطبعتين هـــو عـــام واحد (!) •

---

(١) أول ديسمبر سنة ١٩٧٠ (٢) مقدمة الطبعة الثانية (ص ٨) •

ويقع الكتاب فى طبعته الثانية « المزيـــدة المنقحـــة » فى ست وثلاثين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط • ويشتمل على ستة أبواب ، وهى مـع الترتيب (١) :

ولن يهمنا من هـــذا كلـه سـوى البابين الثانى والثالث اذ يكاد الكتاب كلـه أن يكون محصورا فيهما ، فقد استبد الحديث فيهما بقـــدر كبير من صفحاته (٢٥٣) صفحة من المجموع الكـــلى وهـــو (٣٣٦) صفحة والبـــاقى وهو (٧٢) صفحة موزعة على الاربعة الابواب الاخرى أى أن متوســـط الباب الواحد منها هـو (١٨) صفحة فحسب • وهـــذا معناه أن مـادة هـذا الكتاب هى مادة اسلامية •

وهـذا هـو الذى حملنا على مناقشة ما ورد فى كتـــاب « الاستحالة » لأن مخرجيه قـــد سطوا على مئـات الآيات القرآنية تصرفوا فيها بالحذف وقسروها قسرا على مرادهم ، كمـا عـدوا على معـانى النصوص القرآنيـة وفسروها تفسيرا خاضعا للهوى •

وفضـــلا عن هـــذا فان مخرجى كتاب « الاستحالة » قـــد استحدثوا نوعا من التهجم على الاســـلام ومبادئه ورسوله ، فقـاموا بعمـــل جداول بين خصائص الإسلام متمثلة فى النصوص القرآنية ، وبين المعتقدات النصرانيـة وقارنوا بينها مقارنة ظالمـــة ، رأينا من أوجب الواجبات أن نواجهها مواجهـة موضوعية الفكر بالفكر • والحجة بالحجة • والا فان السكوت فى مثـــل هـذه المواقف قـــد يؤدى الى مـــا لا تحمد عقباه •

---

(١) وقد تعددت اللقطات الزنكفرافية فى الكتاب لصفحات من الصحف السيارة وبعض المؤلفات الخاصة •

ولن نثير فى هـــذه المواجهة الا ما أثاروه هم من قضـــايا ، ولن نتعدى حـــدود الخصومة المثارة على أيـــديهم • فلسنا – فى هـــذه المواجهة – مهاجمين ، بـــل مدافعون • والدفاع – دائما – واجب مقدس لا ينكره شرع ولا عرف •

وقد قرأت منـــذ سنين طويلة موعظـــة لا بأس من ذكرها هنـــا • لأن المقـــام يقتضيها •

وخلاصتها أن نوحا عليه السلام كان يسير يوما فى طريق جبـــلى خـــال من المـــارة ، فأبصر أســـدا نائما على قارعة الطريق ، فوكزه برجلـــه فصحا الاســـد وأحـــدث فى نوح – عليه السلام – جرحـــا • فقال نوح : يـــا رب أسدك عقرنى •• ؟ واذا بـــه يسمع صوتا يقول : يـــا نوح أنت بدأته والبادىء أظـــلم •• ؟ !

وقبل أن نبـــدأ فى المناقشـــة نعرض على القـــارىء قصـــة وثيقـــة أخرى سارت فى نفس الطريق الذى ســـارت فيـــه الوثيقتان الاوليان • ظهرت فى أوائل صيف ١٩٧٨ بعنوان •••

أى الاثنين أقـــدر •• عيسى أم محمد • • ؟ !

ولـــما كانت هـــذه الوثيقة غير منسوبة لاحـــد ، بـــل قيل انها وافـــدة من داكار عن طريق البريد الاعلامى • فانهـــا أســـفرت عن وجـــه قبيح فى التهجم على رســـول الاســـلام ، ورمتـــه بكل نقيصة وحـــذرت المسلمين من الايمان بـــه ، والاعتماد عليـــه فى الخلاص من الذنوب ، وأظهرته فى مظهر المـــدعى الأفاك الـــذى ادعى النبوة وزعم أن الوحى نزل عليـــه • ؟ !

ويقولون انه لو كان صـــادقا لقـــام بمعجزات •• كيف وأنه لم يأت بمعجزات قط • ولكن بعض المسلمين يؤمنون بأنه صاحب معجزات بيـــد أن الأذكيـــاء من المسلمين يعتقدون أن المعجزات التى قـــد رددها البعض عن « محمد » صلى الله عليه وسلم – انما هى نوع من التفكير الخرافي لم يقـــم عليه دليل •

ويقولون ان « محمدا » صلى الله عليـــه وسلم مولود من بشرين أب و أم ولـــما كان البشر – جميعا – أثمين • فانه ورث عن أبويه الطبيعة الآثمة • فعاش شهوانيا تزوج عـــدة مرات • وتسبب فى قتـــل الكثير من أصحابه •

ويقولون : انه مذنب مجرم آثم ، فكيف يخلص آثمين مثله أن المخلص الوحيد للنـــاس من آثامهم وذنوبهم هو عيسى فعـــلى المسلمين أن يلتفوا حوله لينقذهم من ذنوبهم •

والمضحك ـ حقا ـ أن هـــذه الوثيقة مع اتهامها لرسول الاســـــلام صلى الله عليه وسلم بأنه مدعى نبوة لم ينزل عليـه وحى • مع هـــذا كله فانها تستشهد بآيات من القرآن الحكيم لتستدل بها على :

اولا : أن رسول الاسلام لم يقم قط بمعجزات •• ؟ !

ثانيا ـ أفضلية عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم • بل على سائر الأنبياء والمرسلين • ان أساس التدليل ، وأساس المقارنة فى هـذه الوثيقة كانت آيات القرآن • بها ذموا من ذموا ، ومدحوا من مدحوا •

وبها نفوا ما نفوا ، وأثبتوا ما أثبتوا مع أنهم يدعون أن محمدا صلى الله عليه وسلم مدعى نبوة ولم ينزل عليه •

فكان الحرى بهم أن لا يعتمدوا على القرآن فى اثبات مدعياتهم • والا فان استشهادهم به دليل على ضعف ما لديهم من براهين ، أو قـل انعدامهـــا البتـــة •

فها هم قد دخلوا المعركة بسلاح عدوهم • ولو كان لديهم سلاح خـاص بهم ـ يضمنون به النصر ـ لاستعملوه • ولكننا نقول لهؤلاء ولهؤلاء أن أصحاب هذا السلاح قادرون على استرداده ممن استلبه • وهم أقدر على « استعماله » واحراز النصر به • لانه سلاح لم تسبق له هزيمة قط • ان المسـلمين قـد ينهزمون عسكريا ، ولكن الاسلام لن يهزم « فكريا » بل هو قادر على مواجهة كل النظم والشرائع ، لان الاسلام ليس ـ دائما ـ هو المسلمين •

منهجنا فى هذه المواجهة :

ونوضح للقارىء ـ ابتداء ـ الاصول المنهجية التى نـدير عليها شـأن هذه المواجهة وهى :

١ ـ نصوص القرآن الحكيم والمصادر الاسلامية الاخرى • ولا يقلـــل فى هذا كون من نحاورهم مختلفين معنا فى العقيدة •• فهـــم قـــد بدأوا فى الاستدلال وكفونا مؤنة المخاطرة •

٢ ـ نصوص الكتاب المقدس بعهديه . وهذا أمر مسلم . بيد أن الذى أحب أن يستشعره القارىء ، وهو يطالع هذا الكتاب أننا حين نـذكر نصـا من نصوص الكتاب المقدس بعهديه لا نقصد أكثر من الاحتجاج به على قـوم هم بـه مؤمنون مع مـا لنا من تحفظات سنعفى أنفسنا من ذكرها الا عنـد الضرورة .

٣ ـ واقعنا وواقعهم . فان الواقع ظل المبدأ وبه يكون وسوف نتخذ من هذا الواقع ـ سواء لدينا أو لديهم ـ مبـدأ للحوار فى بعض القضـايا والمواقف ـ كما سنرى ـ وليس فى كل موقف من هذه المواجهة .

٤ ـ العقل . وهو قاسم مشترك بين طرفى كل نزاع ، عندما يكـون موضوع النزاع واحدا من العقليات . ولا ريب أن بعض القضايا المثـارة فى تلك الوثائق الثلاث يدخل فى مجال العقل من أوسع الأبواب .

والله نسأل أن يجمعنا على الهدى . وأن يجنبنا مزالق الهلاك والردى . إنه سميع مجيب .

المؤلف

القسم الأول

وثيقة البابا المنشورة بمجلة الهلال

عرض ونقـد

قلنا ان البابا قد أثار عدة قضايا في مقاله المشار اليه في مقدمة هـذه المواجهة • وانه جعل المعول عليه في الاستشهاد هو القرآن الكريم ولما كانت تلك القضايا تختلف مع ما يعتقده المسلم ، فان اقامة الدليل عليها من المصادر الاسلامية ، وعلى رأسها القرآن العظيم ، تعنى فيما تعنى واحدا من أمرين :

احدهما اما أن القرآن ـ دستور الاسلام ـ يدعو الى الشيء وضـده ويجعلهما في درجة واحدة من الصحة والاعتقاد •

وثانيهما : ان كثيرا من العقائد التي يؤمن بها المسلم من أوثق مصادر الاسلام تصبح « باطلة » ما دام المخالف قد أقام الدليل من القرآن نفسه على صحة ما هو مؤمن به مما يخالف العقائد الاسلامية •

وكلا الأمرين خطأ وخطر ، ينبغي التصدى لهما الحجة بالحجة ، والبرهان بمثله والذى يهمنا مما ذكره البابا عدة امور •

أولا : ادعاؤه صحة ايمان النصارى مع انكارهم للايمان بالاسلام ؟ ! •

ثانيا : ادعاؤه سلامة التوراة والانجيـل من التحريف • وأن من يؤمن بأنهما محرفان فهو كافر خاسر ؟! • •

ثالثا : ادعاؤه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الانجيل • وأن القـرآن يدعو الى العمل بهما ، فان لم يعملوا بهما فهم ليسوا على شيء • • ؟ !

رابعا : ادعاؤه أن عيسى عليه السلام له منزلة رفيعة في القـرآن ترفعه فوق مستوى البشر • ولم يتمتع بها أحد غيره • • ؟!

خامسا : ادعاؤه ان عقيدة « التثليث » التي يؤمن بها النصارى ، لا تختلف عن عقيدة « التوحيد » عند المسلمين • ؟ !

ولولا أن البابا قد استشهد على هذه « العقائد » من القرآن الحكيم لما كلفنا أنفسنا كتابة سطر واحد في الرد عليها • فالناس أحرار فيما يعتقدون • وانما اضطررنا لمواجهتها هنا دفاعا عن عقائدنا وردا لاعتبـار النصوص الاسلامية التي استكرهت على غير المراد منها استكراهـا غـير محمود • والسكوت على هـذا الاستكراه يوحى لشـبابنا أن مـا يدعيه مخالفـو الاسلام صحيح وهـذه هي الكارثة التي لا تبقى ولا تـذر •

من أجل هذا • وهذا وحده ، نضع هذه المواجهة للدفع وليس للهجوم والله يهدينا الى سواء السبيل ، ولنبدأ عملنـا مستهدين بالله ربنـا ورب كل شيء •

القضية الأولى : ادعاؤه صحة ايمان النصارى مع نكران الاسلام ٠٠ ؟ !

ذهب البابا فى مقاله الى القول بصحة ايمان النصراني مع نكرانه للايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، واستشهد على صدق مدعاه بكثير من النصوص القرآنية • وها نحن أولاء نوردها نصا نصا ونرد لها اعتبارها مزيلين عنها كل زيف أو غموض • موضحين خلوها تماما مما حملها عليه البابا فى مقاله المذكور •

ومن تلك النصوص قوله تعالى :

« **٠٠ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين** » آل عمران (١١٣ ــ ١١٤) فى هذه الآية الحكيمة ثناء من الله على أمة من أهل الكتاب ، وصفها الله بالقيام وهو الاستقامة على الدين فى بعض الآراء ، ثم بتلاوة آيات الله فى الليل والناس نيام وبالسجود ، والايمان بالله واليوم الآخر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمسارعة فى الخيرات ، وكونهم من الصالحين •

وقد أغرت هذه الصفات « البابا شنودة » فانتزعها انتزاعا من كل الملابسات وحملها على أنها أوصاف للنصارى جاء بها صريح القرآن !

ثم مهد لهذا الادعاء فحذف من الآية الأولى صدرها ، وهو « ليسوا سواء » موهما قارئه أن أصل الآية هكذا « **من أهل الكتاب أمة قائمة ٠٠** » ولولا أنه خشى افتضاح أمره لحذف كلمة « من » لتكون الآية هكذا « **أهل الكتاب أمة قائمة ٠٠** » لان « من » هذه لها دلالة قوية فى دحض مدعاه كما سيجىء •

وهذا الادعاء الذى ادعاه « البابا » مردود من كل الوجوه • وذلك لأن لهاتين الآيتين ارتباطا وثيقا بالآيات التى سبقتها ، وننقل للقارىء نسق الآيات كاملا ليشترك معنا فى فهم بطلان ما ادعاه البابا ، واليك ذلك النسق الحكيم :

« **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله • ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون • لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون • ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله ، وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا**

يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ـ ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة .. » **هذا هو** نسق الآيات **الحكيم** . فقد سبق على هاتين الآيتين اللتين استشهد بهما البابا ثلاث آيات هي ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ من آل عمران . استهلت الآية الأولى منها بقوله تعالى مخاطبا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : « **كنتم خير أمة اخرجت للناس** » ثم بين خصائص هذه الامة وهي الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والايمان بالله ثم أردف على هذا قوله تعالى :

« ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ثم بين في الآية رقم (١١٢) سوء حال أهل الكتاب ، وقبح جرائمهم . فأوضح أن الذلة قد لازمتهم ، والمسكنة قد شملتهم بسبب كفرهم بآيات الله ، وقتلهم انبياءه بغير حق ، وعصيانهم لله ، واعتدائهم على حرماته .

هذه أحكام عامة جرت على أهل الكتاب . فهذا شأنهم ، والمراد منهم هنا هم اليهود خاصة ؟ لانهم كانوا يعايشون المسلمين في المدينة . وسورة آل عمران نفسها مدنية .

بيد أن هناك جماعة منهم قد أسلموا وأطاعوا الله ورسوله وهم على ما ذكر المفسرون :

« اخرج أبو اسحق والطبراني ، والبيهقي ، وغيرهم عن ابن عباس قال : لما أسلم عبدالله بن سلام ، وثعلبة بن شعبة ، وأسيد بن شعبة ، وأسيد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ، ورغبوا في الاسلام . قالت أحبار يهود ، وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد وتبعه الا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ورغبوا في غيره فأنزل الله تعالى في ذلك : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ... » الى قوله سبحانه وتعالى : « وأولئك من الصالحين » فالامة التى يصفها القرآن هنا هم من أسلم منهم وحسن اسلامه وليس المراد وصف أهل الكتاب عامة (١) .

---

(١) تفسير روح المعانى الألوسي (حـ ٤ ص ٣٢) والفخر الرازى (حـ ٨ ص ١٨٧) والكشاف للزمخشرى (حـ ١ ص ٤٥٦) والقرطبى (حـ ٤ ص ١٧٥) والنسفى (حـ ١ ص ١٧٦) وأسباب النزول للواحدى (ص ٦٨) .

وقد نقل الواحدى فى أسباب النزول اشتراك مقاتل مع ابن عباس فى هذه الرواية .

وعلى هذا فان الآية قد أخرجت من أسلموا من اليهود ، والنصارى من تلك الأوصاف العامة التى هى شأن أهل الكتاب . وبينت أن أهل الكتـاب ليسوا كلهم مستوين . فمن بقى منهم على كفره بمحمد صلى الله عليه وسلم فحاله هو ما تحدثت عنه الآية المتقدمة « ضربت عليهم الذلة .. » ومن أسلم منهم فحاله هو ما تحدثت عنه الآيتان : « من أهل الكتـاب أمة قائمة .. » و « يؤمنون بالله واليوم الآخر .. » وهما اللتان أراد البابا تسخيرهما لصدق مدعاه .. ؟ !

وسياق الآيات نفسه يبين الى أى حد بلغ استخفاف « البابا » بحرمة النص والتهجم المكشوف عليه . ومن ذلك قوله تعالى :

« ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم » فكيف يستقيم أن ينفى عنهم الايمان وهم على حالهم من نكران رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يعود فيثبت لهم ذلك الايمان المنفى عنهم وهم باقون على نكرانهم لم يتحولو عنه ؟ ؟

هذه واحدة . والثانية :

ان قوله تعالى « من أهل الكتاب أمة قائمـة يتلون آيات اللـه . . . » فكلمة « من » تفيد « البعضية » ولا تفيد « العموم » وتلك البعضية تحققت بالذين خرجوا من عقيدة اليهود ، والنصارى باسلامهم وايمانهم برسل اللـه جميعا ولم يفرقوا بين أحد منهم ، وتلك هى عقيدة المسلمين .

هذه هى الثانية ، والثالثة :

ان فاصلة الآية الكريمة جاء على هذا السياق « وهم يسجدون » فهـل فى صلاة اليهود والنصارى سجود كما هو فى صلاة المسلمين ؟ !

ان هذه الدلائل جميعا تؤكد بوضوح لدى المسلم وغير المسلم أن الآيتين اللتين استشهد بهما « البابا » على صدق مدعاه بعيدتان كل البعد عما أراده منهما فبقيت دعواه وهما من الأوهام .

ويستشهد « البابا » بقوله تعالى :

« الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ، أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » البقرة (١٢١) ٠

وهدف « البابا » من ذكر هذه الآية ـ كما أفصح عنه كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » كما سيأتي ـ هو أن المراد من الكتاب هو الكتاب المقدس ٠ وعلى هـذا فان المراد من « الـذين آتيناهم الكتـاب » هم النصارى ٠ فهم يتلونه حق تلاوته ، ويؤمنون به ، ومن لم يؤمن به سليما غير محرف ، وهم المسلمون ، فهم الخاسرون الكافرون ؟٠!

فقد ورد فى كتاب : « الاستحالة » ما يأتى تعليقا على هذه الآية الكريمة : « كما يؤكد القرآن ما سبق الاشارة اليه من أن الذين لا يؤمنون بالكتـاب المقدس يكون **خاسرون** (هكذا برفع المنصوب !) فكيف يكونون خاسرين اذا كان الكتاب المقدس محرفا » (١) ٠

هذه هى دعواهم فهل لها وجه من الصحة ؟ !

جاء فى التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ما يأتى :

« المراد بالذين آتيناهم الكتاب » من هم ؟ فيه قولان :

القول الاول : انهم المؤمنون الذين آتاهم الله القرآن ٠ واحتجوا عليـه من وجوه (أحدها) أن قوله « يتلونه حق تلاوته » حث وترغيب فى تلاوة هذا الكتاب ، ومـدح على تلك التلاوة ، والكتاب الـذى هـذا شأنه هـو القرآن **لا التوارة ولا الانجيل** ، فان قراءتهما غير جـائزة (وثانيها) أن قوله تعالى : « أولئك يؤمنون به » يدل على أن الايمان مقصور عليهم ، ولو كان المراد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لـما كان كذلك ٠ (وثالثها) قوله : « ومن يكفر بـه فأولئك هم الخاسرون » والكتـاب الـذى يليق بـه هذا الوصف هـو القرآن ٠

القول الثـانى : أن المـراد بالذين آتيناهم الكتـاب هم الذين آمنـوا بالرسول من اليهود ٠ والدليـل عليـه تقـدم ذكرهم ٠٠٠ فلما ذم طريقتهم ـ يقصد وصفهم فى قوله تعـالى : « ولن ترضى عنك **اليهود ولا النصـارى** حتى تتبع ملتهم » ـ وحـكى سوء أفعالهم أتبع ذلك يمـدح من ترك طريقتهم بـل تأمـل التوراةوترك تحريفها وعرف منها صـحة نبوة محمد عليـه السلام » (٢) ٠

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس (ص ٦٣) ط ثانية ٠

(٢) تفسير الرازى (حـ ٤ ص٣٢) ٠

ونقل القرطبي في تفسيره الرأيين : عزا الاول الى قتادة القائل بأن الذين أتيناهم الكتاب هم أصحاب الرسول عليه السلام ، وعزا الثاني الى ابن زيد القائل بأنهم هم الذين اسلموا من اليهود (١) .

ويقول الامام الزمخشري في كشافة :

« الذين آتيناهم الكتاب » هم مؤمنوا أهل الكتاب « يتلونه حق تلاوته » لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولئك يؤمنون به » بكتابهم دون المحرفين « ومن يكفر به » من المحرفين « فأولئك هم الخاسرون » حيث اشتروا الضلالة بالهدى » (٢) .

وعلى هذا فان المراد من « الكتاب » عند الزمخشري هو التوارة والانجيل حالة كونهما مصونين من التحريف مشتملين على البشارة برسول الله - محمد - صلى الله عليه وسلم ، والايمان بالتوارة والانجيل بهذا الشرط متضمن للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وكل الرسل .

أما الامام الالوسي فيرى - مثل غيره - أن المراد بالذين أتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى استثناء لهم ممن بقى على الكفر منهم المشار اليهم بقوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

ويجوز في الوقت نفسه أن يكون المراد منهم هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرأى يتردد كثيرا عند المفسرين ، كما جوز أن يكون المراد هم جميع الانبياء والرسل وهذا الرأى انفرد به الامام الالوسي فيما أعلم .

أما المراد من الكتاب عنده فهو الكتاب المنزل على موسى « التوارة » والمنزل على عيسى عليهما السلام « الانجيل » على الرأى الاول . وعلى الرأى الثاني المراد منه القرآن وعلى الرأى الثالث المراد منه جميع الكتب المنزلة (٣) .

---

(١) تفسير القرطبي (حـ ٢ ص ٩٥) وانظر معه تفسير النسفي (حـ ١ ص ٧٢) .

(٢) الكشاف (حـ ١ ص ٣٠٨) .

(٣) روح المعاني للامام الالوسي (ط ١ ص ٣٧٢ وما بعدها) .

وبناء على كل مــا تقـدم فليس للبـــابا أيـة حجـــة يفيـد منها فى هــذه الآية ، وذلك لان :

أولا ـ اذا كان المقصود منها أهـــل الكتاب من اليهـود والنصـارى ، والمقصود من الكتاب فيهـا التـوارة والانجيـل فان شرط امتداحهمـا كـون الكتاب مصونا من التحريف كما أنزله الله ، وكونهم مؤمنين بـــه على تلك الصفة ، وهى تقتضى ضرورة الايمان برسول الله ـ محمد ـ صـــلى الله عليه وسـلم ، وايمانهم بهما (التوارة والانجيـــل) مجردا عن تلـك الصنـــفة لا اعتبار له .

ثانيا ـ واذا كان المراد من الكتاب القرآن الكريم ، والمراد من الــذين أوتوه هم أصحاب محمد صلى اللـه عليـه وسلم فما أبعد الآية عمـا أراده منها البـــابا . ؟ !

ثالثا ـ وحتى لو كان المراد من الذين أوتوا الكتاب هم الرســل جميعا ، وهو رأى بعيـــد كما نص على ذلك الالوسى نفســـه ، فالآية أوغــل فى البعد من مقصود البـــابا وهـــذا أمر لا يحتاج الى توضيح . فبقيت دعواه معراة من كل دليل أو حتى شبه دليل .

ثم يقول البـــابا بعد ذلك « بل أكثر من هـــذا وضع القرآن النصارى فى مركز الافتـاء فى الدين ؟ ! ثـم يستشهد على هـذه الدعوى بآيتين من القرآن الكريم ، **احداهما** قوله تعالى :

« فان كنت في شـك مما أنزلنا اليك فاسـأل الذين يقرأون الكتـاب من قبلك لقـــد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » يونس (٩٤) .

وقد استهدف البــابا من سوق هـذه الآية أن يقول : ان اليهـــود والنصـــارى كانوا « معلمين » لرســـول الاســلام ، وقـد أفصح كتـاب « الاستحالة » أن هـــذه الآية تـدل على أن النصارى بكتابهم « المقـــدس » كانوا مصدرا للوحى وللرسالات والشرائع السماوية (١) ؟ ! .

وليس الامر كما توهم البــابا وأتباعه ، ولـــكى لا يكون عند القارىء

---

(١) انظر (ص ٦٠) منه

ريب فى دفع هـذا التهجم على هـذا النص الحكيم ننقل ما قاله المفسرون فى توجيـه هـذه الآية ثم نتبعه بدليل آخر يدفع هـذه الشبهة دفعـا فلا يبقى لها على أثر حتى عند متوهميها ومتولى كبرها • والدليل الذى سوف نسوقه أمـام القارىء مستمد من القرآن نفسـه • ولنبدأ ـ الآن بمـا قاله المفسرون :

فالامام القرطبى يذهب الى أن الخطـاب فى الآية للنبى والمراد غيره ، وينقـل عن أبى عمرو محمد بن عبد الواحد أنه قال : سمعت الامامين ثعلبـا والمبرد يقولان : « فان كنت فى شك » أى قـل يا محمد للكافر فان كنت فى شـك •• فاسأل الذين يقرأون الكتاب •• » والمراد بالكافر ـ هنـا ـ عبدة الاوثـان • وهـذا الرأى يبدو عليه أثر الضعف فى الواقع ؟ كمـا ذهب الى القـول بأن الخطـاب فى ظـاهره وباطنـه للنبى عليـه السلام ، والمعنى عليه : لو كنت يلحقك شـك فيما أخبرناك فاسأل •• وفسر الشك بضيق الصـدر من عنـاء الدعوة والمسئول عنـه هـو ـ كما يرى القرطبى : ما لقيه الرسـل السابقون من عناء قابلوه بالصبر ؟ كمـا ينقل رأيا آخر هـو أقرب الى الاعتقاد مؤداه : أن الفـاء مع حروف الشرط لا تثبت الفعل ولا توجبـه • ثم قال والدليل عليه ما روى عنـه صلى الله عليه وسلم أنـه قال لمـا نزلت هـذه الآية « والله لا أشك (١) » •

وهـذا الذى رواه أخيرا ورد عند بعض المفسرين مع زيادة « ولا أسأل بـل أشهد أنـه الحق » (٢) •

أما الامام الفخر الرازى فيفيض فى توجيه الآية على طريقتـه فى التحليل المسهب وها نحن أولاء نعرض ما قاله فى ايجاز وتصرف غير مخل •

قال : وفى الآية مسائل :

المسألة الثانية (٣) : اختلف المفسرون فى أن المخاطب بهـذا الخطـاب من هو ؟ فقيل النبى عليه السـلام ، وقيـل غيره • أمـا من قال بالأول فاختلفوا على وجوه :

---

(١) تفسير القرطبى (حـ ٨ ص ٣٨٢) •
(٢) الكشاف (حـ ص ٢٥٣) والنفى (حـ ٢ ص ١٧٦) وروح المعانى للالوسى (حـ ١١ ص ١٩٠) •
(٣) أهملنا المسألة الأولى لانها بحث لغوى فى معنى الشك لا ضرورة لـه هنـا •

الوجه الاول : أن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام فى الظاهر والمراد غيره ، كقوله تعالى « يا أيها النبى اتق ولا تطع الكافرين والمنافقين ». وقوله « لئن اشركت ليحبطن عملك » ويحتج الرازى لهذا الوجه بقوله تعالى فى آخر السورة : « قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله .. » فبين أن المذكور فى الآية الأولى على سبيل الرمز ، هم المذكورون فى هذه الآية على سبيل التصريح .

وينفى الامام الرازى أن يكون الشك حاصلا بالفعل للرسول عليه السلام فيقول : « ولو كان النبى شاكا فى نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك بأخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم فى الاكثر كفار ، .. ». وقد تقرر أن ما فى أيديهم من التوارة والانجيل فالكل مصحف محرف . فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وان كان فى الظاهر مع الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن المراد هو الامة ، ومثل هذا معتاد ». ثم يقول موجها الآية على رأى من قال ان المخاطب غير الرسول فى الحقيقة دون الظاهر :

واما الوجه الثانى : فتقريره أن الناس فى زمانه كانوا ثلاثة أقسام : المصدقون به ، والمكذبون له ، والمتوقفون فى أمره الشاكون فيه ، فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال : ان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته ... ثم حذره — أى الشاك — أن يكون من الفريق المكذب بالنبوة فقال : « ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين » (١).

وعلى كلا الرأيين فان الآية تخلو مما يريده البابا وشيعته . وسيأتى توضيح آخر لهذا المعنى .

ويقول الامام النسفى : « لما قدم ذكر بنى اسرائيل ... ووصفهم بأن العلم قد جاءهم (٢) لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى التوارة والانجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم يبالغ فى ذلك .

---

(١) التفسير الكبير للرازى (حـ ١٧ ص ١٦٠) .

(٢) يقصد قوله تعالى قبل آية الشك « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » ..

فقال : فان وقع لك شك ـ فرضا وتقديرا ـ فسل علماء أهل الكتاب فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه » (١)

والى مثل هذا الرأى يذهب الامام الالوسى • فالخطاب ـ عنده ـ للرسول عليه السلام لفظا وقصدا • ولكن الشك فرضى تقديرى ـ كما يقول الامام النسفى ـ والمقصود من هذه الآية التعريض بأهل الكتاب وتوبيخهم على ترك الايمان ، لأن ما بأيديهم من كتب تشهد بصحة نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنهم من حقدهم على صاحب الرسالة كتموا ما لديهم من شهادة الحق • يقول الالوسى بعد بيان هذا : « وليس الغرض امكان وقوع الشك له صلى الله عليه وسلم أصلا ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حين جاءته هذه الآية على ما أخرج عبد الرازق وابن جرير عن قتادة « لا أشك ولا أسأل » (٢) هذه خلاصة أمينة وافية لآراء خمسة من كبار المفسرين ، وكلها ـ كما ترى ـ بعيدة كل البعد عما أراد البابا وأشياعه حمل الآية عليه • على أننا أهملنا رأى من يقول منهم بأن المراد من « الذين يقرأون الكتاب من قبلك » هم من آمن وأسلم منهم ، لاننا رأينا فى روح المعانى للالوسى (٣) نقدا وجيها يدفع هذا الرأى وهو أن سورة يونس التى تضمنت هذه الآية مكية النزول ، وعبد الله بن سلام ومن أسلم معه من اليهود انما كان اسلامهم بالمدينة فلا وجه لحمل الآية عليهم ، وهذا نقد صائب كما ترى •

أما الدليل الذى كنا قد وعدنا به ـ وقد كنت أظن قبلا أن أحدا لم يهتد اليه ، ثم سررت أيما سرور حين رأيت الامام الألوسى ينص عليه فى تفسيره فحاصله :

ان فى القرآن الكريم نصوصا كثيرة خوطب بها صلى الله عليه وسلم تفيد فى ظاهرها أنه لو حدث منه أمر ـ شرط ـ أو استقر لديه ، لترتب عليه أمر آخر ـ مشروط ـ منه هو نفسه ، أو من الله • والواقع أن الله يعلم أن ذلك الامر ـ الشرط ـ لن يقع منه صلى الله عليه وسلم أو يستقر لديه • فالمشروط ـ كذلك لن يقع (٣) •

---

(١) تفسير النسفى (٢ ص ١٧٦) •
(٢) تفسير الالوسى (حـ ١١ ص ١٩٠) •
(٣) ليس فى الالوسى هذا التفصيل وانما الذى جاء فيه لمحة عابرة الى هذا المعنى •

وقـــد أشـار الالوسى الى الشق الاول من هـــذا النهج ببعض آية ، ونحن نذكرها بتمامها ليكون المراد أبين ٠ وهى قوله تعالى :

« وأن كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقـــا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية (!) ولو شـــاء الله لجمعهم على الهـدى فلا تكونن من الجاهلين » (١) ٠

اننا نعلم أن الرسول عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه ، يحزنه اعراضهم لأنـــه يعلم لهم من الخير ما لا يعلمون ٠ فأراد اللـــه أن يسرى عن رسوله ويخفف عنـــه وطـأة صدورهم فقال له : ان كان اعراضهم قــد ثقل عليك لانك حريص على هداهم ــ وهـــذا الثقل حاصل عنـده صلى الله عليه وسلم ــ :فرتب الله عليه شرطا وجزاء وهـــو يعـلم أن كليهمـا لا سبيل اليه ، فقال لرسوله أن استطعت أن تتخذ سربا فى الارض غائصا فيها الى الاعماق ، أو استطعت أن تتخذ لك سلما تصـعد على درجـة الى أعلى الآفـاق بحثا عن آية تأتيهم بهـــا من قبلك ليؤمنوا الايمان الذى تحرص عليه منهم فافعل (٢) فالله يعلم أن محمدا لا يستطيع من تلقـاء نفســه أن يتخذ النفق او السلم ٠ فالشرط ممتنع وكذلك الجزاء ٠

والسر البيانى لهـذا الاسلوب ــ والله أعلم ــ أن يعـــلم الله رسوله أنـه لو بـذل فى سبيل ايمانهم كل مـا يستطيع وفوق مـا يستطيع فلن يؤمنوا ٠ فعلا الحزن ــ اذن ــ والاتيان بالآيات وعدمه عند هؤلاء سواء ٠ ؟

ونظير هـــذا قوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهـــذا الحديث أسفا » الكهف (٦) ٠

ومثل آيـة الانعام فى انتفـاء الشرط والجزاء قوله تعالى :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قـــل ان هـدى الله هـو الهـدى ولئن اتبعت أهواءهم بعـد الـذى جـاءك من العلم (٣) مالك من الله من ولى ولا نصير » البقرة (١٢٠) ٠

---

(١) الانعام (٣٥) ٠

(٢) يلاحظ أن جزاء الشرط فى الآية محذوف لظهوره من ســـياق الكلام وقـد قـدره القرطبى بقوله « فافعل » وعنـه نقلناها أنظر تفسيره (جـ ٦ ص ٤١٧) ٠

(٣) هذا جواب القسم لخلوه من الفـاء ساد مسد جواب الشرط لقول ربنا مالك : واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت ٠

فاتباع أهواء اليهود والنصارى من قبل الرسول عليه السلام ممتنع ، وكذلك امتنع ـ تبعا له ـ تخلى الله عن رسوله ، فقد كان له ـ دائما ـ منه ولى ونصير •

والسر البيانى ـ فيما أرى ـ هو شناعة هذا الاتباع وأن الله يتخلى عمن يفعله ولو كان رسولا •

وهذا منهج معروف فى التقويم والتربية حتى أن الرسول عليه السلام قد لجأ اليه فى بعض المواقف حين توسط لديه بعض أصحابه فى العفو عن امرأة من شريفات القوم سرقت وهم عليه السلام بقطع يدها • قال للوسيط : والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » •

فبين للناس جلال الحق الذى يؤمن به واستواء الناس أمامه فى اقراره وتنفيذه حتى يقطع مطمع كل طامع فى مثله ، وهو عليه السلام لا يتوقع أن فاطمة تسرق ، فلا يقطع يدها ؟ • ولكنه الاصرار على جلال الحق وانقاذه ولو وقع المحال •

أما الشق الثانى من المنهج المشار اليه ، وهو أن يستقر لدى الرسول أمر ، ثم يترتب عليه أمر آخر ، وكلاهما منفيان فقد استشهد عليه الامام الألوسى بقوله تعالى :

« قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » الزخرف (٨١) •

وللمفسرين فى توجيه هذه الآية مذاهب ، نقتصر ما يدخل فى منهجنا منها وهو أن المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين يدعون أن لله ولدا ، لو ثبت أنه له ولد فأنا أول من يعبده ولده لانى أعلم منكم بما يجب لله من تعظيم ، ولكن لم يثبت أن لله ولدا ، فأنا أعبد الله موحدا له عن الشريك ، ومنزها له عن الولد والصاحبة (١) وللامام الزمخشرى فى توجيه الآية كلام قيم نورده بنصه قال بعد أن ذكر الآية :

« قل ان كان للرحمن ولد » وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه ،..

---

(١) فى هذه الصياغة تصرف غير مخل ، أنظر ـ ان شئت ـ تفسير القرطبى (حـ ١٦ ص ١٢٠)

وحجة واضحة تدلون بها « فأنا أول » من يعظم ذلك الولد ، وأسبقكم الى طاعته ، والانقياد له ، كما يعظم الرجل ولد الملك العظيم أبيه » ٠

ثم يقول :

« وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض هو المبالغة فى نفس الولد والاطناب فيه ، وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه فى باب التوحيد ٠ وذلك لانه علق العبادة بكينونة الولد ، وهى محال فى نفسها ، فكان المعلق بها محالا مثلها ٠ فهو فى صورة اثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها » ٠

ثم يقول : ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له : أما والله لابدلنك نارا تلظى ٠ (قال سعيد) لو عرفت أن هذا لك ما عبدت الها غيرك (١) » ؟ ! يتهكم به ٠

وحاصل كلام الزمخشرى هو أن كينونة ثبوت الولد ، وحصول العبادة المرتبة عليها جاءتا فى صورة الاثبات لفظا ٠ مرادا به النفى معنى ٠ وهذا ما يسمى بالتوصل الى نفى الامر عن طريق اثباته ، وهو من أبلغ أساليب النفى وأقواها يفحم بها الخصم فلا يبقى لديه ما يقول ٠

ويقوى هذا المعنى ما نصل عليه فى شروح التلخيص (٢) من أن الاصل فى أن الشرطية أن يكون شرطها وجزاؤها فعلين مستقبلين ، فان كانا ماضيين أو كان الجزاء جملة اسمية خرج الى المعنى الى التعريض بغير المخاطب ٠ وطبقوا ــ أى شراح التلخيص ٠٠٠ هذه النظرية على قوله تعالى : « لأن أشركت ليحبطن عملك » لان ان الاصل فيها الدخول على الممكن ، ووقوع الشرك من النبى عليه السلام محال شرعا فنزل منزلة المحال العقلى ، فاذا علم عليه السلام عدمه الشرك من نفسه علم أن المراد بهذا الوعيد هو غيره ممن يجوز منه وقوع الشرك ٠

والآية التى استشهد بها البابا فعل الشرط فيها ماض « فان كنت » وجزاؤه امر ، « فاسأل » والاصل فيها أن يكونا مضارعين ٠ ووقوع الشك منه عليه السلام محال ، لأنه لو شك هل هو رسول أم غير رسول

---

(١) أنظر الكشاف (حـ ٣ ص ٤٩٧) (٢) (حـ ٣ ص ٦١ وما بعدها) ٠

لبطلت الشريعة بالكلية ـ كما يقول الفخر الرازى (١) ـ وليس أهـــل الكتاب بأوثق عنده الله حتى يزيلوا شـكه لو وقع وعلى هــذا فان المراد من الآية الكريمة هى التعريض بأهـــل الكتاب ، وحثهم على أن يظهروا مـــا كتموا من العلم بصحة نبوته ، وتسجيل عليهم فى حـــالة استمرارهم على الكتمـــان بقباحة صنيعهم واصرارهم على الكفر ، مع فضح أمرهم عند الناس واظهـــار كفرهم بما فى أيديهم من التوارة والانجيل ، حيث أنهم يؤمنون ببعضهما وهـو ما وافق هواهم ، ويكفرون ببعضها الآخر ، وهو مـا لم يوافق هواهم ، ومنـه الاقرار بوحدانية الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ٠

ومصداق هـــذا قوله تعالى : « ولان أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، ومـــا أنت بتابع قلبتهم ، ومـــا بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد مـــا جـــاءك من العلم ، انك اذن لمن الظالمين ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (٢) ٠

والفريق الذى يكتم الحق منهم هو من ظـل على كفره ٠ فهـل بعـد ذلك يقال ٠ أو يصـــدق اذا قيل أن أهـل الكتاب جعلهم القرآن فى مركز الافتـــاء والمشورة الدينية ، أو كان ما بقى معهم من التوارة والانجيل بعـد تحريفهما ، مصدر للوحى وأصـــل للشرائع السماوية ٠٠ ؟ ! ما أوهن هـذا القول وما أبعده عن الصواب حتى عند قائليه ؟ !

أما الآية الثانية التى استشهد بهـا البـابا فهى قوله تعالى :

« وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهـــل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٣) ٠

وسياق الآيات ـ هنا ـ يفيد أن الخطاب فى الاصـــل لمشركى مكـــة ، حيث حكى عنهم القرآن الامين قولهم : « وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم ، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون » الانبياء (٣) ٠

اعتقدوا ان الرسالة لا تجامع البشرية ، وانكروا رسالته صـــلى الله عليه وسلم بنـــاء على هـذا الاعتقاد الخاطىء ، فرد عليهم القرآن الحكيم قائلا : « وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم » أى هـم ليسوا ملائكة ، وانما بشر مثلكم ٠

---

(١) الموضع السابق من تفسيره (٢) البقرة (١٤٥ ـ ١٤٦)
(٣) الانبياء (٧) ٠

ثم قال : « فاسألوا أهــل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وفي تفسير أهــل الذكر رأيان أقواهما أنهم أهــل التوارة والانجيل ، وثانيهما أنهم اهــل القرآن وروى هــذا عن علي رضى الله عنه •

وأيا كان المسئول فان السائل هم كفار مكة ، وكثيرا ما كانوا يسألون أهــل الكتاب في أمر الرسالة والرسول صــلى الله عليه وسلم ، فأحالهم الله عليهم ليسألوهم هــل ما تجدونه في توراتكم وانجيلكم فى شــأن رسل الله أهم من الملائكة أم من البشر ؟ ! •

فالسائل كافر ـ حتى وقت السؤال ـ والمسئول مثله ما لم يسلم • اذن ينتفى ما توهم البــابا وشيعته ، فليس السائل هو النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا هو أحد من المسلمين •

ولا يخامرنا أدنى شك فى أن اليهود والنصارى المعاصرين لعصر النزول كانوا يعلمون حقيقة التوارة والانجيل على نفس الوجـه الذى أوحاهما اللـه بــه فلو صدقوا فى اجابتهم السائل لــ متهم الحجــة بصدق القرآن وهــذا ما لم يفعله الكثير منهم الا من عصــمه الله فآمن •

على أننا على استعداد أن نسلم للبابا بصحة استشهاده بهــذه الآية ولا ننازعه في شيء مما أراده ، ولكن بشرط أن يلتزم هو وشيعته بكل النتائج التى تترتب على هــذا •

فالسؤال الذى طلب القرآن أن يوجــه الى أهــل الذكر هــو : هــل رسل الله من الملائكة أم من البشر ، من عهــد آدم الى عيسى عليهم السلام • السائل يعتقد أنهم من الملائكة • وهــذا خطأ مطلوب تصحيحه • والمصحح هــم أهــل الكتاب ؟ فماذا يكون جوابهم اذن ؟ أيقولون أنهم ملائكة ، فيقعون فى نفس الخطــأ المطلوب تصحيحه ؟ واذن فليسوا هم بأهــل للافتاء ؟ أم يقولون أنهم بشر وهو المطلوب ؟

وأيا كانت الاجابة فالبابا وشيعته قد خسروا الجولة • لانهــم يعتقــدون بألوهية عيسى عليه السلام • والاجابة سواء كانت بالملائكية أو البشرية تنفى ـ فى وضوح ـ ألوهية عيسى عليه الســلام • فهو **أما ملك** ، وهو احتمال بعيــد لاستبعاد الاجابة به ـ كما تقدم ـ لانها لا تصحح الخطأ المسئول من شــأنه • **وأما بشر** وهذا هو المطلوب • ويوم يسلم البابا وشيعته بهــذا ـ ليسلم لــه استشهاده بالآيه ـ فقد ضاقت شقة الخلاف بيننا والامل فى الوفاق يكون أكبر • اما اذا رفض ، فنحن ـ وهذا من حقنا بل من واجبنا ـ نرفض صحة استشهاده فليس له فى الآية أى دليل • ! ؟

والى هنا نكتفي في مناقشة القضية الأولى ، وملحقاتها ـ التى أثارها البابا ولننتقل الآن الى القضية الثانية ، وهي :

القضية الثانية : ادعاؤه سلامة التوراة والانجيل من التحريف ؟!

وهذه القضية لا تهمنا ـ كذلك ـ الا من حيث أن البابا ، وشيعته قد اعتدوا اعتداء صارخا على نصوص القرآن الحكيم ، واتخذوا منها دليلا على صحة مدعاهم فيها . اتخذوا من هذه النصوص « مقدمات مسلمة » في نظرهم ، ثم راحوا يستخرجون منها النتيجة حسب تصورهم ليجعلوها ـ مسلمة ـ كذلك فلا ينازعهم فيها أحد . وها نحن أولاء نستعرض تلك النصوص فنرد لها اعتبارها ، ونستردها هي ممن « استلبوها » عنوة وبغير حق . متوصلين منها الى بطلان ما أدعوه في غير تجن أو مماحكه ، كما صنعوا هم . واليك أقوالهم في توجيه نصوص القرآن :

يقول البابا :

« يرى القرآن أن الانجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله » وهذا الشق لا نختلف معه فيه مع تحفظ يعلمه كل مسلم ، والآن فانظر الى ما قاله بعد هذا « .. يجب قراءته على المسيحى والمسلم وكل من آمن بالله » ؟ ! وهنا نقول للبابا : قف فالقرآن ليس فيه ذرة مما قلت اللهم الا وجوب الايمان به ولكن بحسب ما أنزله الله في حينه ، أما وجوب قراءته على من ذكرت فنرجوك أن تعلن أسفك على ادعائه والا فدلنا على الموضع الذى هو في القرآن يحتم هذا الوجوب ، والذى علمته أنت ولم يعلمه أحد سواك ؟

ثم يذكر البابا قوله تعالى :

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس » آل عمران (٣ ـ ٢٤) .

وقوله تعالى :

« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه ، وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا اليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » (١) . ويقف البابا عند هذا الحد من الآيات ، ويأبى

---

(١) المائدة (٤٦ ـ ٤٨)

أن يذكر بقية الآية الاخيرة وهى : « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » .

ثم يعلق البابا على هذه النصوص فيقول :

« وكون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب فهذا يعنى صحة التوراة والانجيل وسلامتهما من التحريف . والا فانه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقا لكتاب محرف » ؟ ثم يقول :

« وكذلك لو كان التوراة والانجيل لحقهما التحريف ما كان يأمر قائلا « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه .. » بل ما كان يصدر ـ أيضا ـ ذلك الامر « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليكم من ربكم » انتهى كلامه .

والذى حمل البابا على هذا الكلام أمور : **أحدها** أن القرآن وردت فيه هذه العبارة « مصدقا لما بين يديه » كثيرا ، ووردت فى الآيات التى ذكرها البابا أربع مرات .

وثانيها : أن القرآن امتدح كلا من التوراة والانجيل فى مواضع متعددة ومنها ما ذكره البابا .

وثالثها : الأمر بأن يحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه .

ورابعها : قوله تعالى : « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » . فتمسك البابا بهذه « العموميات » وراح يستولد ما شاء منها من النتائج كما رأينا .

(وقفة مع هذه الآيات) ..

والآن ، فلنقف مع هذه الآيات وقفة فاحصة لنتبين من خلالها أهى كما أراد منها البابا ، أم أنها تدل دلالات أخرى عليه ، وليست له ، قال الامام الرازى فى معنى « مصدقا لما بين يديه » انه مصدق لكتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما أخبروا به عن الله عز وجل ..

ويبين رضى الله عنه السر البيانى لهذا الوصف فيقول : « انه تعالى دل بذلك على صحة القرآن ، لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر

الكتب ، لانه كان ـ يعنى النبى عليه السلام ـ اميا لم يختلط بأحد من العلماء .. ولا قرأ على أحد شيئا ... لأن المباحث الالهية لا تختلف فى ذلك فهو مصدق لها فى الأخبار الواردة فى التوراة والانجيل » (١) .

والمباحث الالهية التى اتحدت فى الحديث عنها كل الكتب السماوية هل هى الآن فى التوراة والانجيل كما هى فى القرآن ؟ البابا يعلم أن البون شاسع جدا بين القرآن ، وبين الكتاب المقدس . فهل هو ما يزال يصر على موقفه من سلامة التوراة والانجيل من التحريف مع هذا التفاوت ؟ ؟

ان العبارة القرآنية « مصدقا لما بين يديه » سواء كان من الكتاب أو التوراة أو الانجيل ، فانما هى حكاية حال ماضية مراعى فيها عصر النزول والسلامة . لا باعتبار ما هما عليه الآن وبعد عصر النزول .

ويقول الامام الألوسى فى توجيه « وانزل التوراة ، والانجيل من قبل ، هدى للناس » .

« أى انزلهما ـ كذلك ـ لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم الى الحق الذى من جملته الايمان به صلى الله عليه وسلم ، واتباعه حين يبعث لما اشتملتا عليه من البشارة به والحث على طاعته عليه الصلاة والسلام ، والهداية بهما بعد نسخ أحكامهما بالقرآن انما هى من هذا الوجه لا غير . والقول بأن يهتدى بهما أيضا فيما عدا الشرائع المخصوصة من الامور التى يصدقها القرآن ليس بشىء ؟ لان الهداية اذ ذاك بالقرآن المصدق لا بهما كما لا يخفى على المنصف » (٢) .

وفحوى هذا الكلام ، أن دور التوراة والانجيل فى الهداية انتهى بنزول القرآن لانه نسخهما . والجميع مدعوون للايمان به . وحتى الأمور التى لم ينسخها القرآن من الترغيب فى الصدق والأمانة مثلا انما المرجع فيها الى القرآن لا الى التوراة ولا الى الانجيل . تلك هى سنة الله فى ارسال الرسل ، وهداية الناس .

اما آيات المائدة الثلاث ، فقد خرجها العلماء بما لا يدع للبابا وقرنائه أدنى شبهة يتمسكون بها .

---

(١) التفسير الكبير (حـ ٧ ص ١٦٢) .
(٢) روح المعانى للالوسى (حـ ٣ ص ٧٧) .

فقوله تعالى « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة » لا ينازع فيه أحد . فما جاء في الانجيل كان مصدقا لما جاء في التوراة آنذاك ، الا البعض الذى نسخه الانجيل وكان مقررا في التوراة تخفيفا على بنى اسرائيل وهذا هو ما حكاه القرآن الامين عن عيسى عليه السلام حيث جاء فيه على لسانه : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » (١) .

والذى أحله لهم هو : أكل الشحوم ، وكل ذى ظفر (٢) . وكان محرما عليهم في التوراة أما التحريف فقد حدث بعد ذلك .

وأما قوله تعالى « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه » ففيه قراءتان في الفعل « ليحكم » فقرأ الأعمش وحمزة بنصب الفعل لان « اللام » عندهما لام كى . وعلى هذه القراءة يكون المعنى « آتيناه الانجيل .. هدى وموعظة ولكى يحكم أهله بما أنزل الله فيه » .

والقراءة الثانية لجمهور القراء . وهى بجزم الفعل « وليحكم » لأن اللام عندهم لام الأمر . والمعنى عليه « ليحكم أهل الانجيل فى ذلك الوقت اما الآن فهو منسوخ . ذكر هذين الرأيين القرطبى فى تفسيره (٣) .

ويجيب الفخر الرازى على سؤال هام أورده هو حاصله : فان قيل كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن ؟

ثم قال رضى الله عنه :

قلنا الجواب عنه من وجوه :

الاول : ليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول الأصم .

والثانى : ليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه « زجر لهم عن تحريف ما فى الانجيل مثل ما فعله اليهود من اخفاء أحكام التوراة . فالمعنى بقوله

---

(١) آل عمران (٥٠) وقيل المعنى : ما حرمه علماء بنى اسرائيل من عند أنفسهم .

(٢) تفسير القرطبى (حـ ٤ ص ٩٧) .

(٣) انظر (حـ ٦ ص ٢٠٩) .

« وليحكم وليقرأ أهل الانجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذى انزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل » (١) .

ومما تمسك به البابا فى مقاله ، واشياعه فى كتاب « الاستحالة » قوله تعالى فى آيات المائدة المتقدمة :

« وأنزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمنا عليه » وخدعتهم عبارة للزمخشرى فى الكشاف جاء فيها :

« ومهيمنا عليه » ورقيبا على سائر الكتب ، لانه يشهد لها بالصحة والثبات (٢) .. وعبارة الزمخشرى لا تعنى شهادة القرآن لسلامة التوراة والانجيل من التحريف ـ كما هما عليه الآن ـ وانما تعنى أن القرآن حكى ما أنزل الله فيهما من أصول العقائد والدعوة الى التوحيد والبشارة بخاتم النبيين . وكيف يجوز على امام محقق كالزمخشرى أن يقع فى هذا الخطأ الجسيم ، وهو الذى قال بعد هذه العبارة بقليل عند تفسيره لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » (٣) « أى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر » (٤) .. ؟ !

ومن معانى هيمنة القرآن العظيم على ما سبقه من الكتب المنزلة أنه احتوى على جواهر معانيها وزاد عليها بما ليس فيها ، وصحح كثيرا مما الحقوه بها من تبديل وتغيير . وقد رأيت فى روح المعانى للألوسى ما يؤيد هذا المعنى ويقويه وكان مما قال : « يقرر اصول شرائعها ، وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة » (٥) .

ويذكر البابا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » النساء (١٣٦) .

---

(١) التفسير الكبير للرازى (حـ ٢٣ ص ٤٠) .
(٢) الكشاف (حـ ١ ص ٦١٨) .
(٣) المائدة (٥١) .
(٤) الكشاف (حـ ١ ص ٦٢٩) ؟ !
(٥) روح المعانى (حـ ٦ ص ١٥٣) .

ويقول معلقا عليها :

« وتلاحظ في هذا النص أنه قال : كتبه ولم يقل كتابه ، فيجب الايمان بجميع الكتب الالهية التي أرسلها هدى ونورا للمتقين » ؟ !

وتعليقا على هذا التعليق نقول :

اننا مؤمنون بجميع الكتب الالهية ، وبالرسل الذين أنزلت عليهم • فنحن جاهزون ومخضرمون في هذا الميدان • فعلى أهل الكتاب « يهودا ونصارى » أن يكونوا مثلنا مؤمنين بكل الكتب والرسل •

واذا كان البابا يؤمن بهذه الحقيقة التي يدعو اليها « الايمان بجميع الكتب الالهية » فلماذا لا يؤمن بالقرآن ليكون قدوة لمن سواه من النصارى. أليس القرآن كتابا الهيا مثل التوراة والانجيل والزبور ؟ اذن فيجب أن يؤمن به ليطابق القول العمل • ؟

أم يقول : انه غير الهي ؟ ليقل ما شاء فنحن لا نكره أحدا في الدين وانما الذي نقوله ، وبملء أفواهنا :

اذا كنتم تعتقدون أن القرآن كتابا الهيا فيجب أن تؤمنوا به وتذعنوا له •

واذا كنتم لا ترون أنه كتاب الهي فنرجوكم ، ونلح في الرجاء ان لا تستشهدوا به ولا تجروه على ألسنتكم ، ولا تخطوه بأقلامكم ، ولا تسطروه في منشوراتكم • وهذا أضعف الايمان •

فنحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ومما استشهد به البابا ــ كذلك ــ قوله تعالى :

« قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » المائدة (٦٨) •

وليس في هذه الآية حجة للبابا وشيعته ، بل هي حجة عليهم اذ تفيد أنهم أخفوا التوراة والانجيل المنزلين على رسوليهما موسى وعيسى عليهما السلام ، وأظهروا ما ارتضوه محرفا منهما ، بعد أن عطلوا وحي الله الحق اليهم ، ولهذا أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » والاقامة لا تكون الا للشيء المعوج ،

والاعوجاج الذى أصاب التوراة والانجيل هو تحريفهم لهما وتعطيلهم لأحكامهما . فحثهم الله على لسان رسوله لاقامتها ، ولو أقاموهما ـ تماما ـ لما وسعهم الا الايمان به صلى الله عليه وسلم .

ولكى يرى القارىء بنفسه شناعة التعدى على هذا النص أن البابا فى مقاله لم يذكر بقية الآية وهى :

« وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، فلا تأس على القوم الكافرين » .

ولعلك تدرك من مجرد قراءتك لهذه البقية « التى لم يذكرها البابا » من الآية السبب الذى حمله على اهمالها . وهو سبب واضح جدا . ؟ ! وقبل أن نترك « معركة التحريف » نضع أمام البابا سؤالين اثنين واذا صدقنا فى الاجابة . فسوف تسلم له بسلامة الكتاب المقدس من التحريف .

السؤال الأول : لقد أعلمنا القرآن الأمين أن لمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه مثلين **أحدهما** فى التوراة وهو : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

وثانيهما : فى الانجيل وهو « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وأنت ترى أن التوراة والانجيل لم يصبهما تحريف . فأرنا ـ اذن ـ هذين المثلين ؟ أين موضع الأول فى التوراة ؟ وأين موضع الثانى فى الانجيل ؟ !

السؤال الثانى : وأعلمنا القرآن أن عيسى عليه السلام قد بشر فى الانجيل برسول يأتى من بعده اسم أحمد . حيث حكى عنه القرآن الأمين : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » . الصفا (٦) .

وأنت تقول أن الانجيل لم يحرف ، فهيا ـ اذن ـ أرنا موضع هذه البشارة فى الانجيل لكى نسلم لك أن الانجيل لم يحرف ؟ فهل انت فاعل يا ترى ؟ !

فهيا حدد لنفسك موقفا : أرنا ما رجوناه أولا ترنا · فاذا أريتنا سلمنا لك ـ مبدئيا ـ بأن التوراة والانجيل لم يحرفا ، ولكن سيكون بيننا جولات من الحوار في قضايا أخرى · وإن لم ترنا لعدم وجود « مطلبنا العزيز لديكم » فلا تنتظر من القرآن أن يشهد بسلامة مصادر هي نفسها تشهد ـ بغير حق ـ بعدم سلامته واذا أصررت على أن القرآن ليس ملزما لك ·

اذن فليس من حقك أن تستشهد به على صحة مدعاك · فاما ان تلتزم به كله ، واما أن تهمله كله · ونذكرك ـ في حالة رفض الالتزام الكلى بأن مقالك اشتمل على خطأين كبيرين ، أحدهما خطأ **عقدى** حيث استشهدت بنصوص لا تؤمن انت بها ، **وثانيهما** خطأ **منهجي** ، وهو أنك فرقت بين نصوص يجمعها وصف واحد من القوة والتوثيق ، فقبلت بعضها ورفضت بعضها ، قبلت ما تصورت أنه يفيدك فى صدق مدعاك · ورفضت ما تأكدت أنه يبطل مدعاك ·· ؟ !

مع أن قواعد مناهج البحث العلمى السليم نحترم كل الوثائق المتحدة الدرجة والتى تعالج ظاهرة واحدة : تبحثها جميعها وتنتهى من بحثها ودراستها والمقابلة بينها الى الحقائق التى « تعطيها » لا التى يتصيدها الهوى ·· ؟ !

ولو كانت النصوص التى أهملتها من القرآن ، وهى تتحدث عن نفس الظواهر التى قد أثرتها في مقالك ـ تختلف عن طبيعة النصوص التى اعتمدتها ، لعذرناك ، ولما وجدنا كلمة نقد واحدة نقولها لك · ؟ !

أما وان النصوص التى أهملتها لا تختلف من حيث مصدرها ، ودرجتها مثقال ذرة عن النصوص التى اعتمدتها ، فان المنصف ، بل وغير المنصف سيردان عليك كل « نتائجك » التى انتهيت اليها ، لبطلان المنهج الذى ارتضيته أنت بل اننا لنطمع فى موافقتك لنا أنت شخصيا فيما نقوله الآن ؟ لان عور ذلك النبج لا يخفى على كل ذى نظر ·

القضية الثانية : ادعاؤه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الانجيل ·· ؟ !

يقول البابا فى مقاله المذكور : « ولم يذكر فى القرآن اطلاقا انه نسخ التوراة أو الانجيل · بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على

شيء حتي يقيموا التوراة والانجيل • (وتعميم الحكم هنـا يفيد أن البابا قد فحص القرآن كله طبعا) •

ثم يذكر قوله تعالى :

« قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما انزل الى ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم » والى هنا يقف البابا ولم يذكر بقية الآية ، وهى :

« لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » ! ـ البقرة (١٣٦) •

ثم يذكر بعدها قوله تعالى : « ••• لستم على شيء حتى تقيموا التوارة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » •

ونلاحظ أنه حذف صدر الآية وهو « قل يا أهل الكتاب لستم ••• » كما حذف عجزها وهو « وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين » المائدة (٦٨) •

ولن نقف طويلا وراء هذا الحذف المتعمد ، فسببه معروف • ففى حذف عجز آية البقرة « لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » لم يجد البابا فيه ما يفيده ، بل هو حجة عليه فعدم التفرقة بين الرسل أمر لم تسلم منه يهودية ولا نصرانية ، بله الاسلام لله •

أما حذف صدر آية المائدة « قل يا أهل الكتاب لستم ••• » فسبب حذفه عند البابا الايهام بأن الخطاب للجميع يهودا ونصارى ومسلمين ، مع أن الآية خطاب موجه الى أهل الكتاب وحدهم •

أما حذف عجز آية المائدة « وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين » •

فسبب حذفها واضح • ولو ذكرها البابا لهدمت عليه كل ما بناه فى مقاله • فهى كلمة حق ، والحق له مرارة لاذعة فى بعض الاحيان • ؟ ! (١)

---

(١) قد سبق الحديث عن هذه الآية آنفا : أنظر (ص) •

المهم • فان البابا بعد ذكره تلك النصوص ، بغد بتر ما يجب بتره منها ــ قال بالحرف الواحد :

« ان كل ما سبق ينفي بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التي ظنها البعض وهي أن القرآن نسخ التوارة والانجيل (!) من المحال ان يكون ناسخا لهما وفي نفس الوقت يدعو الى الايمان بهما ، ويحذر من اهمال ذلك » •

اقوال العلماء في آية البقرة :

يتحدث العلماء المسلمون عن آية البقرة التى استشهد بها البابا آنفا بما يزيل عنها كل لبس ــ فالامام القرطبى يذكر قوله تعالى : « قولوا آمنا بالله » ثم يردف فيقول : « خرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه » قال : « كان أهل الكتاب ــ يعنى اليهود ــ يقرآن التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها لاهل الاسلام بالعربية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم •• لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ••• » الى آخر الآية •

ثم يقول : وروى ابن عباس : جاء نفر من اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الانبياء • فنزلت الآية • فلما جاء ذكر عيسى قالوا لا نؤمن به ولا من آمن به » ؟ ! •

ونقل عن الفراء قوله فى شرح قوله تعالى : « لا نفرق بين أحد من رسله » أى لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى » (١).

وقد أورد الفخر الرازى سؤالا هاما قال فيه : فان قيل : كيف يجوز الايمان بابراهيم وموسى وعيسى مع القول بأن شرائعهم منسوخة » ؟ ! وهذا السؤال قد أومأ اليه البابا فيما نقلناه عنه آنفا ، واتخذ منه حجة على عدم النسخ •

أما اجابة الرازى ، وهو ممن استشهد بآرائهم البابا فى مقاله ، وشيعته فى كتاب الاستحالة ، فقد قال رضى الله عنه :

« نحن نؤمن بأن كل واحدة من تلك الشرائع كان حقا فى زمانه فلا يلزم منا المناقضة » (٢) •

---

(١) تفسير القرطبى (حـ ٢ ص ١٤٠) وما بعدها ، وراجع معه روح المعانى للالوسى (حـ ١ ص ٣٩٥) والكشاف للزمخشرى (حـ ١ ص ٣١٥).
(٢) التفسير الكبير للرازى (حـ ٤ ص ٨٢) •

ونحن نضيف إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة الاعلام ما نراه جديدا فى المسألة لم يذكره أحد فيما قرأت فنقول وبالله التوفيق ٠

ان هذه الآية « قولوا آمنا » لها ارتباط وثيق بالآية التى تقدمتها وهى قوله تعالى : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ٠ قل : ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » البقرة (١٣٥) ٠

وهذه الآية بينت الى أى مدى كان الاختلاف بين اليهود والنصارى وتعصب كل فريق منهم لدينه ٠ فاليهود قالوا : كونوا هودا تهتدوا ٠) أى حصروا الهداية فى ملتهم ورموا النصارى بالكفر والضلال ٠

والنصارى قالوا : بل كونوا نصارى تهتدوا ٠ فحصروا الهداية فى ملتهم ورموا اليهود بالكفر والضلال ٠

ومصداق هذا قوله تعالى حاكيا عنهما : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » البقرة (١١١) ٠

وقوله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » البقرة (١١٣) ٠

كل فريق منهم يتعصب لدينه ويكفر بما عداه ٠ وقد حمل القرآن الحكيم حملة قوية على هذا التعصب المقوت ، وحذر المسلمين أن يكونوا مثلهم ٠ ووجههم الوجه الحق قائلا لهم : « قولوا آمنا بالله ٠٠٠ » والمتأمل فى هذه الآية يجد أن الايمان الحق المقبول عند الله ، انما هو الايمان التفصيلى بما فصله الله فى كتابه ، وعدد منه فى آية البقرة هذه ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب والإسباط وموسى وعيسى عليهم السلام ٠ ثم الايمان الاجمالى بما أخبر الله عنه وقد أشار اليه سبحانه فى آية البقرة بقوله تعالى : « وما أوتى النبيون من ربهم » سواء فى ذلك من قص علينا قصصهم واسماءهم كادريس ، ويحيى واليسع ، وما طوى ذكرهم فى علمه ٠ ثم كانت فاصلة الآية « لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وهذه هى عقيدة المسلم التى يلقى الله عليها ، ولن يكون ايمان الا بهذا الايمان الشامل الذى لا تفرقه فيه ، بين رسول ورسول ، وكتاب وكتاب ؟ ٠

وقد تلا هذه الآية مباشرة قوله تعالى :

« فان آمنوا بمثل ما آمنتم بـه – أى اليهود والنصارى – فقـد اهتدوا • وان تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » البقرة (١٣٧) فلماذا ترك البابا هذه الآية •• ؟ لسنا فى حاجة الى اجابة أبدا • فانها معروفة • ! ؟

دليلان قاطعان :

وبقى لنا دليلان قاطعان على أن القرآن الحكيم قد نسخ كلا من التوراة والانجيل ، ودعا جميع الناس الى الدخول فى الاسلام مع ايتانهم التاريخى بما سبق عليه من شرائع وديانات مهدت له وأسلمت القياد اليه •

أما أحد الدليلين فقوله تعالى :

« ان الدين عند الله الاسلام » آل عمران (١٩) •

وأما ثانى الدليلين فقوله تعالى :

« ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » آل عمران (٨٥) •

فهل يروق لمنصف بعد هذا أن يدعى أن القرآن لم ينسخ ما قبله من شرائع وأديان •

واذا ادعى ، فهل يليق بمنصف مجاراته فى هذا الادعاء • الا عنادا ومكابرة ••• ؟ ! وليس معنى النسخ أن تلك الاديان كانت باطلة فى زمانها •• استغفر الله •• فهذا لم يقل بـه القرآن ، ولا أعتقده مسلم ، بل ان النسخ – يعنى – وقف العمل بها فيما عدا « العقائد » أو كل « كليات الشرائع » التى قررتها جميعا • وفيما عدا ما أقره الاسلام من « الفضائل الخلقية » كالصدق والعفة ، والانفاق فى سبيل الله • أما المعاملات والعقود ، وضروب العبادات • فان هذه كلها قد جاء الاسلام بما يصلح حياة البشرية كلها فى كل زمان ومكان • فليس الاسلام دعوة الى « ملكوت الدنيا » فحسب كما هو فى التوراة ، وليس الاسلام دعوة الى « ملكوت الآخرة » فقط ، كما هو فى الانجيل وانما الاسلام « دنيا ودين » معا • تراتيل محراب ، ونظام اجتماع ، ودستور حرب وسلم ، ومنهج انتاج ، وقواعد عقود ومبادلات • وتربية وازع وأخلاق •• الخ • ولو أن البابا وقف عند هذه الآيات

- « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوصينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب • وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم ، وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب • فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم • الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم • الله يجمع بيننا واليه المصير » الشورى (١٣ ـ ١٥) •

أقول ـ لو أن البابا وقف عند هذه الآيات ، وتأملها تأملا مجردا من كل هوى ، وسأل نفسه لماذا كان التعبير بجانب القرآن هو « أوحينا اليك » وبجانب ما انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هو « وصينا » واستفتى اللغة عن الفرق بين الفعلين « أوحى ووصى » ثم عاش مع بقية الآيات وما تقرره من حقائق • ثم تأمل هذه العبارة « آمنت بما أنزل الله من كتاب » واستفتى اللغة مرة أخرى ما الذى تفيده « من » الجارة اذا دخلت على نكرة هى فى الاصل ليست مجرورة (مرفوعة الموضع أو منصوبته) كما فى هذه العبارة ••• ولو ••• ولو ••• ولو •••

لو فعل هذا لعلم ، بل لاقر بأن الاسلام لا يعادى دينا ولا يجافى حقا • وانما يسمو بالحق ، ويحترم كل رسالات السماء ، ولكن فى حدود ما أقره خالق الكون وباعث الرسل ، ومنزل الوحى • وهو فى ذلك كله « متبع » لا مبتدع ، ولا أسير هوى • ؟ !

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدى القوم الكافرين » المائدة (٦٧) وقد بلغ الرسول ما انزل اليه من ربه ، ولقى ما لقى من جراء ذلك التبليغ ثم كانت الخاتمة التى تشهد له بأنه بلغ الرسالة الخاتمة ، وأدى الامانة الخالدة :

« •• اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » المائدة (٣) •

اللهم قد بلغ •• اللهم فاشهد •• !

القضية الرابعة : ادعاؤه أن عيسى عليه السلام له منزلة فى القرآن غير بشرية ! ؟ وبادئ ذي بدء أشهد أن البابا قد أومأ الى مقصوده « الدفين » ولم يفصح علانية • وانما جعل عباراته « الذكية » تؤدى الى المقصود لدى القارئ حتى لا يصدمه « طفرة » بغير ما يعتقد • لأن المجلة الناشرة « الهلال » يقرأها كل الناس مسلمون وغير مسلمين •

وقد قسم البابا حديثه عن عيسى عليه السلام « عبده الله ورسوله » الى خمسة أقسام :

(أ) انه دعى كلمة الله وروح منه •

(ب) ولادته المعجزية (!) •

(جـ) معجزاته العجيبة •

(د) موته ورفعه الى السماء •

(هـ) صفاته الاخرى •

ونحن لا نختلف معه رأيا أو عقيدة ــ فى هذه الامور التى عددها وانما الاختلاف يبلغ بيننا أقصى مداه حول ما استهدفه هو منها ، وما أشعرت به « تعبيراته الذكية » والذى أفصح عنه كتاب « الاستحالة » كما سنرى فيما بعد ان شاء الله •

أما الآن فسوف نقتحم « مخابئه الكلامية » التى بثها فى مقاله مغلفا لها بآيات من القرآن الحكيم ، وهى مما أراده منها براء • ؟ !

اولا : كون عيسى عليه السلام كلمة من الله وروح منه :

أورد البابا قول الله تعالى : « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » آل عمران (٤٥)

وقوله تعالى :

« انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » النساء (١٧١) واتبع هاتين الآيتين تعليقا نجتزئ منه قوله :

« وأيا كانت النتيجة فان هذين اللقبين (يعنى : كلمة الله ــ روح منه) يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره » ونحن نتحفظ على هذه العبارة الآن وسوف نعود اليها بعد قليل •

ثانيا : ولادته المعجزية :

يقول البابا : لم يقتصر الامر على كنه المسيح أو طبيعته (!) من حيث هو كلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم (وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر (١)) وانما الطريقة التي ولد بها والتي شرحها القرآن في سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة • زادها غرابة أنه يكلم الناس في المهد (آل عمران ٤٦) الامر الذي لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد (!) •

أترك هذا لتأمل القارىء لتسبح فيه روحه (٢) ؟ !

ثالثا : معجزات المسيح العجيبة :

قال البابا : « وأخص منها ما ورد في القرآن ـ غير ابراء الاكمة والابرص واحياء الموتى ـ معجزتين (فوق طاقة البشر جميعا لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء (٣)) وهما القدرة على الخلق ، وعلى معرفة الغيب • وفي ذلك يقول القرآن على لسان المسيح « انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله • وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » آل عمران (٤٩) •

ثم يقول : هنا يقف العقل لكي تتأمل الروح « لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد ، والتي هي من عمل إلله ذاته (٤)) ؟ !

رابعا : موته ورفعه الى السماء :

يقول البابا شنودة : وقد ورد في ذلك :

« واذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة •• » آل عمرا (٥٥) ثم يقول : « والمسيحية تؤمن بموت عيسى وصعوده الى السماء

---

(١) ارجو من القارىء أن يتحفظ على هذه العبارة المحصورة بين علامتين (•••) حتى نعود اليها •
(٢) ••• رجاء التحفظ على هذه العبارة المخطوطة أيضا •
(٣) وتحفظ ـ كذلك على هذه العبارة المحصورة !
(٤) وتحفظ أيضا على هذه العبارة المحصورة ؟

ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح ، ومتى حدث ذلك ، وبقى الأمر عجيبا » .

خامسا : صفات المسيح الاخرى :

يقول البابا : « من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه « وجيها فى الدنيا والآخرة » وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوا عجيبا » .

والى هنا ينتهى حديث البابا عن عيسى عليه السلام (عبد الله ورسوله) وقبل أن نرد اعتبار النصوص القرآنية التى أقحمها لتكون دليلا على صدق مدعاه « الدفين » تسأل القارىء ما الذى استهدفه البابا شنودة من تعبيراته تلك « المخبأة » والتى رجونا أن يتحفظ عليها القارىء وهى :

« مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره » .

« وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر » .

« أترك هذا لتأمل القارىء لتسبح فيه روحه » .. ؟ !

« فوق طاقة البشر جميعا لم يقم بها أحد من الانبياء » .. ؟ !

« لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد والتى هى من عمل الله ذاته » .. ؟ ! نحن بدورنا ندعو القارىء أن يتأمل هذه « العبارات المخبأة » ليصل الى كشف ما تخبئه وتخفيه .. ؟ !

ان ما استهدفه البابا من كل هذا واضح وان لم يفصح هو عنه - انه يريد أن يقول أن عيسى عليه السلام « عبد الله ورسوله » اله . رب . خالق .

هذا هو المعنى الذى سيطر على شعور الرجل وهو يكتب ما يكتب لمجلة يقرأها كل الناس !

واستند فى هذا الى أن القرآن أطلق على عيسى « كلمة الله - روح منه - وان معجزاته هى « عمل اله» وكونه مولودا لغير أب ! كما ادعى أن عيسى عليه السلام له فى القرآن مركز رفيع لم يتمتع به غيره من البشر سواء كانوا أنبياء أم من عامة الناس .

ونحن لا نحجر على أحـــد فى عقيدته فالديان موجود وكل نفس لديـنه بما كسبت رهينة ، ولـــكن الذى نرفضــــه كل الرفض أن يستخرج ذلك « الاحد » البـــاطل من الحق . فالحق دائما يؤدى الى الحق ، ولا يؤدى الى باطـــل . ولو أنه جرد دعـــاواه تلك من الاستشهاد بآيات القرآن الحكيم لما حرك لنا ساكنا ولما سكن لنـا متحركاً ، ولعزفنا عن سـطر واحـد نرد بـه عليه فيما يدعيه . نكرر هـــذا عشرات المرات . فتعال معى الآن الى معشرى القرآن الكريم نستفتهم .

معنى « كلمته » :

يقول الامام الالوسى فى تفسيره : « ومعنى كونـه « كلمة » أنه حصـل بكلمة « كن » من غير مـــادة معتادة . والى هـــذا ذهب الحسن وقتادة . وقال الغزالى قدس الله سره : لكل مولود سبب قريب وبعيـــد . فالاول المنى (مـــاء الرجـل) والثـانى قول « كن » ولـمـا دل الدليل على عـدم القريب (يعنى المنى) فى حق عيسى عليه الســلام اضافة الى البعيد ، وهــو قول كن اشارة الى انتفاء القريب ، وأوضحه بقوله : « ألقاها الى مريم » .

وقيل معناه : بشـــارة الله تعالى التى بشر بهـــا مريم على لسـان الملائكة كما قال سبحانه : « اذ قالت المـــلائكة يـا مريم ان الله يبشرك بكلمـة منـــه » (١) .

وذهب الامام الرازى مذهب الالوسى فى تفسيره (٢) .

ومعنى كلمة « وروح منه » :

ويقول الالوسى « وروح منه » .. سمى عليه السلام روحا . لانـه حـدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى ذرع مريم بأمر منـــه سبحانه ، وجـــاء تسمية النفخ فى كلامهم ــ أى العرب ــ روحا ، ومنـه قول ذى الرمـــة فى نـار « وأحيها بروحك » (أى اشتعل النار بنفخك) .

أما الجار والمجرور « منه » فيقول فى توجيهه : « ومن متعلقة بمحذوف

---

(١) روح المعانى (حـ ٦ ص ٣٤) .
(٢) التفسير الكبير (حـ ٨ ص ٤٧) .

وقع صفة لروح ، وهي لابتداء الغاية ـ مجازا ـ لا تبغيضية كما زعمت النصارى » (١) ٠

وزعم النصارى الذى أشار إليه الالوسى هنا : هو أن الروح ـ عيسى ـ جزء من الله ، بدليل قوله « منه » كما تقول : هذا الماء شربت منه ٠ أى شربت بعضه ٠

ولدفع هذا الوهم قال صاحب روح المعانى : ان « من » هنا لابتداء الغاية مجازا ، لأن الله منزه عن المكان والزمان ، والمعنى على مذهب اليه الالوسى : روح ابتداؤه من عند الله ٠

والذي يظهر لى أن « من » ليست لابتداء الغاية ـ كما ذهب الالوسى ـ حتى نضطر للقول بمجازيتها ٠ بل من الممكن جعلها بيانية ، وهى على هذا لا تحتاج الى تقدير المجاز فيها ٠

ومعنى كونها بيانية أنها روح من الله لا من غيره ٠ وهذا التقدير يسد أبوابا واسعة من ظنون السوء بمريم حيث جاءت به من غير أب ٠ وللشيطان فى مثل هذه « الوقائع » صولات وجولات ٠

ويقوى كون « من » بيانية قول أم مريم حين وضعتها كما حكى عنها القرآن الأمين : « وانى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » (٢) فحفظ الله مريم من الشيطان ، وحفظ ذريتها منه ٠ فكان عيسى عليه السلام كلمة من الله لا من غيره ، وروحا من الله لا من غيره ، وبهذا تنقشع عن مريم وابنها كل سحب الشبك التى أثارها اليهود ٠

وينقل الالوسى ـ هنا ـ قصة طريفة فيقول : ان طبيبا نصرانيا فى عهد الرشيد جادل على بن الحسين الواقدى ، فقال : ان فى كتابتكم ـ يعنى القرآن ـ ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء من الله ! ثم تلا هذه الآية « وروح منه » ٠ ؟ !

فقرأ الواقدى قوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض

---

(١) روح المعانى نفس الموضع السابق ٠
(٢) آل عمران

جميعا منــه » ثم قال للطبيب النصراني : لو سلمنا لكم بهــذا القول لكانت كل هذه الاشياء التي سخرها الله لنـا في السموات والارض أجزاء منه ؟ ! (أى لانه قال : « جميعا منه ») فأفحم الطبيب ولم يسـعه الا الدخول فى الاسلام لقوة احتجاج الواقدى عليه ٠

وقد فرح الرشيد من ذكاء الواقدى ومنحـه جائزة فاخرة ٠

ومما قاله المفسرون في بيان معنى الروح فى الآية : أنهـا جبريــل عليه السلام وبعضهم يقول : انهـا الرحمة ٠ وبعضهم يفسرها بالهداية ٠ وأيا كانت هذه الاقوال مختلفة فانها جميعا بعيدة كل البعد عن المعنى الـذى يريده منها البابا وأضرابه ٠

اذن فليس فى هــذين اللقبين « كلمة من الله ــ روح منه » دليــل أو حتى شـبه دليل على « تأليه » عيسى ــ عبد الله ورسوله ــ عليه السلام ٠

ولو كان كل من ذكر الله في سياق الحديث عنــه هـذه اللفظة « كلمة » لكان يحيى عليه السلام الاها ــ كذلك ــ تعــالى الله عما يقولون علوا كبيرا فقد قال الله فى شأنه وبشارة أبيه زكريا به :

« فنادته الملائكة وهو قائم يصـلى فى المحراب أن اللــه يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » آل عمران (٣٩)
وإذا قالوا ان وضع « كلمة » بجانب يحيى عليه الســلام مختلف فى التركيب عن وضعها فى جانب عيسى عليه الســلام حيث جـاءت مع يحيى متعلقة بالحال ، وهى مع عيسى « خبر » والخبر آصل من الحال ٠ ان قالوا ذلك قلنا لهم : هــو لكم اذن فاعتبروا يحيى « نصف اله » ؟ ! ولا تهدروا قيمة الكلمة معــه وهما ابنـا خالة كما تعلمون ٠ أتستكثرون على ابن خالة الاله ان يكون نصف اله ؟ !

« ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » فيــا من غفرت لآدم وحواء اللذين دعواك بهذا الدعاء أغفر لنا وتب علينا فنحن أحوج الى عفوك منهما يارب العالمين ٠

ولو كان كل من ذكر اللــه فى شـأنه كلمـة « الروح » لــكان جبريـل الاها ، اذ كثيرا ما صرح فى جانبـه بهــذه الكلمة ومن ذلك : « نزل بــه الروح الامين » وقوله تعــالى « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم » وخلاف بين المفسرين فى أن المراد بالروح هنا هــو جبريل عليه السلام سفير السماء٠

بل ولكان القرآن ـ كذلك ـ الاهـا ، لان اللـه قال في شــأنه :
« وكذلك أوحينا اليك روحـــا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ؟ ولــكن جعلناه نورا نهــدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهــدي الى صراط مستقيم » الشورى (٥٢) ٠

بـل وأعجب من ذلك لكان آدم الاهـــا ، لأن الله قال في شــأنه يخاطب الملائكـــة :

« فاذا سويته ونفخت فيــه من روحى فقعوا لـه ساجدين » ٠

بـل ولكان كل أبنـاء آدم الهـــة ٠٠ وكيف لا ؟ اذا كان أبوهم كذلك ؟ ! قولوا ما شئتم ، ودعوا القرآن جانبا ، ولا تذكروا منـــه شيئا دليلا على الباطـل ٠ وهـا أنتم قد فتحتم الباب مستشهدين به ٠ فافسحوا صدروكم لتسمعوا ـ بيانه الحق ـ حـول مـا أثرتم من قضايا ما كان أغنانا عن هذا لو أمسكتم عن الخوض فيها ٠

ثانيا ولادته المعجزية :

أما ولادته المعجزية ـ على حـــد تعبير البابا ـ فان هنـــاك ما هـــو أدخل منها فى باب الاعجاز ٠ ذلك أن الله ـ جلت حكمته ـ قـــد ربط ولادة أى مولود باجتماع سببين ماديين ، وهمـــا عنصر الذكورة وعنصر الانوثـة حتى تتم عملية اللقـــاح اذا قـــدر الله معها انجابا ٠٠ وولادة عيسى عليــه السلام وجـــد فيها أحـد العنصرين « الانوثة » وتخلف العنصر الثـــانى « الذكورة » فولد من أم بدون أب فكانت ولادته لهـــذا غريبة لم تجر بهـــا العادة فى مألوف الناس بيـد أن هناك ايجادين كانا على خـــلاف العادة ٠ **أحدهما** أغرب من ولادة عيسى عليه السلام ، **وثانيهما** أشـــد غرابة من الاثنين معـــا ٠

أما الاول : فهـو ايجاد اللـــه حواء من آدم عليهما السلام ٠ فحـواء أوجدها اللـه من ذكر « آدم » ولم يجعـل لها أمـــا ٠ فقد وجـــد أحـــد العنصرين ، وهو الذكورة ، وتخلف العنصر الثـانى وهو الانوثة » وانما كانت واقعـة ايجاد حواء أغرب من واقعـــة ايجاد عيسى مع أنهما تبدوان متساويتين فى الظاهر القريب الى الذهن ، لتخلف أحـــد العنصرين فيهما ٠

لان عنصر الذكورة فى حـــالة ايجاد حواء غير مألوف ٠ لأن حـــواء وجـــدت من ذكر ، وهـــو لا يلد ، وانما يولد له اذا قام هـــو باللقاح ٠٠

ولهذا كان خلق حواء من آدم أدخل في باب الاعجاز - عند العقل - من خلق عيسى عليه السلام ، واقرأ معي قوله تعالى في مطلع سورة النساء :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ؛

وأما الثاني : فهو خلق آدم أبا البشر عليه السلام ، اذ هو مخلوق لله من غير أب يقوم باللقاح ، ومن غير أم تحمل وتلد .

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » وهذان الايجادان يؤمن بهما أبناء كل ملة .

أفليست المعجزة في خلق آدم عليه السلام أدخل فى باب الإعجاز - عند العقل - من ايجاد حواء ، ومن بعدها عيسى عليهم السلام ..

فلو كانت الولادة من غير أب مدعاة لوصف المولود بالالوهية لكانت حواء أولى بذلك الوصف من عيسى عليه السلام ، ولكان آدم عليه السلام أولى من حواء ومن عيسى بتلك الصفة . ؟ !

« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » (١) صحيح أن خلق عيسى « غريب » وأصح أن خلق آدم « أغرب » ومثل عيسى عند الله هو مثل آدم كلاهما خارق « فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم عبادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه » (١) .

فاللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا اتباعه . وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه .

ثالثا : معجزاته العجيبة :

ينظر البابا الى المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام ، على أنها خوارق صادرة عن عيسى نفسه ، وليس لها مصادر سواه . وكلماته في هذا المجال أقرب ما تكون الى الافصاح عن المعنى الدفين ، وان حاول هو « تغليفها » بغشاء رقيق .. ؟ ! ويبرز البابا مسألة احياء الموتى

---

(١) الكشاف (حـ ١ ص ٤٣٣) .

والتنبؤ بالغيب ، وخلق الطير باذن اللـه ويذكر نصـا قرآنيا كدليل على صـدق مدعاه ، وما هـو بدليل له على ذلك الصدق وانما هـو دليل على تكذيب ذلك المدعى .

والنص القرآنى هـو :

« .. أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيـه فيكون طيرا باذن الله وأحيى الموتى باذن الله ، وأونبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآيـة لكم ان كنتم مؤمنين » آل عمران (٤٩) .

وعلى طريقة البابا فى بتر النصوص ، فقـد أهمل صدر الآية الـذى جـاء فيه : « ورسولا الى بنى اسرائيل أنى جئتكم بآية من ربكم .. » .

ولا اخالك فى حاجـة الى معرفة سبب الاهمال ـ هنـا ـ وانما للتذكير أقول ان ذلك الصدر « المهمل » فيـه نص صريح على أن عيسى عليه السـلام « رسول » وأن الآية التى جـاء بها ليست من صنعه هـو ، بـل « من ربـكم » وليست من « عندياته هـو » وانما هـو مجرد وسيط ان هـذا القول وبعد أن سـاق البابا ما ارتضاه من نص الآية علق عليها قائلا :

« هنا يقف العقل لتتأمل الروح .. ؟ لمـاذا يختص المسيح بهـذه المعجزات التى لم يعملها أحـد ، والتى هى من عمل الله ذاته ؟ الخـلق ومعرفة الغيب » انتهى كلامه .

ونحن لا نريد أن نطيـل فى الرد . فان الآية نفسها ترد كل زعـم أو مغالاة حول معجزات عيسى عليه السلام . فعيسى نفسه يصرح ـ كمـا جـاء فى الآية ـ انه فعـل مـا فعل باذن الله . وان الآية التى جـاء بهـا هى من « ربكم » فـلم يغـال عيسى عليه السلام فى تزييف الوقائع ، بل أدى الامانة مثلما بعث بها لم يزد ولم ينقص . وكيف يغالى وهو رسول أمين ؟ !

والذى يجب أن يكون عقيدة المؤمن ، ان المعجزات جميعها ـ خوارق تسمو فوق كل اعتبار عقليا كان أو طبيعيا ، أو عاديا . يجريها اللـه على أيدى أنبيائه ورسله ، متحديا بها الخصوم . ودلالة المعجزة هـو صـوت خفى ينشـأ فى شعور المشاهد لوقوع المعجزة « صدقوا عبدى فى ما يبلغ عنى » .

لان جريان المعجزة على يـد بشر يقول : أنا رسول من عند اللـه . والمشـاهد للمعجزة بشر مثله . وهـذا المشاهد يحس بالنقص أمـام من جرت المعجزة على يديه .

فكلاهما بشر · ولكن لماذا فعل هذا ؟ وعجز هذا عن أن يفعل مثله ؟ ! وما داما هما : من جرت على يديه المعجزة ، ومن شاهدها · مستويين في الصفات البشرية ، فلابد أن تكون هناك ميزة في جانب الذى جرت على يديه الخارقة ، ليست هى فى من يشاهدها ؛ وهنا لا تجد النفس المشاهدة للخارقة مرجعا الى تلك الميزة الا أن تكون الذى جرت على يديه الخارقة رسولا كما يدعى هو ؟ وهذا هو المطلوب من كل معجزة أجراها الله على يد رسول ·

ان فاعل المعجزات هو الله يؤيد بها صدق رسله فيما يدعون · حتى تصبح الدعوى دعوة ، والتبليغ عقيدة راسخة فى النفوس ·

وما دام الله هو فاعل المعجزة ، وليس الرسول ، أى رسول ، فلا تفاضل بين معجزة ومعجزة ، لانهن جميعا من خوارق العادات ومدارك العقول ·· وانما تتفاضل المعجزات من حيث بقاؤها لكل جيل ، ومن حيث ظهورها وخفاؤها حتى تصبح خبرا من الاخبار ·

وبناء على هذا فان المعجزات التى يجريها الله على أيدى رسله تتنوع بحسب الاوضاع البارزة فى حياة الامم والشعوب الذين أرسل الله لهم رسله فمعجزة خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم كانت هى « البيان » لان الامة التى بعث اليها كانت تملك من البيان الرفيع أعلى نواصيه· للبيان فى حياتهم حياة ، وللشعر فى دولتهم دولة · فجاء محمد عليه السلام بما بذهم به من البيان المعجز « القرآن العظيم » فسقطوا فى أيديهم ·

ولما كان السحر متفشيا فى عصر فرعون موسى عليه السلام ، حتى اتخذ فرعونه منهم صفوة ممتازة آتى الله موسى ما هو فوق السحر اعجابا واعجازا انها « عصاه » التى صنع الله بها على يديه الاعاجيب التى لم يروها ولم يسمعوا بها من قبل ·

ولندع الآن معجزات خاتم النبيين ونعود اليها عند حلول مناسبتها من هذه المواجهة · ولننظر فى معجزات الرسل : ابراهيم ، وموسى ، وداود وسليمان ـ كما حكاها القرآن الامين ـ ونقارنها بمعجزات عيسى عليهم جميعا السلام ، لنرى هل معجزاته أعجب أو أبقى أثرا من معجزاتهم فنسلم للبابا فى ما يدعيه ، أم أنها كلها سواء فلا تكون لعيسى عليه السلام ميزة ترفعه فوق « مقامات البشر » فضلا عن اخوانه الرسل الاخيار فيندفع ما يدعيه البابا من نتائج لم تسلم مقدماتها ·

ونحن فى هـذا وذاك لا نريد الا الحق ، والحق وحـده ، واللـه على ما نقول شهيد .

معجزات ابراهيم عليه السلام :

حطم ابراهيم عليه السلام أصنام قومه ، قائلا لهم « أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (١) . ؟

وكان قوله نهاية لحوار أداروه معـه وكان حزنهم على آلهتهم عظيما ، فسخر منهم ومن أصنامهم فأجمعوا على أمر يشفى غيظهم « قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » (٢) .

فأضرموا النار وأججوها وانتشرت حرارتهـا حولها لدرجـة أن من يقترب منها يحترق قبـل أن تمسـه النـار ، وألقوا فيها ابراهيم عليه السلام من بعيد وغاص ابراهيم فى قرار جحيمهم ، واشتعلت النيران عليه مـا شـاء اللـه لها أن تشتعل ، والقوم فرحون ظانين أنهـم قـد اقتصـوا لآلهتهم ولم يشـك أحد منهم فى هلاكـه وأنه صـار فحمـا ورمـادا . وما ان خمدت النيران حتى بابراهيم عليه السلام هـو هـو لم تمسـه النار بسوء .. ؟ ! وكيف ذلك والنار محـرقة ؟ ! أكان مع ابراهيم جهاز اطفاء ؟ كلا . ان النار لم تتوقف حتى التهمت كل ما قدموه لها من وقود .

ولكن لان اللـه أصـدر أمره للنار ساعة قذفوا فيهـا صـفيه وخليله « قلنا يا نار كونى بردا وسـلاما على ابراهيم . وأرادوا بـه كيدا فجعلناهم الأخسرين » (٣) هذا ما يقوله القرآن عن احدى معجزات ابراهيم عليه السلام . معجزة خارقة لكل مألوف ، وهى لم تجر لنبى أو رسول غيره . بـل خصـه الله بها ، لأن ليس كل رسـول هـم قومه باحراقه حتى تكون معجزة ابطـال مفعول النار واقعـة مسجلة فى سجل كل رسول .

وهـذا هو ابراهيم عليه السلام الذى نجـا من النـار يتوجه الى ربـه بسؤال عزيز لديـه « قال رب ارنى كيف تحيى الموتى ؟ قـال : أو لم تؤمن ؟. قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » (٤) .

(١ ، ٢) الانبياء (٦٧ - ٦٨) .
(٣) الانبياء (٦٩ - ٧٠) .
(٤) البقرة (٢٦٠) .

فاستجاب له ربه ، ثم بين له طريقة يرى بها كيف يحيى الله الموتى فقال :

« .. فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا . ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم » .

أربعة من الطير : طاووس ، وديك ، وغراب ، وحمامة (١) .

يأخذ ابراهيم هذه الجماعة من الطير تمثل أربعة أنواع من الطيور ، ثم يذبحهن ويقطعهن أجزاء ، ثم يضع من كل واحد منها جزءا على جبل هكذا متفرقات غير متجمعات ، لم يضع جزءين لطائر واحد فى مكان واحد ، وقد حفظ ابراهيم صورها وأشكالها فى مخيلته قبل أن يذبحها وها هى ذى الآن أشلاء منثورة على قمم الجبال ، ويقف ابراهيم عليه السلام ينادى الطيور التى ماتت وكأنه اسرافيل ينفخ فى الصور النفخة الثانية ، فاذا بالطيور الاربعة تسرع اليه طيرانا وسعيا على الاقدام تماما كما كن قبل أن يذبحن بأشكالها وصورها ، وهيئاتها وأحجامها ودقائق صفاتها فيطمئن قلب ابراهيم ويرى عيانا ما ادركه استدلالا ونظرا هاتان معجزتان مما اجراه الله على يد خليله ابراهيم عليه السلام ونقف الآن فنسأل :

أليس فى مسألة ابطال مفعول النار خارقة عظيمة من الله بها على ابراهيم وأقام الحجة على صدقه ؟ ! .

ثم أليس فى مسألة احياء الطيور خارقة تماثل خارقة احياء الموتى الذى أجراه الله على يد رسوله عيسى عليه السلام .

فهل معجزات عيسى أبقى أثرا وأدخل فى باب الاعجاز ــ عند العقل ــ من معجزتى ابراهيم عليهما السلام ؟ أم كلها خوارق عظيمة متحدة الدرجة أجرى الله كلا منها حسب مقتضيات المقام . ؟ هذه عقيدة المؤمنين الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله وهم له مسلمون .

موسى وعصاه :

وما من الله به على ابراهيم وعيسى عليهما السلام من بمثله على موسى عليه السلام فقد كانت عصى موسى مصدرا للاعاجيب :

---

(١) الكشاف (حـ ١ ص ٣٩١) .

مرة يلقيها فاذا هي حيـــة تسعى ، وتهتز كأنها جـان حتى يولى موسى مدبرا ولم يعقب حتى يسمع صوت الامان يناديه من عـــل ٠

ومرة يلقيها فتبتلع الاعيب ســحرة فرعون بعـد أن ماجت الســـاحة بحبالهم وعصيهم كأنها حيـــات وثعابين تســـعى وتتحرك ٠ وينتصر موسى بعصاه على مهرة السحرة الذين اصطفاهم فرعون موسى فى أكبر مباراة بين ظـلال الباطل ونور الحق ٠

ومرة يضرب بهـا البحر فينفلق صانعا اثنى عشرة طريقـا كل طريق منها كالطود العظيم، ويسير فيها مؤمنو بنى اسرائيل فيتبعهم فرعون وجنوده، وبينما ينجو آخر مؤمن ، ويتوسط فرعون وجنوده البحر اذا هـو ينطبق عليهم فيغرقون ولا يبقى منهم أحـــد ٠٠

ومرة يضرب بهـا الحجر فتتدفق منـه المياه فى اثنتى عشرة عينـا ، ليشرب كل اناس من مشربهم ٠ لا يزاحمهم فيه أحـــد ٠

هـذا بعض مـا من الله بـه على موسى ٠ وهـذا هو القرآن يقص علينا فى صدق احسن القصص :

« ٠٠ أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين ٠ وأن ألق عصاك فلمـــا رآهـا تهتز كأنها جـان ولى مدبرا ولم يعقب ، يـا موسى أقبـل ولا تخف انك من الآمنين » القصص (٣٠ ــ ٣١) ٠

« فأجمعوا كيدكم ثم أئتوا صفا ، وقـد أفلح اليوم من استعلى ٠ قالوا : يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ٠ قـال : بـل القـوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليـه من سحرهم أنها تسعى ٠ فأوجس فى نفســه خيفة موسى ٠ قلنـا : لا تخف انك أنت الاعلى ٠ وألق مـا فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيـد سـاحر ، ولا يفلح السـاحر حيث أتى ٠ فألقى السحرة سجدا ٠ قالوا : آمنـا برب هارون وموسى » طه (٦٤ ــ ٧٠) ٠

« فلما تراءى الجمعـان قال أصحاب موسى : أنا لمدركون ٠ قال : كلا ! ان معى ربى سيهدين ٠ فأوحينا الى موسى أن أضرب بعصـاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ٠ وأزلفنا ثم الآخرين ٠ وأنجينا موسى ومن معـه أجمعين ٠ ثم أغرقنا الآخرين ، ان فى ذلك لآية ، ومـا كان أكثرهم مؤمنين » الشعراء (٦١ ــ ٦٧) ٠

« واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه أثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين » البقرة (٦٠) ٠

وهذا بعض ما من الله به على رسوله موسى عليه السلام ٠ افما ترى فى ذلك عجبا وأى عجب ٠.

أليس فى مسألة انقلاب العصى حية تسعى خارقة مماثلة تماما لما كان يجريه الله على يد عيسى عليه السلام من النفخ فى الطين فيكون طيرا باذن الله ٠٠ ؟ ! فالعصى جماد ، والطين جماد ، وكلاهما تحولا بقدرة الله الى « كائن حى له روح ٠ ففى أى الخصائص تمتاز المعجزة « العيسوية » على المعجزة « الموسوية » وكلتاهما الله فاعلهما » ٠

حتى معجزة احياء الموتى التى كرم الله بها ابراهيم عليه السلام ، ثم أيد بها عيسى عليه السلام ٠ حتى هذه المعجزة لم يحرم الله نبيه موسى عليه السلام منها ٠ وقد تضمن الاشارة الى تأييد موسى بها فى قوله تعالى « واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ٠ فقلنا اضربوه ببعضها ٠ كذلك يحيى الله الموتى ، ويريكم آياته لعلكم تعقلون » البقرة (٧٢/٧٣) ٠

وأيده الله بها حين قال بنو اسرائيل لموسى « ٠٠ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ٠ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » البقرة (٥٥/٥٦) ٠

أيقال بعد هذا كله أن معجزات عيسى عليه السلام « لم يعملها أحد مثله » وكأنه هو الذى صنعها ولم يصنعها الله ؟ !

داود والجبال ؟ !

ومن الله على عبده داود بمنن عظيمة ، فسخر له الجبال تؤوب معه ، وسخر له الطير كما سخر الجبال ، والان له الحديد يتصرف فيه كيف يشاء ، بلا نار تذيب ، ولا مطرقة ولا سندان ٠

وفى ذلك يقول القرآن الأمين :

« ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له

الحديد • ان أعمل سابغات وقدر فى السرد ، وأعملوا صالحا انى بما تعملون بصير » سبأ (١٠/١١) •

ومهما اختلف العلماء فى معنى تأويب الجبال بين ان تردد معـــه التسبيح اذا سبح حتى يسمع لها صوت أو تسير معـــه اذا ســـار ، أو تجود لـــه بما أودعه الله فيها من كنوز فان هـــذه الآيات الثلاث :

تأويب الجبال ، وتأويب الطير ، والانة الحديد خوارق لم يمن اللـه بها الا على من اصطفاه من عباده واستقام على نهجـه وهـداه • وكلها أمـام العقل مدعاة للاعجاب والتأمل •

سليمان واسالة عين القطر وعالم الفضاء :

وورث سليمان داود ، ورثه فى النبوة والملك والتقوى والاستقامة وورثه فى مجال « الصناعة » وورثه فى خصائص المعجزات • فقد أجرى اللـه لهما معجزات وخوارق متحدة النوع • وان تفاوتت فيما بينها •

ففى مجال الصناعة فقد هيـأ الله لـه أسباب قيامها « خفيفة وثقيلة » أمـده بالمواد الخام ، ووفر له الطاقة الحرارية اللازمة لهـا • وسخر لـه مهرة العمال الذين يعملون لـه ما يشاء •

فقد أسال لـه عين القطر ، وهـو النحاس المـذاب • أسالها وأقرها بين يديـه مـادة طيعة قـد عملت فيها الطاقة عملها • وسخر لـه حشـدا هائـلا من الجن يعملون فى « مصانعه » كل مـا كانت تحتاج اليـه البيئـة من صناعات ثقيلة أو خفيفة •

وأعجب من هـذا فقد سخر له « الفضاء » قبـل أن يعرفـه العالم المعاصر بمئـات القرون ، فهـذه هى الريح تجوب لـه وبـه الآفاق تقطع فى نصف النهار الاول ما يقطعه المسافرون فى شهر ، وتقطع فى نصفه الثانى مثـل ما قطعته فى النصف الاول • حـدث هـذا فى عهد سليمان قبل عصور النهضة بقرون طوال • وفى ذلك يقول القرآن الامين :

« ولسليمان الريح غدوها شهر ، ورواحهـا شهر ، وأسـلنا لـه عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديـه باذن ربـه • ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير • يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقـدور راسيات • اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » سـبأ (١٢/١٣) •

سليمان ومنطق الطير :

ومن مظاهر ما من الله به على عبده سليمان عليه السلام أن علمه منطق الطير يسمع لغاتها ويحذق معانيها ، ففتح له كل مغلق ، وأدنى كل بعيد والى هـــذا يشير القرآن الحكيم :

« وورث سليمان داود وقال يــا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينــا من كل شيء ! ان هـــذا لهــو الفضل المبين » النمل (١٦) ٠

وبهــذا فقــه سليمان قول النملة لبنى جنسها « قالت نملة يــا أيهـــا النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ٠ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضـــاه ٠ وادخلنى برحمتك فى عبـــادك الصالحين » النمل (١٨ ، ١٩) ٠

سليمان وعرش بلقيس :

ومن المعجزات النادرة فى ســجل نبى الله سليمان واقعـــة نقل عرش بلقيس ٠ انهــا واقعة تحتاج ــ الآن ــ الى أبحاث علمية متخصصة وعميقة ـ يقوم بهـــا حشد هائــل من خبراء هندسة المعمار ، وحشـــد هائــل من خبراء الجيولوجيا ، وحشـــد هائــل من خبراء علوم الفضاء وخبراء الديكور ٠٠ ؟ !

فها هى ذى بلقيس تجمع ــ بعد الدراسة ــ على أن تلقى سليمان عليه الســـلام ، ويعــلم سليمان بهـــذا فيفكر فى اجراء خارقة تشاهدها عابدة الشمس من دون الله ٠ ؟

واستقر الرأى على نقل عرشـــها ، فجــاء بــه أسرعهم الـــذى قال : « أنا آتيك بــه قبل أن يرتد اليك طرفك » ٠

وقبل ان تصل بلقيس وقومها الى مقر سليمان كان عرشها العظيم قد استقر بين يديــه فلما أبصرته وسئلت أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هـــو ولم تقطع ٠ ولم تجد عـــابدة الشمس أمـــام هـــذه الآيات الا أن تقول : « رب انى قــد ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان للــه رب العالمين » ٠

فلنعد صياغة السؤال الآن ونتوجـــه بــه الى أهـــل الذكر من الخبراء المعاصرين ليفتونا فى أمرنا ان كانوا فاعلين ٠

افتونا يفتكم الله ، عرش هذا وصفه « عظيم » كيف اقتلع من الارض هكذا قبل أن يرتد الى الناظر طرفه ، وكيف حمل فى الفضاء ولم يحدث فيه شرخ ولا تغير شيء من نظامه ، ولا تبعثرت ديكوراته . أفى وسع الانسانية ــ الآن ــ وقد تقدم بها العلم فى أعماق الارض وفى أجواء الفضاء وآفاقه . أفى مقدورها الآن أن تقوم برحلة أيا كان قصدها قبل أن ينطبق جفن العين ، مجرد رحلة فضلا عن أن يكون المنقول فيها عرشا عظيما مثل عرش بلقيس . ؟ !

أم أن الانسانية عاجزة كل العجز ــ الآن ــ عن القيام بادنى فرض فى هذا المجال . وستظل عاجزة كل العجز عن مثل ما أجراه الله على يد سليمان عليه السلام منذ مئات القرون . نعم هى عاجزة ــ الآن ــ وستظل عاجزة بعد الآن حتى يرث الله الارض ومن عليها .

ثم نعود فنسأل :

أبعد هذا كله يقال : ان معجزات عيسى عليه السلام فوق معجزات « البشر » وهم يقصدون من هذا اخوانه الانبياء والرسل ، فليس بين هذه المعجزات من حيث هى معجزات فاضل ومفضول ، فما من فضل آتاه الله عيسى الا وقد آتى رسله مثله ، وبقى الجميع متساويين فى عقيدة المؤمن الحق فى أنهم رسل الله المكرمون المنصورون . انهم رواد اصطفاهم ليعبدوا الطريق أمام خاتم النبيين فأيد كلا منهم بما على مثله آمن البشر . فأدوا الأمانة ، وبلغوا الرسالة ورضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولم يدع رسول واحد منهم أن ما جاء به من معجزات كانت من صنعه هو ، فقد كانوا أمناء فيما يقولون عارفين حدودهم فالتزموها ولم يخرجوا عنها ، طالبين من الناس ان يعبدوا الله رب الجميع ، متضافرين على غرس عقيدة التوحيد فى قلوبهم .

وقد حرص القرآن الامين على أن يرفع كل لبس عند قصه نبأ المعجزات ، فقد اسندها الى فاعلها الحقيقى وهو الله . ومن يعد الى نصوص القرآن فيما ذكرناه من معجزات يجد هذا المنهج واضحا جليا .

فمع ابراهيم عليه السلام قال : « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » ولم يقل أن ابراهيم قال يا نار كونى بردا وسلاما على .

وفى احياء الطير قال : « واعلم ان الله عزيز حكيم » وكان الله هو الذى رسم له خطة التجربة .

وفى معجزات موسى كان هـــذا التعبير : « فاضرب بعصاك البحر » و « فاضرب بعصاك الحجر » و « وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا » .

وفى احيـــاء الميت قال « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى » وفى داود قال : « ولقد آتينا داود منا فضـــلا يـا جبال أوبى معه » وفى سليمان قال « وأسلنا له عين القطر » .

وفى معجزات عيسى صدرها بقوله « جئتكم بآية من ربكم » .

ثم عقب معجزاته واحـــدة واحـــدة بقوله « باذن الله » فى الاخبـار عن قول عيسى عليـه السلام . و « باذنى » فى حكاية قول اللـه ممتنا على عيسى عليهم السلام اجمعين . أيقال بعد هذا ان معجزات عيسى لم يعملها أحـــد غيره .. ؟ !

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيـه يمترون . مـــا كان للـه أن يتخذ من ولد سبحانه ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ، وان اللـه ربى وربكم فاعبدوه هـــذا صراط مستقيم » مريم (٣٤/٣٦) .

رابعا : موته ورفعـه للسماء :

لم يطـل البابا فى هـــذا الفرع ، فاكتفى بأن ســـاق آية آل عمران « اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فـوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، **ثم الى مرجعـــكم** فأحكم بينكم فيما كنتم فيـــه تختلفون » وقـد أهمل البابا الجزء الاخير من الآيــة ، والذى تراه مخطوطا أسفله ، ثم علق عليها بقوله :

« والمسيحية تؤمن بموت المسيح ، وصعوده الى السماء ، ولـــكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح ، ومتى حـــدث ذلك ، وبقى الامر عجبا » .

وحيث لم يطـــل ، فاننا لن نطيل فى مناقشـــته هنـــا ، ونكتفى من جانبنا باثبات ملحوظتين :

الاولى : ان أراد البابا بايراده هـــذه الآية اثبات خاصية الى المسيح عليه السـلام لم يشركه فيها أحـــد من الانبياء ، تمهيدا لما يبنونه عليها وعلى مثيلاتها من الحـكم بربوبية عيسى عليـه السلام رددنا عليـه دعواه من وجهين .

الاول : ان الرفع قد صرح به فى القرآن الحكيم بعد اثبات «التوفية» ونبع اختلاف كبير بين العلماء والمفسرين · ففريق منهم يرى أن عيسى عليه السلام توفاه اللـه ثم رفعه اليه · وعلى هذا فلا مزية لعيسى عليه السلام على اخوانه الانبياء والمرسلين ·

الثانى : ان الرفع حدث له عليه السلام وهو حى ووجهوا تقديم التوفية عليه حيث قال « متوفيك ورافعك الى » بأن التقديم مع حرف العطف الذى هو « الواو » لا يقتضى تقديم التوفية فى الترتيب الوقوعى ، لأن الواو لمطلق الجمع ، يعطف بها السابق على اللاحق واللاحق على السابق ، كما يعطف بها أحد المتصاحبين على الآخر ، وهذا لا خلاف فيه عربية ، والقول بأنه رفع حيا هو الارجح عند العلماء ·

وحتى على هذا الرأى ــ كذلك ــ لا مزية لعيسى عليه السلام فيه على جميع الانبياء ، فقد اشترك فيه معه نبى الله ادريس عليه السلام ، ونذكر للقارىء ما ورد فى هذا الشأن عند المفسرين حين فسروا قوله تعالى فى شأن ادريس « ورفعناه مكانا عليا » مريم

جاء فى تفسير الفخر الرازى (١) : « ورفعناه مكانا عليا » وفيه قولان :

أحدهما أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد صلى اللـه عليه وسلم (ورفعنا لك ذكرك) فان اللـه تعالى شرفه بالنبوة ، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، ونظر فى علم النجوم والحساب ، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلد · **ثانيهما** : أن المراد به الرفعة الى المكان العالى · وهذا أولى ، لان الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لا فى الدرجة ثم اختلفوا ــ أى القائلون برفعة المكان ــ فقال بعضهم ان الله رفعه الى السماء والى الجنة وهو حى لم يمت ، وقال آخرون بل رفع الى السماء وقبض » (أى بعد الرفع) وروى هذا الرأى الاخير ابن عباس عن كعب (٢) ·

ونقل الزمخشرى هذا الرأى « رفعه حيا » وعزا روايته الى أنس بن مالك مرفوعا كما عزاها الى ابن عباس مرة ، والى الحسن رضى اللـه عنه مرة أخرى (٣) ·

---

(١) (حـ ١ ص ٢٣٣) (٢) الكشاف (حـ ٢ ص ٥١٣) ·
(٣) روح المعانى (حـ ١٦ ص ١٠٦) وانظر ــ أيضا تفسير القرطبى (حـ ١١ ص ١١٧) والنسفى (حـ ٢ ص ٣٩) ·

ويفيض صاحب روح المعـــانى فى هـــذا ثم يقول :

« وأكثر القائلين برفعـه حسا ـ حيا ـ قائلون بأنـه حى حيث رفع » ثم يذكر رواية عن قتادة كالتى مرت فى الرازى عن ابن عباس أنه رفع ثـم مات حيث رفع ، ويعلق صاحب روح المعـــانى على هـــذه الرواية فيقول : « وهو شاذ » .

فها هو ذا ادريس عليه السـلام اشترك مع عيسى عليه السلام فى أن كلا منهما قـد نص القرآن على أن الله « رفعـه » وأن العلمـاء اختلفوا فى رفع كل منهما هـل كان بعد الموت أو قبله ، وهـل هما الآن حيـان أم ميتـان . ومن هـذا كلـه نسـتبعد ـ فى يقـين ـ استئثـار عيسى بهذه الخاصة دون جميع الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

الملحوظة الثانية :

وهى من وادى اللغـة ذلك أن البـابا قال « والمسيحية تؤمن بموت المسيح **وصعوده** الى السـماء » وكان الصـحيح أن يقـول « **ورفعـه** الى السـماء » بـدل « صعوده » ولا تظنن أن الكلمتين بمعنى واحـد وان كان هـذا متبادرا الى الفهم ، لأن بين دلالة الكلمتين فرقا كبيرا جدا فى اللغـة ، وفى الاعتقاد .

ولا أظن أن البـابا يخفى عليـه ذلـك الفرق بين مدلول الكلمتين ، كما أننى لا أستطيع أن اقنع نفسى بأن البـابا لم يقصـد معنى « صعوده » قصدا ، ويهمل معنى « رفعه » اهمالا مقصودا .

فالفعل « رفع » فعل متعد يفتقر بعد فاعله الى مفعول يقع عليـه ما دام هـو متعديا الى مفعول واحد .

أما الفعل « صعد » الذى اشتق منـه « صعوده » مضافا الى عيسى عليـه السلام فهو فعل لازم ، والفعل اللازم مكتف بفاعله وليس بـه حاجة الى مفعول هـكذا تقضى قواعد اللغة العربية .

وانما اهمل البابا كلمة «رفعه » وهو مصدر مضاف الى مفعوله مع أن هذا الفعل هو الوارد فى النصوص الشرعية المقدسة ، وفى مقدمتها القرآن الحكيم . لأن استعماله بحسب اللغة يستلزم فاعلا للمصدر ، تبعا لفعله ويستلزم مفعولا يقع عليه .

فاذا فصلت هذا الاجمال كانت أجزاء التركيب المضمر ثلاثة هي : الفعل + الفاعل + المفعول · فالفعل هو « رفع » والفاعل هو « الله » والمفعول الذى وقع عليه الفعل هو « عيسى » عليه السلام ·

أما الفعل « صعد » الذى آثره البابا فاشتق منه مصدره المضاف وهو « صعوده » فلا يستلزم ـ بحسب قواعد اللغة الا جزءين يتم بها التركيب · وهما : الفعل + الفاعل · فالفعل هو « صعد » والفاعل هو « عيسى » عليه السلام ·

ولا شك أن المناسب الى عقيدة البابا هو « صعوده » دون « رفعه » اشعارا بأن عيسى عليه السلام صعد بنفسه ولم يرفعه رافع ولو كان الرافع هو « الله » جلت قدرته · وهذا يتسق مع عقيدة النصارى فى عيسى عليه السلام اذ يدعونه « الرب يسوع » ومن كان ربا فهو ليس فى حاجة الى أن يرفعه رافع ، وانما يصعد هو صعودا ! ! ·

أفلست معى ــ أنت ــ فى أن هذه الدلالة الدقيقة مقصودة قصدا ، ولم يجرنها القلم اعتباطا ، ولا هى من محض الصدف ، ولا من باب المشتركات اللفظية التى يدعونها فى أصول اللغة مترادفات ·· ؟ !

خامسا صفات المسيح الأخرى :

لم يذكر البابا فى هذا القسم سوى قوله تعالى واصفا عيسى عليه السلام : « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » ثم قال :

« وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة ، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوا عجيبا · وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس » هذا كلامه · أما نحن ، فمع أن كلام البابا لم يغير من عقيدتنا شيئا مما هو معلوم ومعتقد لنا عن جميع أنبياء الله ورسله ، فاننا رجعنا الى ما قاله المفسرون فى شرح هذه العبارة فرأينا الآتى :

« وجيها » أى شريفا ذا جاه وقدر ·· القرطبى (حـ ٤ ص ٩٠) ·

« والوجاهة فى الدنيا النبوة ، وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة » الكشاف (حـ ١ ص ٤٣٠) ·

« وأما عيسى عليه السلام فهو وجيه فى الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه

ويحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص بسبب دعائه ، ووجيه فى الآخـرة بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحقين ، ويقبل شفاعته فيهم ، كما يقبل شفاعة أكابر الانبياء عليهم السلام » الفخر الرازى (حـ ٨ ص ٥٠) .

« وجيها » ذا قدر وجاه « فى الدنيا » بالنبوة والطاعة « وفى الآخـرة » بعلو الدرجة والشفاعة .. النسفى (حـ ١ ص ١٥٨) .

« وجيها فى الدنيا والآخرة » الوجيه ذو الجاه والشرف والقـــدر ، وقيل الكريم على من يسأل فلا يرد لكرم وجهه عنده ، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد ، ووجاهته فى الدنيا بالنبوة والتقدم على النـــاس (يعنى معاصريه) وفى الآخرة بقبول شفاعته وعلو درجته » .

« وقيل وجاهته فى الدنيا بقبول دعائه باحياء الموتى ، وابراء الأكمه والأبرص ، وقيل بسبب أنه كان مبرءا من العيوب التى أفتراها عليـــه اليهود ـ يعنى قولهم أنه ابن زنا ـ وفى الآخرة ما تقـدم » روح المعـــانى (حـ ٣ ص ١٦٢) .

هـــذه مذاهب خمســة من كبـــار المفسرين فى معنى « وجاهـة عيسى فى الدنيا والآخـرة » وهى محصورة فى الدنيا بأمرين هما : **النبوة** ويتدرج تحتها قبول الدعاء والكرم **والثانى** : البراءة من العيوب التى رماه بها اليهود.

ومحصورة فى الآخرين بأمرين هما : **قبول** شفاعته فى مؤمنى أمته فى زمانه والثانى علو درجته فى الجنة .

وهذان لم يخرجاه عن نطاق « البشرية » كما لم يميزاه عن اخوته الأنبياء فكلهم كان مبرءا من العيوب الخلقية والخلقية فى الدنيا . وكلهـم ذو شفاعة فى الناس يوم القيامة ، ولكنها شفاعة محدودة . وكلهم ذو درجة عالية فى الجنة بل أن الشفاعة يشترك فيها عباد الله الصالحون من غـــير الأنبياء ، مع الأنبياء والمرسلين . وقد ورد فى هذا نصوص كثيرة عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم منها قوله عليه السلام : « فان لكل أخ صالح يوم القيامة شفاعة » .

وبقيت كلمة واحدة حول حديث البابا عن المسيح عليه السلام ، وهى خاصة ببراءته من الخطايا ، ونحن نتفق مع البابا فى هذا المبدأ ، ونختلف معه فى تخصيصه بعيسى عليه السلام اذ الأنبياء كلهم معصومون من الخطايا ، وما جاءوا هم من عند ربهم الا ليحولوا بين عبـــاده وبين ارتكاب الخطايا

والآثام ولا يقدح فى هذا ان موسى عليه السلام قتل رجلا من المصريين ، لأن العبرة فى البواعث لا فى الفعل نفسه . وما حمل موسى على هذا الفعل الا متأولا . على ان العرض القرآنى لهذه الواقعة لا يفيد الا هم موسى عليه السلام بالوكز للزجر والدفع لا بقصد القتل . ولو أن هذه الواقعة حدثت فى عصرنا لكان نظر القانون اليها على أنها قتل خطأ لا عمد ولا اصرار فيه اذ هى ضرب افضى الى الموت كما يقول القانونيون المعاصرون .

وهذا هو عرض القرآن الأمين للواقعة :

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ، وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه . قال هـــــذا من عمل الشيطان انــه عدو مضل مبين . قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ، فغفر له انه هــو الغفور الرحيم » القصص (١٥ ــ ١٦) .

ان عنف الدوافع الى هذا الوكز ، جعلت موسى عليه السلام ينيب الى ربه فى ندم وتوبة ، وعلم الله بحالة موسى حين فعل ما فعل كان ســـببا فى سرعة عفو الله عنه وغفرانه ذنبه .

ويمضى البابا فيذكر حديثا شريفا يقول فيه راويه ــ على حــد تعبير البابا نفسه : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مولود من آدم الا ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخســـه اياه ، الا مريم وأبنها » .

وردنا على استشهاده هذا من وجهين :

الأول : أن القاضى عبد الجبار ناقش هذا الخبر وقال انــه خبر آحــاد على خلاف الدليل ، وأخبار الآحاد ــ كما نعلم ــ لا يبنى عليهـــا دليـــل يقينى : فهذا رد للحديث من جهة الرواية ، ثم اتبعه القاضى برد آخر من جهة الدراية فقال :

« وذلك لان الشيطان انما يدعو الى الشر من له تمييز » يقصد أن الطفل حين يولد لا يكون له تمييز فكيف ينخسه الشيطان بمعنى يدعوه الى الشر وهو لا ادراك له .

وقد تعقب الألوسى فى تفسيره روح المعانى الذى استيقنا منه هـــذا النقد فقال :

« الأخبار فى هذا الباب كثيرة وأكثرها وارد فى الصحاح والأمر لامتناع فيه ، وقد أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام فليتلق بالقبول » (١) أ ـ هـ .

ونحن مع الألوسى فيما قرره ، نلتقاه بالقبول خاصة وانه قد ورد فى صحيحى البخارى ومسلم ، ولا شأن لنا بما أورده عبد الجبار من طعن فى الخبر المذكور ، ولكننا مع عبد الجبار حين يقول : ولماذا اختص عيسى عليه السلام وأمه من بين سائر الأنبياء ؟

ولن نقف طويلا مع هذا التساؤل الذى أورده القاضى عبد الجبار ، فانه على حق فيما قال حول اختصاص عيسى وأمه . ودليلنا على هذا ليس هو القاعدة العامة بعصمة الانبياء فحسب ، بل ان خبرا كهذا قد ورد فى شأن يحيى عليه السلام .

فقد روى أبو صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه ، يعذبه عليه أو يرحمه ان شاء الا يحيى بن زكرياء ، فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » وفى رواية الترمذى فى نوادر الأصول ، والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد من ولد آدم الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة الا يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يهم بخطيئة ولم يعملها » وروى عكرمة عن ابن عباس نحو ذلك .

وفى تفسير ابن جرير الطبرى فى توجيه قوله تعالى : « وسلام عليه يوم ولد » أى أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم (٢) .. فاذا كان عدم نخس الشيطان لعيسى عليه السلام هو حفظه من الخطايا فان يحيى عليه السلام قسيمه فى هذا ، فسلام مولده عاصم له من نخس الشيطان وقد تعددت الروايات التى تنص على أنه لم يذنب قط .

وليس لنا من هدف فى هذه المقارنات الا أن تدفع غلوا رأيناه واضحا فى مقال البابا ، فأردنا أن نرى القارىء أن ما من فضل أتاه الله عيسى عليه السلام الا وآتى اخوانه الأنبياء والرسل فضلا مثله ، وتلك نعم الله يهبها

---

(١) روح المعانى (حـ ٣ ص ١٣٧) .

(٢) راجع فى هذه النقول : تفسير القرطبى (حـ ٤ ص ٧٨) وروح المعانى (حـ ١٦ ص ٦٥) وتفسير الفخر الرازى (حـ ٢١ ص ١٨٦) .

من شاء من عباده بحكمة وقدر • بل ان يحيى هذا عليه السلام قد وصفه الله بوصف لم يصف به أحدا من الأنبياء والرسل فضلا عن عامة الخلق ، وهو قوله تعالى « وسيدا » ومع انفراد يحيى عليه السلام بهذا الوصف ، لم يقل أحد بأن يحيى أفضل المرسلين والنبيين ، لان لهذا الفضل مقاييس أخرى ستعرفها ان شاء الله حين تأتى مناسبتها من هذه المواجهة ومن الخصائص التى انفرد بها يحيى كذلك قوله تعالى « لم نجعل له من قبل سميا » كما اختص اسماعيل عليه السلام بقوله تعالى : « انه كان صادق الوعد » ولم يقل أحد بأفضلية اسماعيل على سائر المرسلين ، وليس معنى هذا ـ كذلك ـ التعريض بغيره من المرسلين بأنهم لم يكونوا صادقى الوعد • وانما هذه كلها أوصاف أجراها الله على من أجراها عليه بحكم وقدر •

وصفوة القول : لم تكن معجزات نبى من الأنبياء سببا فى خروجه عن نطاق « البشرية » ولا هذا هو معتقد مؤمن صحيح الايمان ، وليست معجزات عيسى عليه السلام بأعجب من معجزات غيره من رسل الله ومصطفيه ، بل فى معجزات بعضهم ما هو أدخل فى باب الاعجاز ـ عند العقل ـ من بعض معجزاته • أو منها كلها •

وليس هذا تجنيا على عيسى عليه السلام ، وانما هو الحق الذى يجب أن يقال ونحن حين نفرق أو نقارن معجزاته عليه السلام بمعجزات الأنبياء والرسل لا نفرق بينهم فى قداسة الايمان بهم ، وتصديقهم فيما بلغوه عن ربهم ، ولو أن رجلا آمن وصدق بكل الانبياء ثم شك أو ارتاب حول « رسالة » واحد منهم ، أيا كان ذلك الواحد •• فلا ايمان له عند الله • ولهذا فاننا نسوى فى الايمان بينهم كلهم ونفضل ـ بعد ذلك ـ من فضله الله لا هوى من عند أنفسنا ولكن ايمان ـ كذلك ـ بقوله تعالى وهو مصدر الصدق والتوجيه :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات » (١) •

القضية الخامسة : ادعاؤه أن بنوة المسيح لله ـ سبحانه ـ لا تنافى التوحيد ؟ ! وتقدم هذه الفكرة عند البابا على ثلاثة دفوع :

الدفع الأول : أن القرآن ميز تمييزا واضحا بين الطوائف فذكر اليهود وذكر الصابئين ، وذكر المشركين ، ثم ابى ان يجعل النصارى الا قسما

---

(١) البقرة (٢٥٣) •

متميزا • فلو كانوا مشركين – على حد تعبيره – لما ميزهم عن تلك الطوائف • ولما كان هناك معنى لتمييزهم • ؟ !

الدفع الثانى : ان بنوة عيسى لله ، ليست بنوة جسدية تناسلية ، لان البنوة فى « اللاهوت » هى « كبنوة الفكر للعقل ، العقل يلد فكيرا وليست له صاحبة » ؟ ! •

وينبنى على هذا الدفع قوله : « والمسيحية لم تقل فى يوم من الأيام بألوهية العذراء مريم ، بل أن مريم نفسها تقول فى الانجيل انها « أمة الرب » فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله •• ؟ !

الدفع الثالث : ان ثالوث المسيحية ليس ثالوثا وثنيا كما ورد فى العبادات المصرية القديمة فى قصة الاله : أوزريس ، والالهة ازيس وابنهما الإله حوريس » المسيحية لا تؤمن بالشرك بالله انما تؤمن بالتوحيد •

ثم يقول : « فالله هو جوهر الهى (١) أو ذات الهية له عقل وله روح والثلاثة واحد ••• » ؟ !

ثم يضرب مثلا على صحة مدعاه فيقول : « كالنار لها ذات ، هى النار ، وتتولد منها حرارة ، وينبثق منها نور • والنار بحرارتها ونورها شىء واحد •• » ؟ ! هذه هى دفوع البابا فى ادعائه المذكور • وها نحن أولاء نوجهه على هذا الترتيب •

مواجهة الدفع الأول :

يستدل البابا بقوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ، المائدة (٨٢) وحجته – هنا – أن القرآن الكريم ميز بين النصارى وكل من اليهود والذين أشركوا •

ويستدل – كذلك – بقوله تعالى : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا • ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد » الحج (١٧) •

---

(١) راجع الكشاف (حـ ٢ ص ٦٣٧) •

أما الآية الأولى : « ولتجدن أقربهم مودة » فلها سبب نزول منصوص عليه فى كتب التفسير فهى تصف طائفة ـ فعلا ـ بكت من خشية الله وهم النجاشى وقومه . ومع هذا الخصوص الذى يفهم من سبب النزول فنحن نشهد ـ كذلك ـ للحق وللحق وحده أن النصارى الصق مودة بالمؤمنين ، وأكثر جوازا ومساعدة ، وأن منهم كثيرين وكثيرين يتوادون ويتحابون مع المسلمين ويتبادلون فيما بينهم صنائع المعروف وهذا هو الغالب على أبناء الشعوب المسيحية ، وعندنا هنا فى مصر أروع الأمثلة على تلك المودة اذ لا تفرقة ولا تمييز ، وفى كثير من المواضع تلاصق الكنيسة المسجد وكل منا يعبد الله حسب عقيدته . وأفراح المسلمين تعج بجيرانهم النصارى ، وأفراح النصارى يشترك فيها جموع من المسلمين . يتبادلون التهانى فى المناسبات الطيبة ، ويتعازون فى المصائب ويواسى بعضهم بعضا .

نحن لا ننكر ذلك أبدا ، ولا ندعى أن صلتنا بالنصارى مثل صلتنا باليهود ولا ندعى أن قلوب كل النصارى موغرة ضد المسلمين . كل هذا باطل ومدعيه مجانب للحقيقة .

وانما الذى ننكره ونواجهه بكلمة الحق هو أن يحاول فريق من أي منا مسلمين أو نصارى ليعكر هذا الصفو ، ويذرع العداوة والبغضاء بين أبناء الملتين . وهذا ما يفعله بعض رجال الكنيسة فى بعض الأحيان . فالعلاقات بين عامة المسلمين وعامة المسيحيين ـ هنا فى مصر بالذات ـ طيبة الى أبعد الحدود ، ولكن حين يصدر مقال أو كتاب ، أو نشرة تهاجم عقيدة المسلم فان على رجل الدين الاسلامى أن يتصدى لها دافعا الحجة بالحجة والفكر بالفكر . ونحن نقول ما نقول صراحة وعلنا ولا ندرى ما يقال من قبل بعض رجال الكنيسة الى الشعب المسيحى ، وبعضه يوقر صدورهم نحو جيران لهم مسالمين آمنين لا يضمر دينهم شرا لأحد بل وصاهم بحسن المعاملة وان لا يفتنوا أحدا فى دينه .

« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » و « لا اكراه فى الدين فقد تبين الرشد من الغى » .

ونحن نتمنى أن يلتزم كل منا حدوده فلا يعتدى على عقيدة الآخر . فالفتنة نائمة لعن الله موقظها .. ولا يسعنا فى هذا الصدد الا أن نقول لكل مخالف لنا فى العقيدة أو الرأى :

« اعترف لنا بحقنا فى الحياة نعترف لك بذلك الحق • أمنــا على حاضرنا ومستقبلنا لا نجد طريقا لمعاداتك » •

أما الآية الثانية « ان الذين آمنوا والذين هادوا » • الخ فلا حجة للبابا

فيها فان تمييز النصارى عن بقية الطوائف المذكورة فيها لا يفهم منها أبدا أن الاسلام يقر النصارى على ما هم عليه من عقيدة التثليث وانكار رسالة خاتم النبيين ، ثم يعتبرهم فريقا متميزا ثابتا على الحق أو موحدين لان الآية انما ذكرت تلك الطوائف وهم الذين آمنوا • واليهود ـ والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، لان كل طائفة منها عقيدة تخالف الأخرى وقد قدم المؤمنين على بقية الطوائف ، لأنهم هم وحدهم الذين صدقوا بما أنزل الله على سائر رسله ، ثم عدد بعدهم بقية الطوائف على أساس اختلاف عقيدة كل طائفة عن الأخرى فهم مختلفون مجتمعون :

مختلفون فى كنه العقيدة • فعقيدة اليهود غير عقيدة الصابئيين ، وعقيدة هؤلاء الصابئيين غير عقيدة المجوس وغير عقيدة النصارى الخ •

ومجتمعون حيث أنهم جميعا يجمعهم وصف واحد وهو مخالفة للحق الكلى الذى يجب أن يتبع • فالكفر كله ملة واحدة •

وحرصا من الاسلام على حسم الجدال بين هؤلاء الطوائف ، وترك التخاصم الجدلى فوضت الآية الكريمة أمر الفصل بينها الى الله يوم القيامة « ان الله يفصل بينهم » •

أتدرى لماذا ؟ لأن الخلافات الدينية الكبرى لا يملك الفصل فيها أحد فى هذه الدنيا ، لان العثور على حكم مجرد غير ممكــن فيها • فاذا اختلف يهودى ومسيحى فهل يحتكمان الى مسلم ؟ كلا • لان كل منهما يفترض فيه خصومة فحكمه ـ اذن ـ غير مقبول •

وكذلك لو اختصم اليهود والمسلمون لدى نصرانى ، أو اختصم المسلمون والنصارى لدى اليهود • فان الشعور بالخصومة لا يكاد يفارق أحدا ممن ذكرنا •• وبناء على هذا فان « الحكم المجرد » فى الخلافات الدينية الكبرى القائمة بيننا لا يمكن العثور عليه فى حياتنا الدنيا • ومن أجل هذا كله اختص الله نفسه بالنظر فى هذه القضية ، فقوله وحده هو المسموع فيها ، وحكمه وحده هو المقبول فيها وهو حكم مقرون بالنفاذ مثوبة وعقوبة ، فلنرجىء الفصل اليه وليكف كل منا عن أذى الآخر حتى تلقاه •

مواجهة الدفع الثانى والدفع الثالث :

كان تصوير الدفع الثانى عند البابا هو أن بنوة عيسى لله ــ سبحانه ــ ليست بنوة جسدية تناسلية وانما هى بنوة روحية كبنوة الفكر للعقل ، ولن نطيل معه فى هذا الدفع لان الفكرة المقيسة هنا ، وهى فكرة بنوة عيسى لله ــ سبحانه ــ ، تختلف كل الاختلاف عن الفكرة المقيس عليها ، وهى صلة الفكر بالعقل ، وصلة حرارة النار ونورها بالنار . فعيسى عليه السلام مولود قطعا لأم معروفة . حملت به كما يحمل النساء ، ووضعته كما يضعن . وعيسى عليه السلام جسد وروح وعقل متميز تماما عن أمه كما تميز الأطفال عن أمهاتهم . لكل منهم كيانه المستقل . يحس ويشعر ويأكل ويشرب ويصحو وينام ويتألم ويسعد . له بداية ، وله نهاية . وهيكله الجسدى لم يبق بعد زواله .

بينما الفكر معنى من المعانى يدرك بالذهن وليس له صورة ولا شكل ولا لون ولا تميز يشغل به حيزا من الفراغ . ومع هذا الفارق الجوهرى بين ما يريد اثباته البابا من بنوة عيسى لله ــ سبحانه ــ وبين الفكر من حيث صلته بمصدره العقل ، فان أحدا لم يقل أن الفكر ابن العقل وهو يعنى أنما يقول حقيقة الا على ضرب من المجاز والتأويل .

وما يقال فى صلة الفكر بالعقل يقال فى صلة الحرارة والنور بمصدرهما النار ؟ فليست الحرارة شيئا غير النار وليست النار شيئا غير الحرارة ، ولكنهما متلازمان فبلوغ الحرارة درجة معينة تتولد عنه النار بحيث لا يدرى ايهما بنت الاخرى كما لا يدرى ألفرخة بنت البيضة أم البيضة بنت الفرخة . والنور أمر اعتبارى وان بدا له لون فى الظاهر فليس له جسم ولا حجم ولا وزن .

ومع هذا كله فليست بنوة النار للحرارة ، أو الحرارة للنار ، أو النور للنار ، ليست هذه كله بنوة حقيقية كما يلزم من قولكم ببنوة عيسى لله ــ سبحانه ــ لان فى بنوة عيسى لله ــ سبحانه ــ فصلتم بين « الاقانيم » أو العناصر فصلا واضحا ، وهو كذلك فى الواقع . فالله ليس هو عيسى ، ولا عيسى هو الله « ليس كمثله شىء وهو السميع » .

وهذا يلزمكم بالتسليم بوجود « الصاحبة » لله ــ سبحانه ــ لانها موجودة فى الواقع ــ مريم أم المسيح ــ فلا تستطيعون التخلص منها وان حاولتم فلن يقنع أحد بما تقولون ، الا أن يلقى ذلك « الاحد » عقله وفكره .

وكنا لا نريد أن نحرجك بكلام قاله أحـد مرءوسيك الـذى تصفونه فى كتاباتكم بالكاتب القدير ، وهو الاستاذ يسى منصـور حيث يقول فى كتـابه : رسالة التثليث والتوحيد » ص ٢٦٠ كما نقل عنـه الاستاذ محمد مجدى مرجان فى كتابه المعروف (١) .

قال الاستاذ يسى منصور : « ان الروح القدس هـو الاقنوم الثالث فى اللاهوت وهـو ليس مجرد تأثيرا أو صفة أو قوة ، بـل هـو ذات حقيقى ، وشخص حى (!) وأقنوم متميز ، ولكنـه غير منفصل ، وهـو وحـدة أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن ، ومسـاو لهما فى السلطان والمقـام ، ومشترك واياهما فى جوهر واحد . وقبل هـذا قال فى كتابه المـذكور ص ٤٥ وما بعدها :

« ان الروح القدس هـو اللـه الأزلى ، فهو الكائن منـذ البـدء قبـل الخليقة . وهـو الخالق لكل شىء ، والقـادر على كل شىء ، والحاضر فى كل مكان وهو السرمدى غير المحدود » .

وكلام الاستاذ يسى منصور الكاتب القـدير يحمـل تناقضين ، احدهما مع ما قـد قررتموه أنتم فى تشـبيه بنوة عيسى للـه ـ سبحانه بكل من بنوتى الفكر للعقل والحرارة والنور للنار .

وثانيهما مع مـا قرره هـو فى نصه السابق على هـذا النص . واليك البيـان :

أولا ـ تناقضه معكم :

فى تمثيلكم بنوة عيسى للـه ـ سبحانه ـ ببنوة الفكر للعقل ، والحرارة والنور للنـار ذهبتم الى القول بالوحدة « المعنوية » وهـذا قولكم « والنار بنورها وحرارتها شىء واحد » .

بينما الكاتب القدير يخالفكم ففى حديثـه عن الروح القـدس « الاقنوم الثالث » يقـرر أنه « ذات ، وشخص حى » وأنـه « متميز » وانه « غير أقنوم الآب وغير أقنوم الابن » وانه « مساو لهما فى السلطان والمقام » أى للاقنومين الاول والثانى . وبهذا التميز والتشخص الحى ، والمساواة فى السلطان والمقـام لا يصبح لقولكم « والنـار بنورها وحرها شىء واحد » ؟ ! ! وليس هـذا بالشىء الهين عند الفكر والعقـل ألست معنـا فى هـذا الفهم . ؟ !

(١) الله واحد أم ثالوث ؟ (ص ١١٦) .

ثانيا ــ تناقضه مع نفسه :

فالاستاذ يسى منصور أثبت فى النص المنقول عنه من ص ٤٥ من كتابه المذكور أن الروح القدس هو الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء · مع أن هذا لم يسلم له لأن « الكلمة » صادرة عن « الآب » فهى له ــ اذن ــ وليست للروح القدس فأين ادعاء خلق كل شيء للروح القدس اذن ؟ والاب هذا هو الذات · فهل ذات بلا روح ؟ آ ان الامر ــ كذلك ــ فهل ترقى ذات لا حياة فيها فتصبح الاها ؟ وإذا كانت ذات روح فهل هى روح القدس ؟ وان كان الامر كذلك فهل روح القدس هى الموجدة للذات لتقوم بها ، واذا كان الأمر كذلك فهل احتياج الروح القدس الى الذات ضرورى · ان قال ضرورى نقل ان تلك الروح ليست ذات كمال مطلق لاحتياجها الى ذات تقوم بها ، وان قال غير ضرورى كان خلق الذات عبثا فلا يصح أن تكون الاها ·

وإن قال انها روح أخرى غير الروح القدس قلنا · فلماذا أهملتم تلك الروح فلم تجعلوها اقنوما رابعا ؟

واذا كان الروح القدس مساوية للاب والابن في السلطان والمقام أليس وجود واحد منها « الاقانيم الثلاثة » مغنيا عن وجود الاقنومين الآخرين وحتى هذا الذى يفلسفه الكاتب القدير يسى منصور من ادعاء التساوى بين كل من الاقانيم الثلاثة يناقضه وينازعه واقع العقيدة عند المسيحيين كيف ··· ؟ !

لانهم جعلوا الله الآب مصدر العدل ·· ؟

وجعلوا الله الابن مصدر الرحمة ؟

وجعلوا الله الروح مصدر النعمة ؟

وعلى هذا فالله رقم واحد لا سلطان له فى مجالى الرحمة والنعمة ؟ ؟

والله رقم اثنين لا سلطان له فى مجالى العدل والنعمة ؟ ؟

والله رقم ثلاثة لا سلطان له فى مجال العدل والرحمة ؟ ؟

الست معنا ــ يا سيادة البابا ــ فى هذا الفهم ·· ؟

وكذلك فانهم غير متساوين فى المقام · فما دام الله الروح القدس هو الموجود منذ البدء قبل الخليقة · فهو أعلى مقاما من الله الآب »

والله الابن • والله الآب أعلى مقاما من الله الابن ، لأن الله الآب هـــو الناطق ، والله الابن هـو « المنطوق » فكيف اذن يقــال انهم متســاوون فى المقـــام •

وبمراجعة جـــدول الاختصاصات المـذكور أعـــلاه يتضح كذلك ـ أن اللـه الروح القـدس هـو المتصرف فى كل الامور ، لأن العـــدل والرحمـة جزءان من كليات النعم • ؟

ثم كيف يقال ـ بعـد ذلك التمايز الـذى أثبتـه الكاتب القدير الاستاذ يسى منصور ـ كيف يقال انهم فى « جوهر » واحد •

ولا غرابة فى هـذا الاختلاف الـذى لا يكاد يستقر على قـدم فان البابا نفســه عـاد فناقض مـا أثبته فى صورتى ولادة العقـــل للفكر ، وولادة النـار لكل من النور والحرارة • فبينما البـــابا يصرح بأن النـار ونورها وحرارتها شىء واحـــد ، توطئـة لقبول فكرة التوحيد التى يقول بها مـع اعتقاد التثليث • يعـود فى نهاية المقال فيقول :

« فليس معنى كل ما قلناه ان القرآن والمسيحية شىء واحـــد • كلا • فهنـاك خـلافات جوهرية منها **التثليث والتجســد** ولاهوت المسيح وصلبه ومنها أسرار الكنيسة والقرآن نفسه » •

أفليس هـــذا رجوعا عما حاول البابا ايهـــام القارىء من امكان اعتبار المثلث موحـــدا • ومن نفى التثليث الوثنى عن معتقـــد النصارى « المثلث » ؟ ! سـمه رجوعا ، أو سـمه تناقضـا ، وبأى اسم سميته فان مؤداه الـــذى لا يرتاب فيــه ذو نظر أن التثليث اشراك • كيفما فسر وعلى أى وجـــه وجهوه •

وان التوحيد ايمان وبين التوحيد والتثليث ، والاشراك والايمان ما بين النور والظلمات • فأنى يلتقيان •• ؟ !

« ان مثـل عيسى عند الله كمثل آدم خلقـــه من تراب ثم قـال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين • فمن حاجـــك فيـه من بعـد ما جاءك من العـــلم فقـل تعالوا : نـدع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين • ان هذا لهو القصص الحق ومـــا من اله الا الله ، وان الله لهو العزيز الحـكيم • فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين » آل عمران (٥٩ ـ ٦٣) •

القسم الثاني

وثيقة : استحالة تحريف الكتاب المقدس

عرض ونقد

استحالة تحريف الكتاب المقدس ·· ؟ !

أشرنا من قبل الى هـــذا الكتاب ، وقدمناه للقـــارىء ، وأوجزنا الحديث عن محتوياته · والصلة بين كتاب « الاستحالة » وبين مقـــال البـــابا الذى قـــد واجهناه في الصفحات السابقة وثيقة العرى · فقـــد تبنى الكتـــاب كل القضايا التى آثارها المقـــال ، وأضاف اليها قضـــايا أخرى من اللـــون نفســــه ·

ومنهج كتاب « الاستحالة » هـــو منهج البابا نفسه :

فكل منهما عرض لعقائد تتفق وتختلف مع العقائد الاسلامية · وكل منهما ســـطا سطوا غير محمود على نصوص القرآن الحـــكيم محاولا أن يتخذ منها دليلا على صـــــدق مدعاه من عقائد مرفوضة عقلا ونقلا · وأحيانا يتخذون من آيات القرآن الكريم نصوصا للتدليل على « تكـــذيب القرآن نفسه ؟ ! » أو الحكم على المسلمين بالكفر والخسران ·· ؟ !

وكل منهما يلجـــأ الى نصوص من الســـنة المطهرة ليتخذ منها دليلا على « نقص » قائلها ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقصوره وضعة منزلته (!) هـــكذا سولت لهم أنفسهم ·· ؟ !

ولم يكن رسول الاســـلام ــ على حـــد تعبيرهم ــ هـــو وحـــده الذى تعرض لطعونهم وهجومهم · بـــل ان رســـل اللـــه كلهم : ابراهيم ، وموسى ، وداود ··· كل هؤلاء الكرام كانوا فريســـة لكتاب « الاستحالة » فكلهـــم آثمون مخطئون · (!) بـــل ان البشرية كلها قـــد سقطت فى « كتاب الاستحالة » لان أباهم آدم قـــد سقط (!) فـــلم يكن من بينهم « فاضل » أبـــدا · فكلهم آثمون اولاد آثمين ·

ولم يستثنوا من هـــذا العموم الا « الرب يسوع » عيسى عليه السلام وأمـــه وحوارييه (!) ·

ثم استلبوا نصوصـا من القرآن العظيم وحاولوا أن يقيموا منها أدلة على صـــدق مدعياتهم ، وهى كثيرة نخص منها ما يأتى :

(أ) سلامة الكتاب المقـــدس من التحريف واستمرار العمل به ·· ؟ !؟

(ب) صلب المسيح فـــداء للبشرية من الاخطـــاء الموروثة ·· ؟ !

(جـ) ان اليسوع عيسى هــو « الله » ... ؟ ؟ ؟ ! ! !

(د) ان اليسوع عيسى هــو « الديان » ... ؟ ؟ ؟ ! ! !

(هـ) ان القرآن يبطل بعضه بعض » ... ؟ ؟ ؟ !

(و) ان رسول الاسلام لم يأت بمعجزات » ... ؟ ؟ ؟ !

(ز) ان عقيدة « التثليث » المسيحية معمول بها في الاسلام ... ؟؟؟ !!!

ثم استحدث كتــاب « الاستحالة » طريقة لم يلجــأ اليها البـابا في مقاله لاسباب ظاهرة . وهـــذه الطريقة تتلخص فى عمل « جداول » كل جدول منها أخضعوه لغرض خاص . وقـــد جاءت فى الكتاب على الترتيب الآتى :

● جدول رقم (١) عقدوا فيــه مقارنة بين رسول الاسلام من خــلال نصوص قرآنية . وبين عيسى من خلال نصوص انجيلية ، وهما من النصوص التى تتحدث عن « الرسولين » وكأن عيسى هو الصاعد بالطبع .. ؟ !

● جدول رقم (٢) قارنوا فيه بين النصوص القرآنية ونصوص انجيلية تتحدث عن المسيح ، محاولين اخضاع النصوص القرآنية لأهدافهم .

● جدول رقم (٣) لبيان المواضع التى اقتبس فيها القرآن الحميد من الكتاب المقدس « العهد القديم » يعنون : التوراة .. ؟ !

● جدول رقم (٤) لبيان المواضع التى اقتبس فيها القرآن من الكتاب المقدس « العهد الجديد » ويعنون : الانجيل .. ؟ !

● جدول رقم (٥) اثبتوا فيــه نصوصا من القرآن يرفضها النصارى لاختلافها مع عقيدتهم .

وغير هــذه وتلك فان كتاب الاستحالة قــد تجاوز كل حــد فى المغالطات والتجنى التى لم يكن لها من باعث ســوى الهــوى ، الــذى حملهم على أن يستهتروا بكل قيم النقل والعقل . ترى ذلك واضحا فى كل ما سطروه وادعــوه .

وغير خاف على القارىء أن بعض هــذه الشبه التى أثارها الكتاب قــد

واجهناها فى مناقشتنا السابقة ٠ وهـــا نحن الآن نعرض لبيان مـــا جاء فى كتاب الاستحالة من زيف وخاصة تجرؤهم على النصوص القرآنية ، واقحامها فى مواضع هى غريبة عنها كل الغرابة ٠ ؟ !

ونحن حين ندخل فى حلبة هذا الحوار ٠ ندخلها فى ثقة غير خائفين من كســـاد تجارتنا ٠ وأكرر فأقول : غير خائفين من كســـاد تجارتنا ، لاننـــا لن نطرح فى ســـوق الحوار والجدل بضاعة زائفـــة أو مزيفـــة فنخشى بوارها ٠ ولن نطرح فى سوق الحوار والجدل بضاعة مســـلوبه أو مغصوبة فنخشى افتضاح أمرنا من عثور مالكها « الحقيقى » علينا وعليها ولن نطرح فى سوق الحوار والجـــدل الا بضاعة « أصيلة » هيمن صانعها على « حمايتها » فـــلم تعبث بهـــا أيدى « غلمة الانتاج » ولم يغير من جـــودة « صنعها » تطـــاول زمان ، أو تشعب مكان أو هـــوى كهان ٠ « انـــا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٠

بضاعة عتيقة ان حمد العتيق ، متجددة ان طلب الجديد ٠ طعمهـــا هو هو لم يتغير ولونها هـــو هو لم يتبدل ٠ وثوبها هـــو هو لم يرث ٠ مصونة من هوس التقليد لوحـــدة « صانعها » خزائنها ملأى لا تنضب وان كثروا ردوها ٠ فيها من القديم آصله ، ومن الجديد أسبقه ٠ سابقت فسبقت ٠ وجـــاورت فأفحمت ٠٠ وسيظل هـــذا حالها حتى يرث الله الارض ومن عليها ٠ وما عليها ٠

« ان الـــذين يلحـــدون فى آياتنـــا لا يخفون علينـــا ٠ أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة ٠ اعملوا ما شئتم ٠ انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لـــما جاءهم ٠ وانه لكتاب عزيز ٠ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١) ٠

القضية الاولى ـ سلامة الكتاب المقـــدس من التحريف ، واستمراره ؟ !

لقد واجهنا فى مقـــال البابا هـــذه القضية ٠ ورددنـــا للنصوص القرآنية التى قسرها قسرا على مراده ٠ وكان من الميشوز أن نهملهـــا عند مواجهتنا لـــما جـــاء فى كتاب « الاستحالة » من مغالطات ٠ بيـــد أن توسع الكتـــاب لهـــذه الدائرة ، وقسره نصوصا قرآنية أخرى للتدليل عليها ، ومزالق جديدة تورط فيها مؤلفه ومعاونوه ٠ كل هذا حبب الينا ، أو قل :

---

(١) فصلت (٤٠ ـ ٤٢) ٠

أوجب علينا التصدي لها ، حتى لا نـذر شبهة واحدة قائمة في هذا المجال .

وقد عرض كتاب « الاستحالة » هـذه الفكرة موزعا لها على وحدات وهى :

اولا ـ شهادة الاسلام أن الكتاب المقدس كتاب منزل من الله :

وشطر هـذه الوحدة ثلاث شطرات :

احداهما : خاصة بالتوراة « العهد القديم » واستدل عليها بما يأتى :
« ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضيـاء وذكرا للمتقين » الانبياء (٤٨)

وقوله تعالى :

« ... قـل من أنزل الكتـاب الـذى جـاء بـه موسى نورا وهـدى للناس ... قـل الله ... » هـكذا نقل كتاب « الاستحالة » والغرائب هـذه الآية مع أن نص الآية هـكذا :

« وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شىء . قـل من أنزل الكتاب الـذى جـاء بـه موسى نورا وهـدى للنـاس . **تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتهم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** قل الله . **ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون »** الانعام (٩١) .

قارن ـ عزيزى القارىء ـ بين نص الآية كاملا ثم ذكرناه وبين الصورة التى نقل بهـا « كتاب الاستحالة » والغرائب نفس الآية . وتسهيلا فقـد وضعنا لـك خطـا تحت النصوص التى اهملوها من الآية من أولها ومن وسطها وآخرها والقوم ـ هنـا ـ يتحدثون عن « أمانتهم المعلمية » وأن ما بين يديهم من توراة وانجيل مصون لم يحرف . ثم هـم أولاء يثبتون بيقين ـ أحبوا أم كرهوا ـ أنهم غير أمناء على « النصوص » وليست لهـا عندهم حرمة . فما وافق هواهم اثبتوه ، ومـا كان ضد هواهم أخفـوه . ولا تظن ـ أيها القارىء ـ أن صنيعهم فى هـذه الآية انما حملهم عليه الاختصار والاقتصار على موطن « الشاهد » فهذا الظن مردود من وجهين :

الاول ـ ان المنهج المتبع فى مثـل هـذه المواقف أن يضع الكـاتب سطرا من النقط هـكذا (...) لينبـه القـارىء على أن « هنـا » حذفا ليراجعـه فى مظانه ان شـاء . ومؤلف كتاب « الاستحالة » والغرائب ومعاونوه لم يفعلوا شيئا من هـذا . ولا نظن انهم يجهلون .. ؟ !

والوجه الثانى : الآية اشتملت على « فقرات » تعريفهم فى نفس القضية

التى يحاولون اظهار براءتهم فيها . ونفس تلك الفقرات هى التى حـــذفوها فصدر الآية المحذوف فيه ادانة صريحة لليهود بنكرانهم أن القرآن وحى .. ؟

واستدلوا على هذا القول الضال بأن الله لم ينزل وحيا على أحد من البشر . فكيف يقول محمد (١) اذن أنه رسول موحى اليه .. ؟

فعلم الله رسوله أن يقول لهم : « من انزل الكتاب الـــذى جـــاء بـــه موسى .. ؟ ! وهو بين ايديهم تجعلونه مجموعات تظهرون بعضها وتخفون بعضها . وهذا هو مدخل التحريف الذى يحاول الكتاب « الاستحالة » نفيه عن اليهود وعن التوراة . فالقوم ــ بناء على هـــذا ــ قصدوا ذلك الحذف قصدا ، لانهم أصحاب مصلحة فيـــه . فأين هى الامانة العلمية عندهؤلاء ــ يا ترى (٢).

واذا كان هذا صنيعهم مع القرآن ، ولـــه حفاظـــه وحراســـه . فما بالك بما بين أيديهم من نصوص وكتب هـــم أصحاب الكلمـــة فيها .. ؟ ! وصدق الشاعر الذى قال :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

الشطرة الثانية : وهى خاصة بالزبور المنزل على داود عليـــه السلام . واستدلوا فيها بقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » الانبياء (١٠٥) .

وبقوله تعالى : « .. ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينـــا داود زبورا » الاسراء (٥٥) .

الشطرة الثالثة : وهى خاصة بالانجيل . واستدلوا بالنصوص الآتية (٣) :
« وليحكم أهـــل الانجيل بما أنزل الله فيه » المـــائدة (٤٧) .

« ثم قفينـــا على آثارهم برسلنـــا ، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل » الحديد (٢٧) .

---

(١) صلى الله عليه وسلم .
(٢) ثم تأمل بقية ما حذفوه منها لتزداد يقينا بما نقول .
(٣) لن نكرر ــ هنا ــ ذكر الآيات التى ناقشناها فى مقال البابا الا ان أضافوا اليها جديدا لم يقله هـــو .

واستدلوا بالآية الآتية وصدروها بعنوان كالآتى :

الانجيل موحى بـه للحواريين (التلاميذ الاثنى عشر) :

أما الآية فهى :

« واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنـــوا بى وبرسولى • **قالوا آمنـــا واشهد بأننا مسلمون** » المـائدة (١١١) •

وقد أهمل كتـاب « الاستحالة » والغرائب عجز الآية الـــذى بالبنط الاسـود كمـا ورد فى الآية تحريف فوضعوا « للحواريين » بـدل « الى الحواريين » أما سبب اهمال عجز الآية فلا أظنـــه خافيا على أحـد • وأمـــا التحريف فلنكن حسنى الظن فنعزوه الى « مجرد الاهمال » الخـالى من القصد •

ثم أثبتوا بعد هـــذا عنوانا هو :

التلاميذ يبشرون بالانجيل ، ويبلغون بـه العالم :

واستدلوا بقوله تعالى : « قالوا ربنـا يعلم أنـا اليكم لمرسلون • ومـا علينا الا البلاغ المبين » يس (١٦ ــ ١٧) •

كما استدل على تنزيل الكتاب المقـــدس بعهديه بآيات منها قوله تعالى :

« •• قـــل آمنت بما انزل الله من كتـــاب وأمرت لاعـدل بينكم •• » هـــذا ما ذكره من الآية • ونحن نذكرها بتمامها وهى :

« **فلـــذلك فادع ، واستقم كمـــا أمرت ، ولا تتبـع اهـــواءهم (!)** وقـــل آمنت بمـــا انزل اللـــه من كتـاب ، وأمـرت لأعـــدل بينكم ، **الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم اعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم • اللـــه يجمع بيننا واليه المصير** » الشورى (١٥) •

حذف صـدر الآية ، لأن فيـه تثبيتا للرسول عليـــه السلام ، وأمرا بمخالفة أهواء أهـــــل الكتاب ، وبأن يعلن ايمانه بما أنزل من كتـاب بحسب ما انزله الله لا على ما هى عليه من تحريف •

ثم حـذف عجز الآيـــة ــ كما تراه **مخطوطا** ــ وهـو يظهر سموصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم اذ ينهى معهم الجـــدل بهـذا التفويض **الهادى** « الله يجمع بيننا واليه المصير » •

والقوم في هـــذه النصوص كلهـا متمسكون بأن الكتاب المقـدس منزل من عند الله بعهديه القديم والجديد : التوراة والانجيل • ونحن لا خـلاف عندنا في أن كـلا منهما موحى بـه الى موسى وعيسى عليهما السلام • ولكن ايماننا يختلف عن ايمانهم وفهمنـا لكل من التوراة والانجيـل يختلف عن فهم اليهود لتوراتهم ، وعن فهم النصارى لعهديهم القديم والجديد ، واختلافنا مع النصارى في هذين معـا أكثر عمقا من اختلافنا مع اليهود • واليـك البيـان :

فاليهود مقرون بأن التوراة نزلت على موسى من عند الله ، ويفهمون أن التوارة هي الكتاب المنزل على موسى من عند الله •

أما النصارى فانهم لا يؤمنون بأن الانجيـل وحي من عند اللـه نزل بـه جبريل عليه السلام على عيسى عبد الله ورسوله • ولا يفهمون ــ تبعا لذلك ــ أن الانجيل هـو الكتاب المنزل من عند الله على عيسى عليه السلام • بـل يؤمنون بأن الانجيل كتـاب لم يتلقـه عيسى عن وحي ، وانما هـو كلامه هـو أملاه شفويا على تلاميذه الاثنى عشر مرة ، أو الاربعة كما تختلف وتضطرب آراؤهم في هـذا المجال • وليس هـو انجيلا واحدا ــ كمـا ينبغي أن يكون ــ وانما هـو أربعة أناجيل وهي : انجيل متى ، وانجيل مرقص ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا •

وهـذا الكلام ليس من عندياتنا بل هو عقيدتهم المجمع عليها • وما عليك الا أن تفتح كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » في طبعتـه الثـانية فانك سوف تجد في النصف الاسفل من ص ٦٩ ما يلي بالحرف الواحـد :

« ولذلك فالانجيل ليس كما يتصور البعض (١) انه كتاب أوحي به للسيد المسيح ؟ بل هو رسالة أعدها المسيح للعالم ، ووعظ بها بفمه الطاهر • فالسيد المسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة ، كما انه لم يكتبها ، وانما عملها شفويا لتلاميذه المختارين ، وأرسلهم الى جهات مختلفة لينشرونهـا (٢) ويعلمون غيرهم ، ولذلك دعوا رسلا ، ووعدهم بالروح القدس ليعلمهم كل شيء ، وقد أحدث هذا يوم الخمسين فأخذوا يبشرون الجميع بالانجيل في كل مكان ،

---

(١) المراد بالبعض هنا هم المسلمون •

(٢) في العبارة خطأ نحوي آثرنا تركه كما هو للامانة المطلوبة في النقل• وصحة العبارة بعد التصحيح « لينشروها ويعلموا غيرهم » بحذف النون لان الفعل منصوب بعد لام التعليل وهو من الأفعال الخمسة •

ويقدمون لهم رسالة الخلاص بما يلائم عاداتهم ولغاتهم • وحسب ارشـــاد الروح القدس لهم ، فليس معنى هذا وجود أربعة أناجيـل ـ كما يعتقـــد البعض ـ انما هو انجيل واحد له أربع صور لتكون الشهادة قوية » •• ؟ !

وهنا نقرر ما يأتى :

أولا : ان الخلاف بيننا وبين اليهود أيسر من خلافنا مع النصارى فى فهم كل منهما لحقيقة كتابه • فنحن نؤمن بالتوراة ، كما يؤمن بها اليهود • ولكن ايماننا بها منصبا على التوراة التى أنزلها الله على موسى لا التوراة المحرفة التى هى بين أيديهم •• وفهم اليهود للتوراة لا يختلف عن فهمنا لها ما دمنا مقرين بأنها وحى من الله •

أما اختلاف مع النصارى فصورته هى الآتية :

هم يؤمنون بانجيل أو أناجيل غير موحاة من عند الله ، بـل هى كلام عيسى نفسه أملاه على حوارييه • ونحن لا نؤمن بهـــذا اطـلاقا وانما نؤمن بالانجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام • اننا نؤمن بالفكرة والمبدأ فحسب • واذا كان هذا هو فهم النصارى للانجيل فأين هو الانجيل الموحى به الى عيسى • لقد أضاعوه ـ فعلا ـ بناء على كلامهم هذا • فايماننا اذن متعلق بذلك الانجيل الذى أوحى الله به ولا يعلم أين هو الا الله وحـــده • أمـــا الانجيل الذى أملاه عيسى شفويا فلا نؤمن به ولا نعترف به أبدا •

ثانيا : وكون الانجيل رسالة شفوية « عيسوية » صرفة أملاهـــا عـلى تلاميذه بلغات مختلفة أو كتبها التلاميذ على هذا الوجه • فمظنـــة التحريف ما زالت قائمة على اصول ثابتة فعليهم أن يتقبلوا نتيجة ما قرروه بأنفسهم • ؟

ثالثا : واذا كان هذا هو فهم النصارى للانجيل • انه غير موحى به من عند الله • فعلام اذن استشهادهم بالآيات السابقـــة والتى تنص على أن الانجيل منزل من عند الله ودلت على هذا عناوينهم التى قدموا بها الآيات • أليس هذا تناقضا عجيبا واضطرابا شنيعا يقعون فيه فى كتـاب واحـــد • وصفحات متجاورات • أألقى القوم عقولهـم أم توهموا أن عقولنـــا هى الملقـاة • ؟ !

لا يهمنا الأمر كثيرا القاء عقولهم ، أو توهم القاء عقولنا • وانما الذى يهمنا النتيجة التى ينبغى المصير اليها وهى أن القـوم ليســوا على شىء • فليراجعوا أنفسهم ان كانوا يبغون الحق • وأن يتجرعـوه وان كان مـرا مؤلمـا •

(م ـ ٦ ـ مواجهه صريحة)

رابعا : انهم أحيانا يقولون أن الانجيل موحى به الى عيسى عليه السلام — — وقد علمنا أن هذا ينافي عقيدتهم بحسب كلامهم — ثم يعودون فيقـولون أن الانجيل موحى به الى الحواريين • والموحى هو الله • ويستدلون بآيـة « واذا أوحيت الى الحواريين » وقد علمت أنهم لا يؤمنون بمبـــدأ الوحى « الانجيلى » فعلام اذن هذا التضليل ؟ !

خامسا : وفى مسألة ايحاء الانجيل الى الحواريين قالوا : « **التلاميذ يبشرون بالانجيل ويبلغون به العالم (١)** » • وهذه مبالغة ممقوتة ومردودة من وجهين • أحدهما أن الآية التى استولدوا منها هذه الفكرة الخاطئة ليس المراد منهـا « تلاميذ عيسى » • (بل أن المقصود بها رسل أرسلهم الله أختلف المفسرون فى اسمائهم • ويقوى هذا أن الله اسند رسالة هؤلاء الرسل اليه فقال « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون • اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا : انا اليكم مرسلون • قالوا ما أنتم الا بشر مثلنـــا وما أنزل الرحمن من شىء ان أنتم الا تكذبون • قالوا ربنا يعلم انا اليـكم لمرسلون • وما علينا الا البلاغ المبين) يس (١٣ — ١٧) •

فهؤلاء الرسل مرسلون من عند الله — كما ترى — من النص ، وليسوا هم تلاميذ عيسى • فما أضعف هذا الرأى الذى تمسكوا به • وعلى فرض أنهـم تلاميذ عيسى فمدعاهم • وهو تبليغ العالم بالانجيل ، مردود • لان أولئك الرسل الثلاثة كانوا مرسلين الى « قرية » وهى انطاكية على المشهور عنـــد المفسرين • فهل تعتبر القرية مهما اتسعت انها العالم ؟ فما أضيق ذلك العالم المحصور فى « قرية » لقد كان القرآن أمينا حين قال : « واضرب لهم مثـــلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون » فلم يضف على « الواقعة » هالة من الزيف كما فعلوا • انها « قرية » والقرية تظل محافظة على مفهومهـا مهما مطهـــا المطون ، الذين يبنون من « الحبة قبة » كما يقال فى المثل المعروف وهـــذا هو الوجه الثانى فى رد هذه المبالغة المدعاة •

وبقيت لنا كلمة قصيرة ، ولكنها هامة فى مسألة الوحى للحـواريين • ذلك أن مؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونيه يحملون الكلمة « أوحى » عـلى معناها الدينى ، وهو انزال الوحى من السماء بكلام من عند الله على رسول من رسله • وهذا المعنى مستبعدجدا فى قوله تعالى: « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى » فليس الحواريون موحى اليهم بهذا المعنى • وانما المراد من الوحى هنا هو المعنى اللغوى الذى هو الالهام النفسى غير المصـحوب بكلام •

---

(١) انظر ص ٦٠ من كتاب الاستحالة •

وقد ورد الوحى بهذا المعنى فى القرآن الحكيم مرات : منها مسألة الحواريين هذه ، ومنها مسألة أم موسى :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » .. القصص (٧) .

ومسألة النحل :

« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا » ..

ومسألة السموات :

« فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها » .. فصلت (١٢) .

فليس المراد من « الوحى » فى هذه المواضع هو المعنى « الدينى » بل المعنى « اللغوى » وبهذا يتقرر ــ يقينا ــ ان الآية ليست حجة لمؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونيه .

ثوبنا أم ثوبهم ؟

ثم ينتقلون بعد هذا الى أن القرآن يلومنا ــ نحن المسلمين ــ لاننا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، ويستدلون بقوله تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب ، وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا » ... البقرة (٨٥) .

مع أن هذه الآية حكاية حال لأهل الكتاب ، وما زالت قائمة ، اذ آمنوا بما وافق هواهم وكفروا بما عداه . هذا هو خصوص السبب فى هذه الآية الكريمة . فاذا تجاوزناه الى عموم اللفظ . فليس هذا ثوبنا نحن ، لاننا نؤمن بكل ما انزله الله من كتاب . وغيرنا هو الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض . وقد كررنا هذه المسألة كثيرا فيما سبق . فما يريدون اذن ؟

أيريدون أن يخلعوا ثوبهم ويلبسوه لنا . ؟ لا والله . ما هم خالعوه ولا نحن لابسوه وياسعادتهم ان خلعوه ، ويا شقاءنا ان لبسناه .. ؟ !

ومن المضحك أنهم فى تمسكهم بأن الكتاب المقدس مصون لم يحرف ونحن نود أن لو كان الأمر كذلك ــ يستلبون نصا من القرآن الكريم وينصبونه شاهدا على صدق مدعاهم . والنص القرآنى الذى استلبوه هو :

« انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » الحجر (٩) .

وهذا النص لم يرد به الا القرآن العظيم ، ونحن على رغم ضعف دعوى المدعى نثبت أمام القارىء أدلة يقينية على ما نقول · واليـك سياق الكلام الذى كانت الآية احدى لآلئه : « وقالوا يا أيها الذى نزل عليـه الذكر انك لمجنون · لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصـــادقين · مـا تنزل الملائكة الا بالحق ، وما كانوا اذن منظرين · انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون · ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين » الحجر (٦ ـ ١٠) ·

هذه الآيات تصور طرفا من الحوار الذى حدث بين مشركى مكة وبين صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم · اتهموه بالجنون ، وطلبوا منـــه أن يريهم الملائكة ان كان صادقا وكثيرا ما طلب كفار مكة أن يأتيهم الرســول عليه السلام بالملائكة · ثم جاء خطابه من الله مباشرة فى الآية الأخيرة من هذه المجموعة « ولقد أرسلنا من قبلك » ·· أضف الى هذا مطلع السورة نفسها ـ سورة الحجر ـ فقد كان :

« آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » فالحديث كله عن القـــرآن ، والمخاطب هو محمد عليه السلام · فليس المقصود من « الذكر » سواء حيث لم يجر ذكر هنا لا للتوراة ولا للانجيل ولا للزبور · فعلى أى وجـــه يـرى مؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونوه أن هذه الآية مقصود منها الكتـــاب المقدس ·· ؟ !

ان مدخلهم الى « استلاب » هذه الآية هو كلمة « الذكر » لان القرآن عبر بها عن كل من التوراة والانجيل والزبور فى غير هذا الموضع · لان كلمـة « الذكر » من حيث هى صالحة لاطلاقها على أى كتاب منزل · وتبين قـرائن الأحوال أو الأقوال خصوص المراد منها كما فى هذه الآية ·

ولكن مخرجى كتاب /« الاستحالة » تشبثوا بظاهر الكلمة « الذكـر » وأحاطوا عنقها بكل قواهم ليقسروها قسرا كريها على مرادهم المدفوع · وهم بلا أدنى نزاع يعلمون أنها ليست لهم ·

وقد جاء الذكر مرادا منه القرآن فى القرآن كثـــيرا ، نكتفى منـــه بهذه الآيات :

« ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » آل عمران (٥٨) ·

« أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم » الأعراف (٦٣) ·

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما أنزل اليهم » النحل (٤٤) ·

« وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون » الأنبياء (٥٠) •

ان نصيب القرآن من اطلاقات « الذكر » يفوق بعشرات المرات نصيب ما عداه من الكتب المنزلة • فعلام هذا التجنى وأنتم تعلمون ؟ !

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت »

هذا دليل النقل • فما هو دليل الواقع ؟

الواقع يقول : ان هذا النص لم يرد به الا القرآن بدليـــل حفظه من التحريف والتبديل على مر العصور • حتى الآن ، وما بعد الآن ، وليس المراد به غيره بدليل ما أصابه من تحريف وتبديل واختلاف • هذه هى شـــهادة الواقع طردا وعكسا • وحين يتعاضد الواقع والنقل على شىء ، فليس للأوهام بقـــاء ؟ !

وشبه أخرى مدفوعة :

وذكروا قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مـرية من لقائه » السجدة (٢٣) •

وزعموا أن المعنى : فلا تكن فى شك من لقاء كتاب موسى • وهـــذا وهم باطل فقد اطلعت على أقوال مفسرى القرآن الكريم فلم أر منهم واحـدا قال بهذا مع كثرة اختلافهم حول مرجع الضمير • فريق منهم يقـــول من « لقائه » يعنى لقاء موسى يوم القيامة ، أو ليلة المعراج فهل مخرجو كتـاب الاستحالة أعلم بأسرار القرآن ومعانيه من أئمة المسلمين وعلمائهم ؟ !

ويذكرون قوله تعالى : « •• لا مبدل لكلماته •• » الأنعام (١١٥) ويعلقون عليها فيقولون :

« وقد أثبتنا أن الكتاب المقدس هو كلام الله » يعنى : كيف يبـــدل وهو كلام الله والقرآن يقول : « لا مبدل لكلماته » ؟ ! أى كلمات الله •

هذا ما قالوه • ونقول :

أنكم اثبتم أن الكتاب المقدس ، وخاصة عهده الجديد « الانجيل » ليس

وحيا بل هو من كلام عيسى • وعلى هذا فليس للانجيل فى هذا الاستدلال — على فرض صحته — نصيب • فابن عباس يفسر « كلماته » بأنها مواعيده • ووعده ووعيده • وفسرها قتادة فقال : « الكلمات هى القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون » (١) • وعلى كلا الاحتمالين فلا دليل لهم فى الآية •

وآخر ما نواجهه فى هذا الفرع من شبه « الاستحالة » ما ذكروه فى ص ٦٣ منه فقد ذكروا قوله تعالى :

« فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (٢) وقالوا بعدها :

« فلو كان الكتاب المقدس قد حرف فكيف يرتضى رسول الاسلام لنفسه أن يسأل قوما حرفوا كتابهم » ؟

ونقول : لم يرتض رسول الاسلام فعلا أن يسأل قوما حرفوا كتابهم بل قال « لا أشك فلا أسأل » هذه واحدة • والثانية :

لم يرد القرآن من خاتم النبيين أن يسأل وانما هو تعريض بأهل الكتاب بأنهم يعلمون حقيقة أمره ، ومع هذا فقد كفروا به • وهذا نوع من الأساليب البلاغية الرفيعة لا يعرفه الا البيان الرفيع المعجز •

ويقولون فى نفس الموضع : فلو حدث تحريف فى جزء من الكتاب المقدس ألم يكن من الأجدر أن يشير الاسلام الى ذلك وأن ينبه الناس ويحرم عليهم هذه الأجزاء المحرفة ؟

ونقول : لا •• ثم لا • فقد اغناهم القرآن بهديه عن كل ما سبق عليه فلم تعد لهم حاجة فى سواه • بل يكفى أن يشير الى تلك الوقائع للاتعاظ • وللاتعاظ فحسب •

لا تذكروا الكتب السوالف قبله   جاء الصباح فأطفأ القنديلا ••

نعم جاء الصباح •

---

(١) تفسير القرطبى (جـ ٧ ص ٧١) •
(٢) سبق توجيه هذه الآية •

القضية الثانية : قضية الفداء والكفارة .. ؟ !

هذه « القضية » مما زاده كتاب « الأستحالة » عما ورد فى مقال البابا من أفكار وقضية أو فكرة الفداء والكفارة فى معتقد النصارى تقــوم على التصورات الآتية :

(أ) أن آدم أبا البشر قد سقط سقوطا أدبيــا بعصيانه « الله » وأكله من شجرة الخير والشر هو وزوجه حواء في الجنة . رغم تحذير ربهما لهما . وبهذه المعصية فسدت الطبيعة البشرية كلها . وتعثر النوع البشري عثرة لم يقل منها . ودخلت الخطيئة ـ عن طريق آدم ـ الى العالم . واستحق الناس بهذه الخطيئة الموت .. ؟ !

(ب) ورث بنو آدم تلك الخطيئة عن أبيهم ، فلم يسلم منهم أحـد قط . الجميع زاغوا حتى الأنبياء والمرسلين ـ قبـل وبعد عيسى ـ نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ونبى الاسلام .

(ج) حبس الانسان بين مطلبى العدل والرحمة ، وهما مطلبان مختلفان تماما .. ؟ !

وأصبحت البشرية تبحث أو هى فى حاجة لمخلص يفديها ويكفر عنهـا خطيئتها .. ؟ ! .

(د) وفى ملىء الزمان ظهر الله فى الجسـد (!) لمحبته الفائقة ، وجال يصنع خيرا ـ يعنون عيسى ـ ثم مات على الصليب فداء للبشرية ، واتماما لمطلبى العدل والرحمة . ثم قبر ـ يعنى دفن تحت الأرض ـ وقام من بين الأموات وصعد الى السموات .. ؟ !

هذا هو معتقدهم ، وليس لنا سلطان على أحد فيما يعتقــد . ولكن حين يتعدى حدوده ، ويزعم أن الاسلام يؤيدهم فيما يعتقدون ، فانه لمن حقنا ، بل ولمن أقدس واجباتنا أن نتصدى له بكل ما نملك من حق وبرهان لنكشف زيفه وأباطيله وأوهامه التى استمات فى الصاقها بالاسلام . دين الفطـرة والعقل وهو منها برىء برىء . ! !

وقد انتهج مخرجو كتاب الاستحالة فى تعديهم على الاسلام هذا المنهج :

عصيان آدم وسقوطه الأدبى :

وراحوا يذكرون من الآيات ما سجله القرآن الأمين حول هـــذه الواقعة كما راحوا يستولدون منها ما شاء لهم هواهم من أوهام وافتراءات ضـــد الخلق جميعا رسلا وأنبياء وغير الرسل والأنبياء • ونحن نؤمن فى حـدود ما ذكره القرآن عن قصة آدم وزوجه حواء • ولكننا نختلف معهم ــ النصارى ــ فى كل النتائج التى رتبوها عليها • ونذكر هنا ما لم يجرؤ على ذكره من نهاية قصة آدم عليه السلام •

لقد عصى آدم ربه ــ نعم عصاه ــ ولكن معصيته لم تتجاوزه هــو وزوجه شريكته فى المعصية • لم تتجاوزهما الى أحد من بنيهما لسببين يفحمان كل متجن مختلف •

أحدهما : لان عدل الله فى خلقه وأثابته المطيـــع ، ومجازاته العــاصى ، جعل الخطيئة ، أى خطيئة هى مسئولية مرتكبها وحده ، لا يسأل عنها أحـد سواه ، ولا يعاقب عليها أحد الا أياه • ولا تنتقل بالوراثة الى بنيــه الأدنين أو الأبعدين • وهذا هو العدل الالهى الحق ، كما جاء به النقل ، وصـــدقه العقل • وبهذا جاء القرآن صوت الحق المصون ، فقال فيما قال :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال :

« وأن ليس للانسان الا ما ســـعى » وقال :

« كل نفس بما كسبت رهينـــة » وقال :

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » وقال :

« ومن يعمل سوءا يجز به » وقال :

« وما ربك بظلام للعبيد » •• ولو شئنا لعددنا هنا عشرات الآيات التى تقرر فى امتاع واقناع مبدأ العدل الالهى الحق ، الذى تتقبله النفوس وهى راضية ، وتسلم به العقول وهى مطمئنة لا يساورها شك ، ولا تقلقهـــا أوهام •

وثانى السببين : ان خطيئة آدم وحواء لم تكن ضربة لازب بهما ، بحيث يصح القول بتوارثها بين أبنائهما وذرياتهما • فالقــــرآن الأمين ، الذى أكثرتم من ذكره للتدليل على « الادانة » قد أنهى المشكلة ، من أساسها •

وأنتم تعلمون ذلك جيدا • فلا شك أنكم قرأتم القصة في جميع نصوصه . ولكن على طريقتكم في الكتب السماوية • ابرزتم ما وافق الهوى ، وأخفيتم ما لم يوافقه • ونحن ذاكرون ـ هنا ـ ما أخفيتموه ، احقاقا للحق • ونأسف اذا تسبب ذلك في احراجكم • لاننا ما قصدنا الاحراج • وانما قصدنا الحق وحده » والحق كالماء يروى ويغرق ، وكالنار يضيء ويحرق • تلك هي طبيعته التي ليس لنا حيلة فيها •

صوت الحق يعلن البراءة :

وصوت الحق أعلن البراءة في خطوتين اثنتين احداهما تلت الأخرى وانتهى كل شيء من تلك الخطيئة الى الأبد :

أما **الخطوة الأولى** فهي تندم آدم وحواء على ما بدر منهما واستغفارهما ربهما مخلصين معترفين له ، وله وحده بأنهما قد أساءا الى أنفسهما وطلبا منه العفو والمغفرة • ويسجل صوت الحق هذه الخطوة في أقصر كلمات وأدلها وأبلغها فيقول حاكيا عن آدم وحواء ما كان منهما :

« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » الاعراف (٢٣) •

وأما **الخطوة الثانية** : فقد كانت تكرما من الله الغنى الحميد على آدم وزوجه واستجابة لندائهما اياه الذى تقدم في الخطوة الأولى • وفي هذه الخطوة يقول صوت الحق :

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » البقرة (٣٧) لقد تاب الله على آدم وأثبت نص البراءة في كتاب خالد يقرؤه صباح مساء حتى تقوم الساعة • فأين هي الخطيئة الموروثة اذن ؟ !

واذا انتفت الخطيئة الموروثة فما هي حاجة البشر الى الفداء ؟ ! وعلام يقحمون القرآن بين حيلها وهو من كل ذلك برىء •• ؟ !

ويقول مخرجو كتاب « الاستحالة » :

الاسلام يشهد لقضية الفداء •• ؟ (سبحان الله •• ؟ •• وكيف •• ؟ !)

انهم يذكرون قصة الذبيح اسماعيل ولد ابراهيم شيخ الأنبياء عليهم

صلوات الله وسلامه . وعندما يتوصلون الى قوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم » .. فان لسان حالهم يقول : فداء .. امسك كلمة فداء . ويتطوع لسان مقالهم فيقول ما يأتى بالحرف الواحد :

فمن النصوص والتفاسير ـ يعنون الاسلامية ـ نجد الآتى :

١ ـ الاعلان عن مبدأ الفداء .

٢ ـ الاعلان عن كيفية انابة الفدية عن المفدى بها .

٣ ـ كيفية اعتبار ما تم كأنه تم للمفدى نفسه بالفعل . ؟ !

٤ ـ اعلان عن طريقة الفداء وهى الذبح . وفى هذا كله اتفاق مع العقيدة المسيحية . ؟ ! !

٥ ـ الاشارة الى ما يجب أن تكون عليه الفدية من العظمة والكرامة .. » (١) .

هذا ما أردت أن أثبته للقارىء هنا لأسأل هذا السؤال :

ما علاقة فداء اسماعيل بما يؤمنون هم به من فكرة فداء تختلف كل مقوماتها عما ذكروه ؟

ان قصة ذبح اسماعيل اختبار عملى من الله لابراهيم عليه السلام ، واسماعيل اذ ذاك كان وحيده . فلما هم ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ، وأطاع الولد جاء الفرج من الله ففدى اسماعيل بذبح عظيم .

وصار نجاح ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى تلك « المحنة » مضرب الأمثال فى طاعة المخلوق للخالق ، كما صار وفاء ابراهيم بما رآه فى منامه مضرب الأمثال فى الوفاء مهما شتت مؤنه وسجل القرآن الأمين هذا الموقف الرائع لابراهيم عليه السلام فقال « وابراهيم الذى وفى » .

وصار وفاء اسماعيل بوعده مضرب الأمثال فى هذا المجال وسجله له القرآن الأمين فقال :

« واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » مريم (٥٤) .

---

(١) كتاب الاستحالة (ص ٧٤) .

هذا ما يقره الاسلام فى قصة ابراهيم وابنه ، ويقف عند هذا الحد منها فلا يتعداه ٠

فما علاقة هذه القصة بما تقولونه اذن ؟ فالحق ، والحق نقول ٠ ليست بينهما علاقة أبدا يا سيادة ٠ المجرد أن القرآن قال « فديناه » تدخلون على الاسلام ما هو منه برىء ٠٠ تريثوا يا قوم وآمنوا بما شئتم وأقيموا عليه ما أحببتم من ادلتكم ٠ ودعوا القرآن فانكم حين تفتحون هذا الباب لا تستطيعون الوقوف أمام حججه وبراهينه القواطع ٠ دعوه ٠٠ دعوه ٠٠ دعوه ٠ لو تكرمتم ٠٠ ؟ !

ويقول مخرجو كتاب الاستحالة :

شهادة الاسلام بأن ربنا يسوع المسيح هو الله ٠٠ ؟ !!! :

هكذا والله قالوا ٠ ويالضلال ما قالوا : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » ٠

ويقدمون بين يدى هذه « الضربة الشنيعة هذا الهراء :

« مما سبق يتضح أن الاسلام يشهد لسقوط آدم (!) ولقضية الفداء ، وأن الفادى الوحيد هو السيد المسيح المعصوم من كل عيب ، المنزه عن كل خطأ ، والذى له حق الشفاعة » ٠٠ ؟ !

ويتطوع مخرجو الكتاب فيشرحون الخطوات التى « صعدت » المسيح « الاها » وهى :

(أ) الاسلام يشهد بأزلية المسيح لانه كلمته ٠٠ ؟ !

(ب) الاسلام يشهد للسيد المسيح بأنه روح من الله » ٠٠ ؟ !

(جـ) الاسلام يشهد للولادة العجيبة للسيد المسيح » ٠٠ ؟ !

(د) الاسلام يشهد للقب السيد المسيح الفريد » ٠٠ ؟ !

(هـ) الاسلام يشهد للسيد المسيح بعلم الغيب » ٠٠ ؟ !

(و) الاسلام يشهد للسيد المسيح بالقدرة على الخلق واقامة الموتى » ٠٠ ؟ !

(ز) الاسلام يشهد للسيد المسيح بأنه الديان » ؟ ! ! !

هذه هى الخطوات التى استولدوها « الهية » المسيح عبد الله ورسوله ٠ والقارىء يلحظ أن كل خطوة منها الصقوها بالاسلام ٠ ولو كان الأمر - كذلك - لكنا أولى منهم بهذه العقيدة ٠ ولكن الاسلام دين الفطرة والتوحيد مقامه « الثريا » من هذا الكفر والاشراك اللذين يحاولون تلطيخ صفاء الاسلام بهما والقارىء يعلم أننا ناقشنا هذه الأوهام فى مواجهتنا لمقال البابا ٠ ولا بأس هنا أن نناقش الجديد فيها وهى :

- مسألة اللقب الفريد ٠
- مسألة الأزلية المدعاة ٠
- مسألة الغيب ٠
- مسألة « الديان ٠ وبعد الفراغ من مناقشتها نسمعهم من براهين الاسلام المتمثلة فى أى القرآن الحكيم ما يبدد كل ظلام ٠ ويدفع كل باطل مهما تراكمت سحبه بعضها فوق بعض ٠

أولا : دعوى أزلية (١) المسيح :

ان استخراج الحقائق من النصوص مثل استخراج الحقائق من الأرقام تماما فنحن نسلم لمن يقول ان ٣ + ٢ = ٥ ، لأن مجموع الرقمين (٣ ، ٢) هو فى الواقع كذلك ٠ ولكننا لا نسلم لمن يقول ان ٣ + ٢ = ٦ أو = ٤ ٠ لانه فى العملية الأولى تجاوز حقيقة الواقع ، وفى العملية الثانية قصور عن حقيقة الواقع ٠ وكل من التجاوز والقصور خطأ فى الاستنتاج ٠

وكذلك النصوص لا تتحمل أكثر من « الوقائع » أو « المعطيات » التى تدل عليها بحكم وضعها افرادا وتركيبا ٠

فاذا أخبر مخبر بأن أ هو أبو : ل ٠ وفحصنا الواقع فوجدنا ، كما قال ، فاننا لن نسلم لمن يزعم أن هذا التركيب بعينه (أ هو أ بو : ل) معناه أن (أ ، هذا هو ابن « ل » لان للتركيب دلالة باعتبار وضع المفردات فيه

---

(١) الأزلى هو الذى لا بداية له ، وهو القديم المطلق ، ويقابله : الحادث وهو الذي سبق وجوده عدم ٠ والأبدى هو الذى لا نهاية له ٠ والقدم المطلق والأبد المستمر لا يكون الا الله سبحانه ، فهو الأول بلا بداية ٠ والآخر بلا نهاية ٠ ولا يشركه فى هذا أحد ٠

على نسق مخصوص وهذا « الزاعم » مهما ألح علينا فى قبول استنتاجه فهو غير مصدق عندنا بناء على ما استقر لدينا من خبرات سابقة عن هذه المفردات باعتبارها مفردات ، وباعتبارها موضوعة فى تركيب على هـذا النسق المخصوص ٠

ومخرجو كتـاب « الاستحالة » وهم يدعون أزليـة المسيح عليـه السلام لم يكن لهم دليل الا استيلادها من مفردات وضعت فى تراكيب لغوية ٠ ولتلك المفردات دلالة فى نفسها ، ودلالة كليـة فى التركيب الذى وضعت فيه ٠ وليس من دلالتها الافرادية ولا التركيبية ما يكـون مؤداه النهـائى : « أزلية المسيح » ؟ ! فكيف ــ اذن ــ استخرج مخرجو كتاب الاستحالة هـذه المقولة ٠٠ ؟ ! تعال معى نناقش مقدماتهم التى استولدوها هذه « المقـولة » الغريبة ٠

ذكروا قوله تعالى : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمـة منه اسم المسيح عيسى ابن مريم » ٠

وقوله تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقـاها الى مريم وروح منه » ثم قالوا :

« فالاسلام شهد بما تؤمن به المسيحية ، حيث يدعو المسيح **بكلمة الله** »

ثم قالوا : « حاول بعض المفسرين تأويل هاتين الآيتين ليصبح معنى الكلمـة هو اللفظ (١) ٠ وليس هذا هو المعنى الحقيقى ، لان القرآن سبق وقال فى بشارته زكريا بميلاد يحيى « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله » ٠٠ آل عمران (٢) (٣٩) ٠

ثم قالوا : « فالكلمة الذى هو من الله وصدق به يحيى هو السيد المسيح » ٠٠

وقالوا : « الكلمة الذى جـاء ذكـره فى بشـارة زكريا مسمى تعنى ذكر عاقل كائن قائم بذاته (٣) ٠ وقد أوضح القرآن ذلك بجلاء فى قـوله

---

(١) يقصدون لفظ « كن » من قوله تعالى : « كن فيكون » ٠

(٢) هذا هو نص الآية صحيحا وهم نقلوها هكذا « يا زكريا ان الله يبشرك » ؟ ! ! ٠

(٣) نقلنا هذه العبارة كما جاءت فى كتاب الاستحالة (ص ٨٩) بما فيها من أخطاء لغوية ونحوية ٠

« بكلمة منه اسمه » ولم يقل : « كلمة منه اسمها » ، لان الكلمة المقصود منها اللفظ أو النطق تكون مؤنثا مما يؤكد أن مقصود الكلمة ليس اللفظ أو النطق بل شيئا قائما بذاته » ثم انتهوا من هذا النحت الذى دمت منه أظافرهم الى هذه المقولة :

« وهذا يؤكد لنا أزلية المسيح ، لانه كلمة الله ، وله صفة القدم كبقية صفات الله مثل العلم ، الحياة ، الكلام » ..

ويردفون قائلين « واضح من قول القرآن « ألقاها الى مريم » أى أن هذا الكلمة كائن قبل أن يلقى الى مريم » كتاب الاستحالة ص ٩٠ .

فليتأمل معى القارىء أيا كان نوع ثقافته هل فى هاتين الآيتين اللتين استشهدوا بهما ما يؤدى ، ولو بأضعف الوجوه ، الى القول بأزلية المسيح أى مساواته لله ـ سبحانه ـ فى خصائص الوجود الذى لم يسبق بعدم قط وما علاقة بشارة زكريا بيحيى بهذا الموضوع . وحتى لو كان المعنى أن كلا من يحيى وعيسى عليهما السلام يصدق بعضهما الآخر فى دعوى الرسالة . فهل معنى هذا التصديق أن عيسى كائن أزلى مساو لخالقنا وخالقه فى الوجود ؟ !

ومخرجو كتاب « الاستحالة » غير راضين بأن يقول مفسرو القرآن المسلمون أن معنى « كلمة الله » هو قوله لعيسى : كن . فكان بلا واسطة لقاح من ذكر ويصرون على أن معنى الكلمة هنا ـ هو عيسى بدليل ان الله قال : « اسمه » ولم يقل « اسمها » الخ .

فلنمض معهم حتى نهاية الشوط ، فنقول لهم : سلمنا لكم بأن المقصود منها ـ فعلا ـ هو عيسى . فهذا ليس بمحظور عندنا . بل ان من المفسرين من قال به . ومع تسليمنا لكم به فما هو بنافعكم شيئا فيما تحاولونه من القول بأزلية المسيح ومساواته لله ـ سبحانه ـ فى خصائص وجوده .

فاللغة فيها شىء اسمه « المجاز » يا سيادة ، وهو هنا يسمى « مجازا مرسلا » علاقته السببية . أى تسمية الشىء بسببه . فلما كانت كلمة « كن » سببا فى ايجاد عيسى بلا واسطة « أب » سمى عيسى بها تذكيرا بعظمة قدرة الله . وليس لكم مع هذه التسمية أدنى شبهة فى قولكم بأزلية « عيسى » فما رأيكم فى هذا الكلام يا من تنحتون الكلمات بأظافركم لتستولدوها ما ليست له بحاملة . ان فاقد الشىء لا يعطيه أبدا ونسوق لكم قول الشاعر الآتى :

ومكلف الأيـام ضـــد طباعهـــا
متطلب فى المـاء جـذوة نـار

ونسألكم هل من يطلب جذوة نار فى أعماق المـاء أو حتى على سطحـه عاثر على بغيته ٠٠ ؟ ! هذا هو مثلكم وما تطلبون ٠ ؟

وكفانا وكفاكم هذا وانا لنأمل أن يهدينا الله واياكم سبل الهـدى والرشاد ٠ وصدقونى اننى أقولها بكل اخلاص ٠

ثانيا : دعوى اللقب الفريد :

هذه الدعوى تحمل الرقم الرابع فى كتاب الاستحالة بين عداد المؤهلات التى سردوها توصلا الى القول بأن عيسى (عبدالله ورسوله) هو « الله » تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ٠

وذلك أنهم رأوا القرآن يطلق على عيسى عليه السلام اسمين ، ووصفين وكنية ٠ فالاسمان هما : عيسى والمسيح ٠ والوصفان هما : كلمـــة من الله ، وروح منـــه والكنية هى : ابن مريم ٠

وقد بينا فى مواضع متعددة سابقة المراد من « كلمة » « روح » بيانا لا يخــرج من وصـــف بهما عن « مفهوم البشرية والرسالة » ٠ أما عيسى ، وابن مريم فــلم يتعلق بهما لمخرجى كتـــاب الاستحالة ، أى غرض ، ولهــذا اهملناهما سيرا على المنهج الــذى توخيناه فى هـــذه « المواجهة » وهـــو ان لا نثير قضـــية أو فـــكرة لم يثيروها هم فى وثائقهم ٠ أو على حد قول العرب : « يضـــع الهناء مواضع النقب » (١) ولا نضعه فى الموضع الذى لم تظهر به علة ٠

أمـا الذى تظاهروا له فهو كلمة « المسيح » وسموها : لقبـــا فريدا لعيسى عليه السلام وقالو فى ذلك :

« ويلاحظ أن النص القرآنى يقول : « اسمه المسيح » ولم يقـــل يسمونه المسيح مشيرا بذلك الى تقرير التسمية من اللـــه دون علاقة البشر بهـــا ٠ ولســـنا فى حاجة ـ هذا كلامهم ـ الى القول بأن اللقب انفرد بـــه

---

(١) الهناء بكسر الهاء : دواء يداوى به الجرب الذى يصيب الابل ٠ والنقب : هى مواضع ظهور الجرب فى الجلد ٠ وهو مثل عربى قديم ٠

السيد المسيح وحـــده فى القرآن دون بقيـة الانبياء ، مما يـــدل على امتياز السـيد المسيح الخاص ، واعتراف الاسلام لـه بهـــذا الامتياز ، ويـــدل ـ أيضـــا ـ على أن العمل الذى قام بـه هـو عمل فريد يفوق أعمال الانبياء والرســـل بأسرهم • وأنه يرتفع عن طبقة البشر أجمعين • وليس هنـاك الا كائن واحـــد لا سواه يسمو على الجميع • الا وهـــو « الله » الـذى هـو يسوع المسيح له المجد » أ ـ هـ كتاب « الاستحالة » والغرائب (ص ٩٢) •

عزيزى القارىء :

أرجوك أن تقف وقفـة قصيرة أمـام هـــذا الكلام • ثم اسـأل نفسك كم عملية توليد تمت فيه ؟

فاذا لم يكن لديك فراغ فاسمعنى اذن ، ثم قارن ما أقوله بما قالوه ، وستجد نفسك تقول : صحيح والله •

ونحلل المسألة كأنها معادلة من معادلات الرياضة فنقول :

الغرض : عيسى ـ عليه السلام ـ له لقب فريد فى القرآن •

البرهان : اسـم المسيح عيسى بن مريم • اللـه هـــو الـذى سماه وليس البشر • وهـــذا امتياز اعترف بـه الاسلام لـه ، وهـو امتياز يدل على تفوقه فى أعماله على جميع الانبيـــاء والمرسلين ، بل يسمو فوق البشر جميعا • وليس هنـــاك من يسمو على البشر الا واحد هو الله •

المطلوب : ربنا يسوع المسيح هو الله •• ؟ ! ! !

اليس ـ كذلك ـ أخى القارىء • حمانا الله واياك من الردى •• فأول خطوة فى هـــذا السلم هـو « اللقب الفريد » تولد عنـــه امتياز فى الصفات وتولد عنها امتياز فى الاعمال ، وتولد عنـــه تفوق على الانبياء والمرسلين ، وتولد عنه تفوق على البشر كلهم ثم ••• كان التولد الكبير فأصبح عيسى هو الله •• ؟ ! ! ؟

أهذا منهج علمى استدلالى يقنع من له ذرة من عقل • أم هـــو اعتساف لا حساب فيه لعقل ولا لضمير ؟ •

عنزة ولو طارت : ؟ !

قرأت في عهـد قريب من الطفولة قصة في كتـاب لا أذكر ـ الآن ـ عنوانه ولا موضوعه ومؤدى القصـة أن صديقين كانا يتجولان في أحـد الحقول ، وكان أحدهما اذا رأى رأيا لا يرجع عنـه ولو قامت عشرات الادلة على بطلانه ، وبينما هما يسيران أبصرا من بعيد سوادا في ناحيـة من الحقل . فقال أحدهما انـه صقر . وقال الثاني : انهـا عنزة . ولم يلتقيـا على رأى . فلما اقتربا من « السواد » ابصرهما فطار في الفضاء ناجيا بنفسـه . فقال من قال : انه صقر لصاحبه . ألم أقل لك انها صقر ؟ ! قال صاحبه : لا . بل هي عنزة ؟ . قال له صاحبه ألم تر أنه طار في الفضاء هل العنزة تطير . قال : نعم (!) عنزة ولو طارت ؟ ! ولـكي أكون صادقا في احساسي وأنا أتأمل في غرابة الاستدلال الذي سـلكه مخرجو كتـاب الاستحالة ـ هنـا ـ فاني تذكرت هـذه القصة . ولم اتردد في اثباتها كما ترى . فبين الموقفين نسب وصلة .. ؟

وهل انفرد عيسى به فعلا ؟

وبعد هـذا كله . هـل انفرد عيسى عليه السلام بمـا يقولون من تسمية الله له . أم أن الله سمى « غيره » كما سماه .. ؟

وقبل أن نجيب على هذا نقول :

ان انفراد عيسى عليه السلام بـ « المسيح » مع تسليمنا بهـذا لا يفهم منـه أبـدا أن لـه طبيعة غير طبيعته « البشرية » وهـذه التسمية « المسيح » لها نصيب من يمن النبوة والرسالة لا ينكره الا مكابر ، وحاش ان نبخس نبيا ما له من الفضل والكرامة . وبعض الانبياء تـدل أسماؤهم على مناقب دلالة مباشرة . فابراهيم مثـلا ، اسمه مكون من كلمتين هـكذا : آب ـ راهام ومعناهما بعد الضم : أبو الجمهور . لان آب هي « آف بالعبرية بمعنى « آب » وراهام معناها الجمهورية بالعبرية أيضا . وأبوة الجمهور منقبـة عاليـة لا تنكر ولا يستهان بها .

أما أن الله قـد سمى « المسيح » ولم يسمه البشر . فهـذا لم ينفرد بـه عيسى عليه السلام فخاتم الانبياء عليه السلام قـد سماه الله ـ كذلك ـ وجـاء هذا على لسان عيسى عليه السلام وهو يبشر بـه بني اسرائيل كما حـكى عنـه القرآن الامين « ومبشرا برسول يأتي من بعـدي اسمه أحمد » فمن أخبر عيسى باسم خاتم الانبياء قبل أن يوجد الا الله عن طريق الوحي . هـذه واحدة .

وقـد أخرج البخاري في صحيحه عن عطـاء بن يسار ـ والبخاري

ممن قـد استشهدتم بروايته ـ قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما • فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال : والله انه لموصوف فى التوراة ببعض فى صفته فى القرآن : يا ايها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وحرزا للاميين• أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ••• » وشاهدنا فيه أن الله « سماه المتوكل » كما سماه « أحمد على لسان عيسى عليه السلام » •

هذه واحدة • والثانية :

فان القرآن الكريم قـد تحدث عن يحيى عليه السلام فأضفى عليه فى هـذا المجال « مجال التسمية » ما لم يضفه لا على عيسى ، ولا على محمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه •

فقد اشترك يحيى مع عيسى ومحمد صـلى الله عليهم وسلم فى أن الله قـد سماه كما سماهما • فقال سبحانه :

« يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ••• » وهـذا النص الكريم مساوٍ تمامـا لقوله تعالى فى شـأن عيسى عليه السلام : « اسـمه المسيح عيسى ابن مريم » فما يقال عن هـذا يقال عن ذاك سواء بسواء •

ثم انفرد يحيى عليه السلام ، عنهما صلى الله عليهما وسلم بقوله تعـالى فى شـأنه : « لم نجعل له من قبل سميا » ولم تأت هـذه « الشهادة » فى القرآن لنبى غير يحيى عليه السلام •

فهل يقال ـ بعد هذا ـ ان عيسى عليه السلام انفرد بأن الله سـماه ولم يسمه البشر • واذا ثبت أن شـأن يحيى فى هـذه المسألة كشـأن عيسى ، حتى مع طرح زيادته ـ أى يحيى ـ عليه ـ أى عيسى ـ عليهما السلام• أفليس من الانصاف أن يعاملا معاملة واحـدة • ما دامت هـذه التسمية من الله لهما قـد ثبتت بدرجة واحدة • فلماذا نخلق من حبتها قبـة فى جانب أحدهما • ونهـدم فى الوقت نفسه « قبة » الثانى • ويكفينا من هذا أن نقرر بما لا يدع مجالا للشك أن مخرجى كتاب « الاستحالة » لـم يكونوا منهجيين فى استدلالهم • وما هذا بالشىء الهين •• ؟ !

ثالثا : مسألة علم الغيب :

وعمدة مخرجى كتاب « الاستحالة » فى هـذه المسألة ما جـاء فى قوله تعـالى « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لـكم

أن كنتم مؤمنين » ونحن معهم مؤمنون بأن عيسى عليه السلام كان كذلك ، ولكن انما فعل ما فعل باذن الله ولم يفعله من عنده ٠ فهي معجزة أيـــده الله بها كما أيـد كل رسله وأنبيائه بما عليه آمن البشر ٠

وليست منقبة أو معجزة الاطلاع على الغيب خاصة بعيسى عليه السلام ٠ بأن القرآن الذى استشهدوا به في اثباتها لعيسى عليه الســـلام يقر أن الله سبحانه وتعالى يطلع بعض رسله على شيء من الغيب تأييدا لهم وتثبيتا للمؤمنين ، واقناعا للصادين عن دعوة الحق ٠

فقد جاء فيه قوله تعالى :

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـــدا ٠ الا من ارتضى من رســـول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفـــه رصدا » الجن (٢٧/٢٦) بـل ان القرآن ليذهب أبعد من هـــذا ، ويبين أن الجن كانت قبل الاسلام تسترق السمع من السماء ، ولهـــذا فشـــا الاشتغال بالكهانة ٠ فلمـا جـاء الاسلام لـم تستطع الجن استراق السمع ولا الاطلاع على الغيب ٠ وفى هـــذا جـاء **قوله تعالى :** « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ٠ وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يسمع الآن يجد له شهابا رصدا (١) » وأمـــام هـذا الوضع الجـديد اضطربت الجن حين حيـــل بينها وبين الاطلاع على الغيوب ولم يعلموا له سرا ٠ وحكى عنهم القرآن الامين قولهم فى هـــذا « وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض ؟ أم أراد بهم ربهم رشدا » الجن (١٠) ومبعث عيسى عليه الســـلام كان قبـل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بأكثر من ستمائة عام : فلنتأمل ٠٠ ؟ !

رابعا : دعوى أن اليسوع عيسى هو الديان (٢) » ؟ ! ! !

ان قوما يدعون ان انسانا مـا هو « الله » (!) ٠ ليس بغريب عندهم ان يصفوه بعد ذلك بما يشاءون من الأوصاف التى لم يصفها بهـــا « الموحدون » الا الله الواحد القهار ، الذى ليس كمثله شيء ٠ وعلى هـــذا فلن ندهش عندما يقول مخرجو كتـــاب « الاستحالة » والغرائب ان اليسوع عيسى هـو « الديان » ؟ ! ٠ فلهم أن يقولوا ما شاءوا وأن يعتقدوه ٠ وكل انـاء بالذى فيــه ينضح كما يقول الشـــاعر ولكن ليس لهم أن يلصقوا أقوالهم وعقائدهم

---

(١) الجن (٩/٨) وما زالت الشهب حتى الآن تتقاذف فى الفضاء لرجم الشيطان كما أخبر بذلك القرآن ٠ وأهـل الريف يشاهدون ذلك كثيرا ٠

(٢) الديان هـو الله وحده ، لأن يثيب الطائع ويعاقب العاصى ٠٠ ؟ !

بمن هم يخالفونهم في تلك الاقوال والعقائد مخالفة عميقة الغور ، وهم ـ في نفس الوقت ـ يملكون عشرات الادلة بـل مئاتها من النقل الموثق ، والعقل المستنير ، والالهام الفطرى يردون بها تلك « العقيدة » الملصقة ، ويبرهنون على بطلانها كيفما يصورها دعاتها ٠

ان مخرجى كتاب « الاستخالة » والغرائب يقولون ـ ويا لشناعة مـا يقولون ـ ٠

« ان الاسلام يشهد للسيد المسيح بأنه الديان » ؟ ! ! !

هذه الفرية التى ســولت لهم أوهامهم أن يخطوها بأيديهم اذا رحت تبحث عن صلة الاسلام بها ـ عندهم طبعا ـ تجدها عبـارة مقتطعة من حديث شريف لا تزيد كلماتها عن عشر كلمات ٠ واليك نصها مع مدخلها :

« روى البخارى فى الجزء الثالث ص ١٠٧ (لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا » ٠

وكأنى بمخرجى كتاب « الاستحالة » والغرائب يلقون عقولهم ، وعقول من توقعوه قارئا لكتابهم ٠ فيعلقون على هــذه الفقرة المقتضـبة ويقولـون بالحرف الواحد ونثبت كلامهم بما فيه أخطاء :

« وفى هــذا دليلا كافيا على أن السيد المسيح فى مجيئـه الثانى سيكون ديانا عادلا » (١) ثم يقولون بعد هذا :

« وهـذا هـو ايماننا المسيحى كما جـاء بالانجيل المقدس «لان الآب لا يدين أحدا ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (٢) ٠ ويردفونه بقولهم حكاية عن عيسى : « وهأنا آتى سريعا ومعى أجرتى لاجازى كل واحـد كمـا يكون عمله » ٠

واذا كانت هــذه « الدعوى » من الشناعة بحيث لا يصدقها عقل فان لنــا وقفتين عندها ، واحــدة مع النص الاسلامى الذى خرفـوه فى اللفظ والمعنى : أمـا فى اللفظ فبالحذف ؛ وأما فى المعنى فبتحميل العبـارة ما ليس فيها وأما الوقفة الثانية فمع النص الانجيلى بشقية :

---

(١) انظر ص ٩٣ من كتاب « الاستحالة » ٠

(٢) يعنون : أن الآب « أى الله » قد تنازل للابن « يعنى عيسى » عن كل ما له من سلطات الاهية (؟ !) ٠

وقفتنا مع النص الاسلامي :

في القرآن الكريم آية تقول : « ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » •

ومعناها : ان الاسلام كان يمنع من أداء الصلاة مادام المـــرء فى حالة سكر ، وهـــذا كان قبل تحريم الأسلام الخمر تحريما كليـــا قاطعا • ولكن بعض « المتحذلقين » يوردون الآية هكذا ــ أحيانا ــ : « ولا تقـــربوا الصلاة » ؟ ! ليتخذوا منها دليلا على تحريم الصـــلاة نفسها • وذلك لانهم حذفوا من الآية جزءا هو الذى ينصب عليه النهى •

وعلى هذا المنوال ، من الحذلقة والحدل العقيم ، سار مخرجو كتـــاب الاستحالة • فحذفوا من النص ما هو ضدهم ، وأثبتوا الجزء الذى تراه ثم ولدوا منه معنى غريبا عنه كل الغرابة • لان نزول المسيح عليه السلام ، كمـــا جاء فى كل الآثار ، انما هو آمروناه على شريعة خاتم النبيين ، وليس له دور أكثر من هذا فلا هو رسول جديد بشرع جديد ، ولا هو ديان ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا • وأقرأ معى ما ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن عيسى ابن مريم حكمـــا عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضـــعن الجـــزية » • •

فعدالة عيسى عليه السلام تكون باقرار شريعة خاتم الرسل ، فيبـــدأ بتحطيم الصليب ثم قتل الخنزير ثم وضع الجزية على كل من يأبى الاذعـــان للدين الحق الذى هـــو الاسلام • وقد جاء فى بعض الروايات : « وليقتلن النصارى الا من آمن به » يعنى على الوجه الحق عن كونه عبدالله ورسوله •

هذا القول الحق • ولكن « الاستحاليين » أساءوا الى النص الاسلامى من جهتين كما ترى : حذفوا منه ما يبطل ما هم عليه • وهذا تحريف فى اللفظ ثم حملوا العبارة غير ما تعنيه • وهذا تحريف فى المعنى •• !

ووقفتنا مع النص الانجيلى :

رأيت ــ عزيزى القارىء ــ أنهم فى النص الانجيلى بشقيه قد نقلوا عـــن المسيح نفسه ــ حسبما هو لديهم من الانجيل ــ أنه هو نفسه الديّان ، وأن أباه ــ حاشا لله ــ قد تنازل له عن هذه السلطة ليفصل هو بين الناس فيثيب الطائعين ، ويعاقب العصاة ، لانه سيجىء وأجرته معه (آ) •

وليس لنا هنا كلام طويل معهم ، ولكننا نثبت أمام القارىء نصا انجيليا آخر من انجيل يوحنا الذى نقلوا عنه ألنص الاول الاصحاح الخامس آية (٢٢) كما اثبتوها هم • والنص الآخر الذى سننقله نحن ليوحنا ، يناقض تماما ما قرروه هم من هذه الدعوى « المتأرجحة » وفيه يقول يوحنا هو هذا :

« وان سمع أحد » كلامى ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » انجيل يوحنا الاصحاح الثانى عشر (٤٨) فهنا يقرر المسيح أنه لم يأت ليدين العالم ، بل ليخلص العالم من « الادانة » فكيف ساغ ليوحنا – اذن – ان ينقل عن المسيح قولين متناقضين ، أحدهما صاعد والآخر نازل ؟

وكيف ساغ لمخرجى كتاب الاستحالة أن يؤمنوا ببعض الكتاب الذى لديهم ويكفروا ببعضه • ؟ هل اطمأنوا الى أن أحدا لم يقرأ لهم كما قرأوا هم القرآن ورضوا منه ما رضوا ، وسخطوا على ما سخطوا •

وبعد هذا كله • هل لكتاب الاستحالة نصيب من الاحترام والتقدير عند من لهم أدنى المام بالبحث العلمى المجرد والفهم النزيه •• ؟ !

خامسا : دعوى أوحدية المسيح فى الشفاعة •• ! !

اننا لا نختلف مع أصحاب كتاب الاستحالة فى جواز الشفاعة للسيد المسيح • لان الشفاعة – كما تقدم – تكون لكل أخ فى صالح • فما بالك بالأنبياء والمرسلين ولكن شتان ما بين شفاعة وشفاعة •

ولكن الذى نختلف معهم فيه امور حول تلك الشفاعة • منها طريقة الاستدلال عليها من النصوص الاسلامية ، ومنها كيفيتها التى صوروها بها • ثم ما بنوه على هذه الشفاعة من محال •

فقد عمدوا الى أقوال بعض المفسرين حول قوله تعالى فى وصف عيسى « وجيها فى الدنيا والآخرة » حيث فسر بعضهم وجاهته فى الآخرة بالشفاعة فى قومه من به منهم – فى حينه – من أنه عبد الله ورسوله • عمدوا الى ذلك القول فبنوا عليه هذه المقولة :

« وبعد أن تأكد لنا أن السيد المسيح هو شفيع البشر • فهذا دليل جديد على صدق عقيدة الفداء والكفارة » •

« ... وحيث أن الاسلام قد خص السيد المسيح وحده (! ! ؟) بالشفاعة دون سواه مع أنها حق من حقوق الله كما جاء فى سورة السجدة « ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع » وجاء فى سورة الزمر « قل لله الشفاعة » ثم قالوا :

« لذلك نجد أن السيد المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يوفى ذبيحته مطلبى العدل والرحمة » (١) وان سألتهم كيف توصلتم الى تقرير هذا قالوا لك : « ألم يقل القرآن » « قل لله الشفاعة » أى لله وحده . والله هو المسيح ، والمسيح هو الله . وهو المطلوب .. ؟ !

أما الأنبياء الآخرون فلا شفاعة لهم لانهم ليسوا « الله » بهذا المنطق الغريب والاستخفاف بقيم العقل واللغة ، والاستخفاف بالله – نفسه – يتوصل مخرجو الاستحالة الى هذه المقولة المرفوضة بكل مقياس ، وبلا أى مقياس . ثم يقولون ويا لكفر ما يقولون :

« فمن يكون السيد المسيح الذى شهد له الاسلام بأنه يحيى الموتى ؟ أليس هو الله الحى القيوم محيى المميت الأزلى الذى أنشأها أول مرة » (١).

سبحانك ربى . سبحانك . فأنت القائل وقولك الحق الذى لا يزول « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » المائدة (٧٢) .

وأنت القائل :

« لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . « قل : فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء ، والله على كل شىء قدير » (المائدة ١٧) يا قوم كفى هذيانا وسفسطة وفيقوا لانفسكم ، واطلبوا الحق من مصادره فان اردتموه مخلصين تهتدوا .

ولو انكم راجعتم أنفسكم – بصراحة لكنتم أول الغاضبين عليه . انكم تقولون ان عيسى هو الله الأزلى الحى القيوم الذى أنشأ العظام أول مرة . فأين كان حين خلق آدم وجميع الأمم التى عرفت الوجود قبله . ومن أنشأ أمه الذى استقر فى رحمها تسعة أشهر ، ومن ؟ ومن ؟

---

(١) كتاب الاستحالة (ص ٧٧) .

(٢) نفس المرجع (ص ٩٣) .

هل تجيزون أن المعلول يتقدم على علته ، والمسبب على سببه ؟ ! ان قلتم نعم عرفنا من أنتم . ثم سألناكم :

لماذا لم يتقدم وجود النهار على شروق الشمس ؟ والليل على غروبها . والحرارة قبل اشعال النار ، وسماع الصوت قبل النطق به ومئات الامثلة من ذلك ؟ ! بل ونسألكم لماذا أتبعتم على غلاف كتابكم هذا الترتيب « وهيب عزيز خليل ؟ أليس لان خليل أبو عزيز ، وعزيز أبو وهيب . فخليل وجد قبل عزيز وعزيز وجد قبل خليل لعلاقة تقدم العلة على المعلول ، والسبب على مسببه . فلماذا - اذن - لم يتقدم وهيب على عزيز مع احتفاظ وهيب ببنوته لعزيز ، ولماذا لم يتقدم عزيز على خليل مع احتفاظ عزيز أيضا ببنوته لخليل وأنتم اعتقدتم أن عيسى هو « الله » فكيف اتسع رحم مريم لعظمة الله ، وهل ترضون « لله » أن يمكث في هذا المكان بين الاخلاط والقاذورات تسعة أشهر ثم يبدأ حياته طفلا . ومن كان على عرش الله حين كان هو فى بطن مريم . وكيف تسول لكم أنفسكم أن « الله » تصلبه اليهود ويموت وهو مكتوف الأيدى معصوب العينين لو كان « الله » تعالى عما تقولون علوا كبيرا - كما تصورونه لأنفسكم وللناس لانصرفنا عنه ولعبدنا اليهود مكانه لأنهم - على حسب ما تقولون - أقوى منه وأعظم .. ؟ !

وأنتم تقولون أنه جاء ليفدى بنفسه البشرية . أجل . فلماذا كان يختبىء من وهم يحاولون القبض عليه . ولماذا يضطرب وهو فى قبضة عدوه . هل الله يخاف . ولماذا طلب من الآب - كما تقولون فى انجيل يوحناكم - أن ينجيه من تلك الساعة . واذا كان هو « الله » أو حتى « ابن الله » فلماذا لم ينجه من الصلب ؟ ! ان الاها يفرط فى دم ابنه ووحيده لغير قادر ، ولغير مؤتمن على حماية الآخرين الذين هم غير أبنائه « الناس الغرباء » .. ؟ !

ولنغض الطرف عن كل ما تقدم . فها هو ذا المسيح قد صلب - كما تزعمون - فلماذا لا نبرأ من كل خطايانا التى جاء ليخلصنا منها . علام الحساب اذن ؟ وعلام ينزل آخر الزمان ليكون هو « الديان » ومعه آجرته يعطى كل واحد حسب عمله . يثيب الطائع ، ويعاقب العاصى . علام هذا كله ما دام هو قد أوفى بذبيحته مطلبى العدل والرحمة كما تقولون ؟ ! أم أن دم ابن الآب ووحيده قد ذهب هدرا ؟ ! يا خسارة .. ؟ !

ونكرر اليكم - اختصارا لهذه الجولة التى لن نقف لو أرخينا العنان نسألكم عن غرائبكم - نكرر اليكم ما سمعه أسلافكم ولم يجيبوا عليه حتى الآن وما بعد الآن :

عبـاد المسيـح لنـا عنـدكم
سـؤال عجيب فهـل من جواب ؟ !
اذا كـان عيسى عـلى زعمكـم
الاهـا قـويا عـزيزا يهـاب ؟ !
فكـيف اعتقدتم بـأن اليهود
أذاقـوه بالصـلب مـر العـذاب ؟ !
وكـيف اعتقـدتم بـأن الالـه
يمـوت ويدفـن تحت الكتـاب ؟ !

سؤال عجيب فهـل من جواب
هـل من جـواب
من جـواب
جـواب
!

القرآن : المسيح لم يصلب ، وانما شبه لهم ·

الاستحالة : لا ·· صلبوه ؟ ! صلبوه « فعلا » ؟ !

يقرر القرآن الأمين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه القول الفصل فى عداء اليهود لنبى الله ورسوله عيسى عليه السلام ، وأنهم حينما ضاقوا به أجمعوا على صلبه والخلاص منه ، وأعدوا لكل شيء عدته · ولكن كيف يتسلمونه ، وهو ـ باعتراف الانجيل ـ كان يتخفى منهـم بين تلاميذه ، وفى أماكن مختلفة ·· ؟

وانجيل يوحنا يؤكد فى أكثر من موضع بأن أحد تلاميذه ، وهو يهوذ اسمعان الاسخريوطى كان يضمر الشر لأستاذه (عيسى عليه السلام) وأن عيسى نفسه كان يدرك أن يهوذا هذا ، سوف يسلمه لأعدائه · وكان عيسى ، كما جاء فى انجيل يوحنا يسمى يهوذا : الشيطان · ويلوح لتلاميذه بهذا · والى هنا تقف نصوص الأناجيل · تكتفى بأن يهوذا شيطان ، وأنـه سـلم المسيح لأعدائه · ثم صلب المسيح بين اثنين ، ودفن فى القبر ، ثم قام فى اليوم الثالث من بين الأموات · وتراءى لأمه وتلاميذه ومحبيه ، وأخبرهم أنه صاعد الى السماء · بعد أن مجد الأب ابن الانسان ·· ؟ !

والقرآن على منهجه فى تقرير « جوهر » الحقائق فيما لا يحتاج الى تفصيل قد حسم مادة الخلاف فى : هل صلب اليهود عيسى عليه السلام أم لم يصلبوه ؟

فيقرر أنهم لم يصلبوه ، وليس في هذا تبرئة منه لليهود · بل ان الله — سبحانه — حين هموا بصلب رسوله عيسى من غير ذنب جناه أوقع شبهه — شبه عيسى — على تلميذه الخائن الذى مكن اليهود منه · فصلبوا ذلك التلميذ ظانين ، أو معتقدين أنه عيسى ونجاه الله — نجى عيسى — من كيدهم ، واختفى عيسى بعد ذلك من الوجود لان الله رفعه اليه ، حيا أو بعد أن توفاه لم يبين القرآن هذه النهاية بالتفصيل ، وكل قول فيها فهو احتمال لا يقين فيه · هذه هي عقيدة المسلم ، يستقيها من أوثق مصادر الوحي وهو القرآن الأمين اذ جاء فيه قوله تعالى :

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله · وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن · وما قتلوه يقينا · بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » النساء (١٥٧/١٥٨) · ولكن من هو الذى وقع عليه الشبه يهوذا أم غيره · علم ذلك عند الله · هذا هو الحق الذى يقرره القرآن الحكيم فى نهاية عيسى عليه السلام ، ولكن أنظر الى « أمناء الانجيل » كيف يقفون عند هذا النص المحكم على طريقتهم فى أمانة النصوص الموحى بها :

« ان القول بأن المصلوب هو يهوذا الاسخريوطى أو شخص آخر لهو فى الحقيقة تجديف — يعنى سيرا ضد الاتجاه الطبيعى — صريح على الله القدوس الذى تحدث عنه الكتاب المقدس (!) وأيضا القرآن بكل جلال وهيبة ، لان معنى ذلك أن الله خدع البشر بأن غير من شكل يهوذا الى شكل السيد المسيح المبارك · وبذلك تسبب فى ضلال ملايين البشر · وحاشا لله العظيم القدوس من هذا الكذب والادعاء — يعنى ما يقرره القرآن الحكيم فى الآيتين السابقتين — فهو صادق أبدا بل هو أصدق الصادقين .» كتاب « الاستحالة » والغرائب ص ٨٣ ·

ان الذى قاله القرآن — عند أمناء الانجيل — كذب وادعاء ؟ ! هكذا والله يتطاولون فى غير مسكة من ضمير أو عقل ·

ويمضون فى ترهاتهم وأراجيفهم وكأنهم أحسوا بالحرج أمام من يقرأ كلامهم هذا · فراحوا يمهدون له بما يترفع عنه صبية المكاتب · فيقولون : « أما عن النص الوارد فى سورة النساء « وما قتلوه وما صلبوه » ··· فان هذه الكلمات التى يراها البعض ضد الايمان المسيحى بالصلب هى فى الواقع دليل على الصلب (! ؟) ولكنها تكذيب لليهود فى قولهم « انا قتلنا المسيح » لان اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه ··· فالرومان هم الذين نفذوا الحكم بصلب السيد المسيح ··· ولما كان اليهود هم أصحاب الشكاية ضده خول لهم بأنهم قتلوا المسيح وصلبوه » الاستحالة (ص ٨١) ·· ؟ ؟ !

تأمل هذا التجنى الشنيع على نص واضح الدلالة على المراد منه • ولكن أمناء الانجيل أبوا الا ان يتأولوه هذا التأويل • وكلامهم كان يكون له وجه لو كانت القضية هكذا : « من قتل المسيح وصلبه ؟ ؟ فيكون الاستفهام عن الفاعل بعد الاقرار بوقوع الفعل ؟

وليست القضية كذلك • ولكن القضية هى : « هــل قتــل المسـيح وصلب ؟ ؟ وهى استفهام عن أصل الفعل وقع أم لم يقع • فاذا كان الجواب بعد ذلك « وما قتلوه وما صلبوه » كان نفيا لوقوع الفعل أصلا حالة كونه واقعا على مفعوله ، وهو المسيح عليه السلام • ؟

القرآن ينفى وقوع القتل والصلب أساسا ، وهذه هى القضية ، وليست كما يصورها أمناء الانجيل قضية فرعية • اذن فــلا وزن أبدا لمــا أرادوا أن يطمسوا به الحقيقة التى هى معتقد المؤمنين الخلصاء •

ومن حق القارىء علينا أن نقول : انهم ذكروا بجوار هذا أن يهــوذا الاسخريوطى الذى يقال أنه وقع عليه شبه المسيح فقتل وصلب كان موجودا ساعة قبض اليهود على المسيح وقام يهوذا بتقبيل المسيح مع بقية تلاميــذه وبنوا على هذا ــ يعنى أمناء الانجيل : كيف يقال اذن أن يهوذا هو الذى قتل وصلب ؟ !

ونجيب : لا يهمنا ــ يا سادة ــ أن يكون الذى وقع عليه شبه المســيح هو يهوذا أو غيره فقولوا ما شئتم • هذه واحدة • والثانية : أنكم تنقلون هذا عن انجيلكم ونحن لا نثق فى هذا الانجيل ، تلك هى عقيدتنا كما انكم لا تثقون فى القرآن وترمونه بالكذب والادعاء • وتلك عقيدتكم • فليتحمل كل منــا تبعة عقيدته أمام الديان الحق ، الله فاطر السموات والارض وخالق كل شىء ومولاه • رب هارون وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين •

« وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » •

سادسا : دعوى القرآن يبطل بعضه بعضا •• ؟ !

تحدث البــابا فى مقاله المتقدم فقــال : ان القرآن لــم ينسخ التوراة ولا الانجيل •

وقد وجهنا هناك هذه الفكرة بما لا يدع مجالا للريب • أما كتاب الاستحالة فقد عاد يكرر ما قاله البابا شنودة هناك ، وذكر ما لم يذكره • لان كتاب الاستحالة لم يقتصر على نفى « النسخ » عن التوراة والانجيل • بل

صعد الدفاع الى هجوم سافر فقال بعد حديثه عن استحالة نسخ القرآن للكتاب المقدس :

« وهذا خطأ يظلمون به أنفسهم ، والقرآن أيضا (!) حيث أنه لم ترد فى القرآن أى اشارة الى نسخه الكتاب المقدس ، لان النسخ المذكور فى القرآن خاص بالقرآن نفسه ، أى ان بعض آيات القرآن **تبطل بعضها البعض** » .. (ص ٩٦) .

ثم يقول :

« فالنسخ فى القرآن لا علاقة له بالكتاب المقدس ، كما صرح بذلك أكبر علماء الاسلام كالامام الاسيوطى الذى قال : « ان النسخ مما اختص به الله هذه الأمة » أى الأمة الأسلامية » (ص ٩٧) .

ثم أخذ يعدد بعض الآيات التى اقتضت حكمة التشريع الاسلامى أن يضمنها أحكاما جديدة ليرفع بها حكما أو أحكاما سابقة وردت فيها نصوص قرآنية . وبعد هذا يقول :

« وعلى ذلك فالنسخ خاص بالقرآن ، وقد جاء النسخ فى ٢٥٠ نصا منه ، وليس له شأن بالكتاب المقدس . كما قال السيد المسيح له المجد » :

« فانى الحق والحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحدا أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » ص ٩٨ .

ان جانب الهجوم فى كتاب « الاستحالة » هو الجديد فى هذه النقطة . ولهذا سنقصر الحديث عليه اكتفاء بما قدمناه فى مواجهة مقال البابا .

ولست فى حاجة الى أن أذكر القارىء الى أن مخرجى كتاب « الاستحالة » قد خصصوا النسخ الوارد فى القرآن الحكيم **بالابطال** . وهو تخصيص له هدف عناهم ، علما بأن النسخ فى اللغة له عدة معان . منها النقل والتحويل ، ومنها الازالة ومنها الابطال والنقض .

ولكنهم غضوا أبصارهم عن النقل والتحويل ، والازالة ، وتمسكوا بالمعنى الثالث وهو الابطال والنقض . وهذا لديهم مطلوب ما دام المتحدث عنه هو القرآن .. ؟ ! (١) .

---

(١) أنظر أن شئت : مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٢٤/٤٢٥ . وأساس البلاغة (حـ ٢/٤٣٨ لسان العرب (حـ ٤ باب الخاء فصل النون . وترتيب القاموس (حـ ٤ ص ٣٦٢) .

وصنيعهم هذا يذكرنا بقول ابن الرومي وهو يتحدث عن المزاج النفسي في الحكم على الشيء بأحكام مختلفة تبعا لذلك « المزاج » من الرضا والسخط ، وفي هذا يقول ابن الرومي وما أجمل قوله :

تقول هـــذا مجـــاج النحـــل تمدحه
وان تعب قلت ذا قـيء الـزنابير

ثم أن المعول عليه في العلوم والفنون هو اصطلاحاتها لا المعنى اللغوي ، لأنه عام والمعنى الاصطلاحي الفني خاص . فبماذا ـ اذن ـ عرف العلماء النسخ ؟ سواء أردنا منه نسخ الاسلام لما قبله من شرائع ، أو النسخ الوارد في الاسلام وهو ما يتعلق ببعض أحكامه هـــو . لعلماء الأصـول في ذلك مذهبان :

أما أحدهما فهو : « رفع الحكم الشرعي بطريق شرعي متراخ عنه » .

وأما ثانيهما فهو : « بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه » .

ومعنى الرفع أن المشرع يقدر حكما في مسألة مخصوصة لفترة مخصوصة من الزمن ، فراعى فيها أحوال خاصة يدركها المشرع خلال تلك الفترة . فاذا انقضت الفترة المخصوصة انتهى العمل بحكمها ثم أثبت المشرع حكما آخـر يناسب جميع الأحوال التي تستجد بعد .

ويلاحظ أن التعريف الثاني أوثق صلة من الأول بهذا البيان الذي بيناه وسواء كان النسخ رفع حكم واحلال آخر محله ، أو كان انتهاء حكم وابتداء حكم آخر فانه لا يسري أثره على صحة العمل بالحكم المنسوخ في حينه .. بل انه يسلم بصحتها سواء كان الحكم الثاني اجازة أو منعا . ونضرب لذلك مثـالا :

قـــوله تعـــالى : « لا تقربوا الصـــلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) من هذا النص يفهم جواز شرب الخمر ـ وهو كذلك كان ـ لان المنهى عنه هو تأدية الصلاة في حال السكر . أما السكر نفسه فمسكوت عنه ، وهذا يؤدي الى أن السكر في نفسه لم يكن محظورا واستمر العمل بهذا فترة في صدر الاسلام وحين جاءت اللحظة المناسبة لتحريم شرب الخمور لم يتردد الاسلام لحظة واحدة في اتخاذ قرار التحريم ، فنزل قوله تعالى :

---

(١) النساء (٤٣) .

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (١) ومنذ تلك اللحظة أصبحت الخمور محرمة انتاجا وتجارة وشربا • وليس معنى هذا أن من كان ينتجها أو يتاجر فيها أو يشربها قبل قرار التحريم كان آثما • لا • بل انه كان يزاول عملا مباحا ينوى المشرع حظره فى الوقت المناسب ، لحكمة يقدرها المشرع العليم الخبير بمصالح عباده آجلها وعاجلها • وتلك الحكمة فى هذا المثال نوجز الحديث عنها فى الآتى :

١ ـ كان الاسلام يقرر من أول يوم بدأ فيه نزول الوحى تطهير المجتمع من المفاسد والموبقات فى العقيدة والسلوك • ومنها شرب الخمور والقمار • ونظرا لان مصالح الناس قد ارتبطت بهذين المصدرين (الخمر والقمار) كمورد للرزق ، وكان هذان المصدران من أكبر العوامل الاقتصادية فى محيط الفرد والجماعة • فان الاسلام قد هادنهما فى أول الأمر حتى يتهيأ الجو لوجود بديل عنهما يتكسب منه الناس حتى لا تضار موارد رزقهم • ثم بدأ الاسلام نفسه ينبه الناس الى اتخاذ ذلك البديل • ووقف من الخمر أربع وقفات كانت الرابعة هى القاضية • وبيانها كالآتى :

الوقفة الأولى : وتتمثل فى قوله تعالى :

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (٢) فقد وصف الله فيه الرزق بأنه « حسنا » ولم يصف « السكر » بل أهمله ففهم الناس أن هذا « السكر » ليس حسنا • والا لقال « حسنين » وكان هذا الفهم سببا فى تخوف منتجى الخمور وتجارها وشاربيها • وبدأت تساؤلاتهم نحوها تتكرر ، فذهب المؤمنون الى صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يبين لهم فى الخمر بيانا شافيا •

الوقفة الثانية : وكانت تتمثل فى قوله تعالى الآتى اجابة على ذلك السؤال :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما » •• البقرة (٢١٩) •

وقد هزت هذه الآية مراكز الخمور هزا عنيفا • ذلك لان القرآن الحكيم قد بين للسائلين أن الخمر فيها اثم كبير ، وفيها منافع للناس • ولكنه

---

(١) المائدة (٩٠/٩١) •
(٢) النحل (٦٧) •

بدأ ببيان الاثم ووصفه بأنه كبير · ثم عاد فقارن بين الاثم والمنافع وقرر أن الاثم أكبر من المنافع ومعنى هذا أن الخمر والميسر وان اشتملا على « منافع » فهما مضار ، لان الانسان لا يسعى نحو أمر ضرره أكبر من نفعه وهو يعتقد أنه رابح · فما دام حساب الخسارة أكبر من عائد الربح فالعملية خسران لا ربح فيه ·

وهنا بدأ كل من يعتمد على انتاج الخمور أو الاتجار فيها يبحث عن بديل آمن لرزقه خاصة وأن سوق العرض والطلب قد فقدت الكثيرين من « عملائها » لاعراض الناس عن تعاطى الخمور طلبا للسلامة من الآثام ·

الوقفة الثالثة : ويمضى التشريع الاسلامى فى تضييق دائرة الخمور تمهيدا لاتخاذ القرار النهائى فيها · فيروى أن أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم وقف يصلى اماما بالناس فى صلاة جهرية · فقرأ قوله تعالى ·

« قل يا أيها الكافرون · لا أعبد ما تعبدون » قرأه هكذا :

« قل يا أيها الكافرون · أعبد ما تعبدون » فنزل قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » النساء (٤٣) ·

وكانت هذه ضربة مؤلمة للخمر وان لم تكن القاضية ، ذلك لان المسلم مطالب على وجه الشدة بأداء خمس صلوات فى اليوم والليلة موزعة على نظام دقيق : فآثر ترك شرب الخمر حرصا منه على سلامة « الصلاة » وبذلك فقدت الخمور اعدادا هائلة من أصدقائها وشاربيها · كما بدأ السعى لدى منتجيها وتجارها بترك الاشتغال بها · واستحداث وسائل أخرى للعيش أكثر أمنا من هذه الموارد التى يحاصرها الاسلام حينا بعد حين · ومن يدرى ما الذى سيتخذه نحوها من مواقف فى المستقبل · ثم جاءت الضربة القاضية وهى :

الوقفة الرابعة ها هوذا الجو قدتهيأ ، والانظار أخذتتحول الى مصادر أخرى للرزق يقرها الاسلام ولا يعاديها كهذه · وأصبح كل شىء صالح لان يكر الاسلام كرته القاضية على « أم الخبائث » وأترابها من الميسر « القمار » والانصاب والازلام (١) · وتمثلت الكرة الاخيرة فى قوله تعالى :

---

(١) الانصاب : حجارة كانوا يذبحون عندها للاصنام ، والازلام أقداح كانوا يستفتونها عند اسفارهم فيتفاءلون أو يتشاءمون ·

« انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمـــل الشيـــيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (١) ·

وبهذا أوصد الاسلام كل أبواب الشرور والاضرار الخلقية والاجتماعيـة حول موائد الخموز والميسر ، ولكن بلا ضرر ولا ضرار · وهذا من سمـــاحة التشريع الاسلامي وحكمته ، فلم يصدم المجتمع بتحريمهما فجـــأة وبغير تمهيد وانما ترفق بهم شيئا فشيئا · فجمع بين مصالح الناس العاجلة ، وبين مقاصد التشريع العليا في حكمة واتقان · هذه ميزة من مزايا التشريع الاسلامي ولكن **امناء الأنجيل** يأبون الا أن يسموا هذا « ابطال » وأنه خاص بالقرآن ، لأن آياته ــ حسبما يزعمون ــ يبطل بعضها بعضا · ؟ !

اننا لا ننكر أن في شريعتنا نسخ أحكام بأحكام تساويها في الدرجة والحكمة بل اننا نعتز بهذا النسخ · لأنه ميزة تشريعية نحن نعرف « قيمتها » بل ان رجال القانون من غير المسلمين قد لهجوا بالثناء عليها ·

والذي نحب أن يفهمه أمناء الانجيل هو :

أولا : ان هذا النسخ كان خاصا بعصر نزول القرآن · أما بعده فليس هناك قوة أو سلطة في الارض تملك أن تحل ما حرمه الله ورسوله ، أو تحرم ما حرمه الله ورسوله ·

ثانيا : ان هـــذا النسخ ليس « ابطـالا » كما صورتموه ، اذ لو كان كما تقولون لاخذ الله كل شارب خمر قبـــل قرار التحريم ، ولعاقب كـــل لاعب ميسر قبله ــ كذلك ــ ولكن الله عفا عما سلف قبل قرار التحريم · وعلى هـــذا ــ يا سادة ــ فان حـــكم الجواز الذي كان ساريا قبـــل قرار الحظر كان صحيحا ، ثم انتقـــل الحـــكم من الجواز الى المنع التحريمي · وهذا هـــو معنى النسخ لا الابطال الـــذى ادعيتموه · فهـــو ــ أى الابطـــال ــ وان كان احـــد دلالات المعاني اللغوية لكلمـــة « النسخ » فليس واردا هنـــا · ولكى تتأكدوا من صحة ما نقول نذكركم بأن من معـــانى النسخ في اللغـــة تدوين الكتب من الرقاع أو من الذاكرة ، وكانت كلميـــة « النساخ » تعنى معنى « الكتبة » والرواة الى عهد قريب ·

ثالثا : ولو كان معنى النسخ « الابطال » كما تقولون لكانت الآيات « المنسوخة » ملغـــاة من المصحف · ولمـــا عـــلم بها أحـــد · ونؤكد لـــكم أن القرآن ليست فيـــه آيـــة واحـــدة منسوخة حكما وتلاوة · وانمـــا قـــد تنسخ الآيـــة حكما وتبقى في التلاوة · وهـــــذا هو شأن النسخ في القرآن الحكيم ·

---

(١) المـــائدة (٩٠) ·

وإذا سألتم : ومـــا الفائدة من تلاوة أو بقـــاء نص انتهى العمل بالحكم الذى يفيده هـــو ؟ ونجيب فنقول :

(أ) ان كلام الله كله سواء ما تعلق به حكم أو ما لم يتعلق به حكم فانه يتعبد بتلاوته ويغذى القلب والروح ٠

(ب) وفى بقـــاء تلك الآيات المنسوخة تذكير بذلك المنهج الفريد الـذى سلكه القرآن فى التشريع ابان عصر النزول ، وذلك من مظاهر رحمة الله بعباده ٠ ولترتبط كل واقعة بحكمها وملابســـاتها ٠ ومن أجـــل هـــذا نزل القرآن نجوما حسب الوقائع على مـــدى ثلاث وعشرين سنة ، ولم ينزل دفعة واحدة كما هو الحال فى التوراة والانجيل ٠

(ج) وفى بقـاء تلك الآيـات المنسوخة الحـكم أكبر معين على معرفـة تاريخ التشريع الاسلامى وأطواره التى ســـار فيها ٠ وهـذه أيضا ميزة لم يعرفها أحـــد لنفسه سوانا ، وهـذان الامران : التذكير ومعرفة تاريخ التشريع الاسلامى وأطواره من أبرز مظاهرنا الحضارية ٠ فاسألوا أهـــل الذكر ان كنتم لا تعلمون ٠

وهأنتم قـد علمتم صـــحة الرأى عندنا فى مبـــدأ النسخ الـــذى تدعونه « ابطـــالا » فتعالوا ـ الآن ـ نعرض عليكم نصوصا من أناجيلكم ، تحمل معنى « الابطال » الـــذى وصفتم بـه بعض نصوص القرآن ٠ لتنبؤنا بصـــحة الرأى عندكم فيها والا الزمناكم ـ ونحن لابـد فاعلون ـ بالنتائج التى تؤدى اليها عقلا ومنطقا :

أولا ـ جـــاء فى انجيل يوحناكم (٥/٣٢) أن المسيح قال : « ان كنتم أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقـــا » ٠

وجـــاء فيـه (٨/١٥) قـول المسيح أيضا : « ان كنت أشـــهد لنفسى فشهادتى حق » فما رأيكم يا سادة :

هل الآية الثانية نسخت الاولى أم لم تنسخها ٠ ؟ فان قلتم نسختهـــا فقد لزمكم القول بأن الانجيل يبطـــل بعضه بعضـــا كما قلتم عن القرآن ٠ أليس كذلك يا قوم ٠٠٠ ؟ ! وان قلتم لم تنسخها لزمـــكم واحـد من أمرين لا ثالث لهما ٠ **احدهما** أن المسيح كان لا يدرى ما يقول فيثبت هنـــا ماينفى هنـــاك ٠ ؟ !

وان قلتم ، ان المسيح لم يقل الاولى ، أو لم يقـــل الثانية الزمـــكم التسليم بالتزيد والتحريف فى كلامه • وهذا هو الامر الثانى •• ؟ !

وان قلتم ليس هــذا ابطالا قلنـــا لكم فأنتم ـ اذن ـ جائرون حيث لم تعدلوا بين القرآن وبين الانجيل فاختلف الحكم عندكم والظاهرة المحكوم فيها واحدة •• ؟ !

ثانيا ـ وجاء فى انجيل يوحناكم ايضا « ٥/٢٣ » قول المسيح « لأن الآب لايدين أحـــدا بل قـــد أعطى كل الدينونة للابن » وجـــاء فيه قوله « ١٢/٤٨ » : « وان سمع أحد كلامى فلم يؤمن فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت لأدين العالم • بل لاخلص العالم » فما رأيكم ياسادة •

فى الآية الاولى الآب أعطى الابن كل الدينونة • وفى الآية الثانية الابن لايدين أحـــد ، لأنه جـــاء ليخلص العالم •

هـــل تقولون بتحكيم الآيتين • هـــذا باطـــل • أم تقولون احداهما نسخت الاخرى فهـذا ابطال على مذهبكم • أم تقولون احداهما ليست للمسيح فهـذا تبديل وتحريف • فاختاروا لانفسكم ما يحلو • وان كان فى الواقع ليس فيما تختارون حـــلو قط • ونكتفى بهذين النصين الآن ، ولنا عودة ••

سابعا : رسول الاسلام لم يأت بمعجزات • وهـــو خاص بالعرب •• ؟ !

ويمضى مخرجو كتاب الاستحالة فى مزاعمهم فيدعون : أن رســـول الاسلام لم يأت بمعجزات قط • وأن رسالته خاصة بالعرب فحسب ، فليس رسولا لبنى اسرائيل ولا لغيرهم من الشعوب • ؟ !

وكعادتهم فى الاستدلال التعسفى راحوا يسوقون نصـــوصا من القرآن الحكيم ليؤيدوا بها مدعياتهم وأوهامهم غير آبهين بما تحمله تلـك المدعيـات من باطل وزيف • وهـــا نحن أولاء نورد مـــا قالوه ونرده بالدليل الـــذى لا قـــدرة لباطلهم على الوقوف أمامه وان طبلوا له وزمروا •

أولا ـ دعوى عدم المعجزات (١) :

جـاءت هـــذه الفرية فى كتـــاب « الاستحالة » ص ١٢٢ حين عقـــدوا

---

(١) سنكتفى هنـــا برد أدلتهم أمـــا المناقشة التفصيلية فسنرجئها الى حين مواجهتنا الوثيقة الثالثة لاثارتهم فيها شبها مختلفة وسلوكهم مسلكا قبيحا فى الافتراء والتهجم ، فموعدنا على الصفحات الاخيرة من هذه المواجهة •

مقارنة بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ان موسى عليه السلام صنع معجزات ، أمـــا رسول الاسلام فـلم يصنع معجزات (!) وهـذا بشهادة القرآن ؟ !

ثم يعمدون الى ثلاث آيات من القرآن الحكيم . الأولى هى قوله تعالى :

« وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون ... » الاسراء (٥٩)

وقوله تعـــالى :

« وقال الذين لا يعملون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية . كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قـــد بينا الآيات لقوم يوقنون » البقرة (١١٨) .

وقوله تعالى :

« وقالوا لولا نزل عليه آيــة من ربــه » الانعام (٣٧) .

والحق ــ كما يبدو ــ من أدنى تأمـــل أن مخرجي كتـاب « الاستحالة » ليس لهم دليل فى هـذه الآيات الثلاث . وذلك لما يأتى :

الآيات الاولى تنص أن الله ــ سبحانه ــ اقتضت حكمته الاقلال من ارسال الآيات المـــادية ، لأن الامم الســـابقة كانت كلمـــا جاءتها آيــة من ربهـــم اعرضوا عنها ، وكذبوا بها . وأملى عليهم الشيطان أن يقولوا انما هى سحر مبين . وذهب قتادة وابن جريج فى معنى هـــذه الآية فقالا : ان الآيات التي أشـــار الله اليها هنا هى الآيات التى اقترحها كفـــار مكة وليس المراد جنس الآيات . فأل فيها للعهـد الذكرى . فقـد ورد أنهم طلبوا منـه أن يحول لهم جبل الصفا ذهبا ، وأن ينحى الجبال من حولهم . فأنزل اللـــه جبريل عليه الســـلام ليقول للنبى صلى الله عليه وسلم : ان شئت كان لقومك ما طلبوا فاذا لم يؤمنوا عجـــل اللـــه بعذابهم ، وان شئت استأنيت عليهم ــ يعني تمهلهم ــ فقال عليه الســـلام : بل استأن بهم .

وفى نفس الآية ذكر الله لـه مثـلا من ثمود قوم صالح حيث ارســـل الله لهم « الناقة مبصرة فظلموا بها » ولم يؤمنوا فأهلكهم الله .

وهـــذا المعنى ، وهو امساك الآيات لتكذيب النـاس بها ، قـد كرر كثيرا فى القرآن الحكيم ومنــه قوله تعالى :

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك · ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون » (١) ·

وقوله تعالى :

« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » (٢) ·

وقوله تعالى :

« لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين · ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون · لقالوا : انما سكرت أبصارنا · بل نحن قوم مسحورون » (٣) هذه هى حكمة الله فى امساك الآيات التى يطلبونها · ان كفرهم وعنادهم سواء لديه جريان الآيات وامساكها · وأحرى · بمخرجى كتاب الاستحالة أن لا ينسبوا الى رسول الاسلام عجزا فى مجال الآيات والمعجزات ، وعليهم أن يساءلوا الله الحكيم الخبير لم كانت حكمته كذلك · ولا أظن أنهم يتهيبون مثل هذه المواقف · فقد خاضوا ـ معه ـ ما هو أكبر جرأة واثما ·

أما الآية الثانية وهى قوله تعالى : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ··· » فهم المعنيون بها · يهودا ونصارى · واليك سياق الآيات لتكون على يقين مما نقول :

« وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه · بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون · بديع السموات والارض ، واذا قضى أمرا فانما يقول له : كن · فيكون · وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ، أو تأتينا آية · كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون · انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم · ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل أن هدى الله هو الهدى · ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » البقرة (١١٦ ـ ١٢٠) ·

فمن هم يا ترى الذين قالوا اتخذ الله ولدا ؟ أليس هم النصارى فى ادعائهم نبوة عيسى لله · واليهود فى ادعائهم نبوة عزير له تعالى

---

(١) الانعام (٨) ·
(٢) الانعام (٧) ·
(٣) الحجر (١٣/١٥) ·

عما يقولون علوا كبيرا · ومن هم الذين طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة · أليس هم اليهود أهـــل الكتاب · ثم من هم الذين لا يعلمون وقـــد تشابهت قلوبهم اليسوا هم أهـــل الكتاب · ان المفسرين لم يشركوا مع أهـــل الكتاب من اليهود والنصارى فى هـــذه الاوصاف الا مشركى مكـــة · اذ جمع بينهم جميعـــا الكفر والاشراك بالله ·· ؟

ثم من هم اليهود والنصارى الذين لم يرضوا عن نبى الاسلام الا اذا اتبع أهواءهم وما هو بمتبع · أليسوا هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام وأصحاب التوراة والانجيل ·

يـــا قوم : ان محمدا عليـــه السلام ليس متهما بالعجز فى مجـــالات الاعجاز كما تدعون · ولو أنكم استعملتم عقولكم لعزفتم عن ذكر هذه الآيـــة دليلا على ما تقولون · فالآية تحمل فى صدرها ما يبطل دعواكم · فتأملوا هـــذا الصدد جيدا :

« وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا اللـــه ··· ؟ ! » فهـــل قول الذين لا يعلمون حجة يتمسك بها عاقل الا الذين لا يعلمون ·· ؟ !

ثم تعالوا معنا الى الآية الثالثة :

« وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه » ذكرتم انتم هـــذا الجزء من الآية ولم تجرؤوا على ذكرها كلها · وها نحن نذكر ما اهملتموه :

« ··· قل ان الله قادر على أن ينزل آيـــة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون » فمن هم الذين قالوا هذا القول ؟ ! انهم هم لم يتغيروا · الذين لا يعلمون وقـــد سبقت هـــذه الآية آية أخرى لا شك انكم قرأتموها وهى قولـــه تعـــالى : « انما يستجيب الذين يسمعون · والمـــوتى يبعثهم اللـــه ثم اليه يرجعون » ان هـــذا الفريق الاحمق الذى تقص الآية الكريمة قصـــته وتحكى قوله ، انما ســـأل سؤال عنيد متجبر · فبين يديه آيات لم ينتفع بهـــا ، ومنها هـــذا القرآن الذى أقروا له بالفضـــل وخروا بين يدى بيانه واعجازه · فلو أن هـــذا الفريق أراد لنفســـه الهداية لآمن على ما بين يديه من آيات · ولكنـــه ســـادر فى غيـــه · ولو أن اللـــه اتبع أهواءهم فأنزل آيـــة كما طلبوا لقالوا بعـــدها كذلك : لولا انزل عليـــه آية من ربـــه · ولمـــا توقف عند حـــد مادام الشيطان هو وليه الحميم ·

أفليس من الحكمة أن يهمل هـــذا الفريق ولا يستجاب ليراجع نفسه ؟ !

أم أن الاسترسال معـــه فى أوهامه كان هـــو المطلوب من ســـيد المرسلين أن يفعله معـــه وأن يدعو ربـــه من أجله .

لا يا قوم . ان الفاعل هـــو اللـــه . واللـــه ليس متهما لا فى فعـــل ولا فى ترك .. هـــذه عقيدتنا عقيدة الحق :

يـا حاكمى وحكيمى أفعـالك الكـل حكمـة

ولنتوقف ـ الآن ـ عند هـــذا الحد فى موضوع المعجزات . فلنـــا فيه جولة أخرى سيأتى حينها ان شاء الله .

ثانيا : دعوى قصر الاسلام على العرب : ؟ !

مواقف أهـل الكتاب من الاسلام وكتابه ورسوله لا تخرج عن واحد من أمرين . احدهما الرفض والانكار الكلى . وثانيهما حصره فى العرب دون غيرهم من خلق الله .

أما الموقف الاول فهو الموقف الاصـــلى عندهم يهودا ونصارى . فاليهود لا يعترفون الا بشريعة موسى عليه السلام ، وينكرون رسالة كل من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والســـلام ولهم فى ذلك فلسفة عجيبة ، فهم يقولون لو جـــاز أن اللـــه يرســـل رسولا بشريعة ، ثم يرسل رسولا آخر بشريعة أخرى ناسخة للاولى للزم من ذلك أن الله موصوف **بالبداء** : أى أنـــه حين أرســـل الرسول الســـابق كان يقدر أن مصلحة الناس فى تلك الشريعـــة التى بعثه بها ، وعند التطبيق تظهر عيوب فى تلك الشريعة ، ويبدو للـــه نظـام آخر يصلح عليه أمر الناس ، فما يلبث حتى يلغى الشريعة الاولى ويقرر الشريعة الثانية وهـــكذا . وهـــذا يلزم منـــه القول بأن الله « جاهل » سبحانه ـ والا لقرر من أول الامر ما هـــو صالح لكل الاحوال . واستنادا على هـــذا الفهم العقيم انكروا تعـــدد الشرائع . فـــلا عيسى رســـول ، ولا محمد رسول صلى الله عليهما وسلم . ونفس الموقف يقفـــه النصارى من الاسلام ، لأن عيسى عندهم هو آخر الانبياء ، وقتله وصـــلبه هو الذى خلص البشرية ـ على زعمهم ـ من كل الخطايا والآثام . ولكنهم يعترفون بشريعة موسى عليه الســـلام فى الوقت الذى ينكر فيـــه اليهود رســـالة عيسى ونبوته ويرمونه بكل نقص .

أى أن النصارى يؤمنون بمن كفر بعيسى ورســـالته ، وهم اليهود ، ويكفرون بمن يؤمن بعيسى ورسالته ، وهم المسلمون . والى هـــذا المسلك العجيب يشير الامـام البوصيرى فى همزيته فيقول :

آل عيسى عاملتم آل موسى
بالذى عاملتكم الحنفاء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا
أو للحق بالضلال استواء (١)

أما الموقف الثاني ، وهو شر مثل الاول ، ولكن بعض الشر أهون من بعض ، فانه موقف محاباة ومجاملة لا عقيدة ٠ وهو الرأى الذى يقول ان محمدا رسول ، ولكن رسالته خاصة بقومه العرب دون غيرهم ٠

وتسألهم : ما دليلكم ؟

فيجيبونك : القرآن ؟ ، وتقول لهم : وكيف ؟ فيقولون لك : ألم يقل القرآن فى سورة ابراهيم الآية الرابعة منها : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ٠٠ » وكذلك كان رسول الاسلام عربيا من العرب ، لغته لغتهم ، وعاداته عاداتهم وكتابه عربى ٠

« وعليه فرسول الاسلام ليس بنبى لاسرائيل ٠ بل هو ـ كما يقول القرآن ـ خاص بالعرب فقط » كتاب الاستحالة (ص ١٢٣) ويقولون : « فهل بعد ذلك يرسل الله لبنى اسرائيل نبيا من غير أمة العهد والنبوة ـ يقصدون اسرائيل ـ نبيا غريبا عنهم وعن جنسهم وعن لغتهم وعن أخلاقهم وعن دينهم ٠ ويدعون أن هذا مناف للعدل الالهى اذ كيف يرسل رسولا لاناس لا يعرفون لغته فلا يفهمون ما يقوله هذا النبى ، ثم بعد ذلك يحاسبهم ويعاقبهم ٠٠ ؟ !

هذه هى شبههم التى تذرعوا بها حين اضطروا للاعتراف برسالة رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ٠ انها رسالة خاصة بالعرب ، وللعرب وحدهم ٠٠ ؟ !

أجل هذا كلامهم ٠ وسيظل كلاما ، ما لم نتعرض له ، فاذا تعرضنا له لو كان وجه النهار لاسود ٠

---

(١) أى آمنتم بشريعة موسى وهم بكم مكذبون وكفرتم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهم بكم مؤمنون وكان الاحرى بكم لو انصفتم بعض الانصاف لامنتم بشريعة محمد عليه السلام من باب المعاملة بالمثل ولو أننا عاملناكم بمعاملتكم فكفرنا بكم لكنا مثلكم مستوين ، ولكن هل يستوى الحق والباطل ٠

فلنناقش أولا شبه الاثبات (١) :

(أ) أما دليلهم النقلي ، وهو الآية الكريمة التي ذكروها : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه .. » فلا حجة لهم فيها ، لأن معنى الآية « وما أرسلنا » من قبلك « رسول الا بلسان قومه » ورسول الاسلام وان كان مرسلا بلسان قومه . فانه لم يكن خاصا بهم كما تدعون . وسنبين لكم هذا بعد قليل في براهين نفي ما تدعون .

(ب) وأما دليلهم العقلي ، وهو كيف يرسل الله رسولا الى قوم لا يعرفون لغته فلا يفهمون ما يقول ثم يعاقبهم الله على مخالفته ؟ !

وهذا الذي تقولونه مردود . والذي يرده العقل نفسه ، ثم الواقع الذي لا ينكره أحد الا مكابر .

أما العقل فانه لا يعترف بأن تعلم لغة ما لرجل يتكلم بغيرها مشكلة عويصة تمنع التفاهم بين طرفين . فما أسهل تعلم اللغات . ومنذ القدم كان العالم يعرف نظام الترجمات ، فيكفي أن يوجد في أمة رجل واحد يعرف مع لغته لغة أخرى ، فيقوم بدور الوسط الناقل من لغته الى الاخرى ومن الاخرى الى لغته . وبهذه الطريقة كانت تنقل رسائل الخاتم صلى الله عليه وسلم الى رؤساء وملوك الامم التي لا تعرف العربية مثل الفرس ، والروم ، وبهذه الطريقة كان يدور الحوار بين رسل الخاتم صلى الله عليه وسلم ووفوده وبين من يرسله اليهم من قادة الشعوب وزعمائها خارج جزيرة العرب أما بنو اسرائيل الذين عاصروا الدعوة ، فلم يكونوا يجهلون لغة العرب ، بل كانوا فيها مثل العرب أنفسهم حديثا وكتابة . والتاريخ يحدثنا وهو صادق أن اليهود كانوا يقرأون التوراة للعرب بالعبرية ، مثل البعثة ، ويفسرونها لهم بالعربية . وكانت صلتهم بالعربية ابان البعثة وبعدها أوثق شأنا من ذي قبل . لا حبا في الدين ولكن ليتمكنوا من دس الاخبار والآراء الا من عصم الله منهم فآمن وصلح أمره .

والخلاصة : ان العقل لا يقركم على أن اختلاف اللغات مشكلة ، تستعصى على كل الحلول فاذا كنتم حتى الآن تصرون على قولكم . فليس من

---

(١) انما سميناها شبه « الاثبات » لاننا نناقش القضية على أساس أنهم يدعون اثبات قصر الاسلام على العرب ، والواقع أن هذه القضية كاذبة وهمنا هنا نفي مدعاهم .

حقكم أن تدعوا أن عيسى عليه السلام عندنا والرب يسوع عندكم ارسل الحواريين ليبشروا العالم بالانجيل ، ويبلغوه له • فهل كان العالم وما يزال يتحدث بلغة الانجيل التى تجهلون أنتم أصلها وما هى ؟ هل هى اليونانية أو العبرانية أو السريانية أو السيروكلدانية ، كما تجهلون المترجم من هو وما لغته التى كان يتحدث بها وهل هو ثقة فيها أم غير ثقة • وأحيانا تختلفون فى واضع الانجيل نفسه •• ؟ ! فلماذا ترون لانفسكم ما لاترونه لغيركم والواقعة التى اختلف حولها حكمكم واحدة ؟ ! هذا هو رد العقل عليكم •

أما الواقع فيقول : ان اليهود وجميع أهل الكتاب فهموا مقاصد الاسلام فى عصر النزول وجادلوا صاحب الدعوة وحاوروه ، ولم يستعص عليهم فهم شىء فى الكتاب المنزل من عند الله هدى وبيانا لكل شىء •

ثم حين خرج الدعاة من جزيرة العرب يدعون الامم الى الاسلام ، وفتح الله عليهم فتحا مبينا فان الوثائق التاريخية تحدثنا ان اللغة العربية كانت أخت الاسلام فى الانتشار واقبال الناس عليها • وأرجعوا ان شئتم الى كتاب أخ لكم فى العقيدة هو الدكتور جوستاف لوبون فسترون فيه عجبا ، وكتابه هو « حضارة العرب » ثم ارجعوا كذلك الى كتاب « جورجى زيدان » تاريخ آداب اللغة العربية ، وهو ثقة لديكم فيما كتب ، وراجعوا عصر الترجمات فى العهد العباسى فسترون عجبا أيضا ، وستجدون اخوة لكم فى النصرانية كاسحق بن حنين كان لهم باع طويل فى مجال الترجمات من والى اللغة العربية •

لقد كتب الله النصر للغة كتابه الحكيم • فأكلت اللغة الفارسية فى الشام وفارس واكلت اللغة القبطية فى مصر • وأنتم الآن تتحدثون العربية كلغة وطنية وقومية ولا صلة لكم بلغتكم الاولى • لغة الآباء والاجداد • أليس كذلك فأين ذهبت تلك اللغات اذن • ابتلعتها لغة الاسلام حتى تقام الحجة على كل انسان •

هذا هو الواقع يا قوم فتعالوا الى كلمة سواء لا نعبد الا الله ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله • فليس فى قلوبنا غل لاحد ، ولا نحن حالمون بمدينة فاضلة ليس فيها الا رنين « النواقيس » ولكن صدرنا رحب وأرض الله فيها ما يسد حاجة كل العباد • والدين للديان وحده •

أما أدلة النفى ، أى نفى مدعاكم أن رسول الاسلام رسول للعرب خاصة فنقلية وعقلية كذلك •

فالادلة النقلية كثيرة نذكر لكم منها ما يأتى :

قوله تعالى : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » سبأ (٢٨) .

وقوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الانبياء (١٠٧) .

وقوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله » الفتح (٢٨) والصف (٩) .

وقوله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم » النساء (١٧٠) وقوله تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير . فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شيء قدير » المائدة (١٩) وخرج الامام مسلم ان الرسول الخاتم قال :

« والذى نفسى بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من أصحاب النار » .

فما رأيكم فى هذه النقول . اتقولون انها غير ملزمة لكم ، لانها قرآن وسنة . ؟ ! اذا قلتم ذلك قلنا لكم .

ولماذا استشهدتم بهما حين ظننتم أنهما يؤيدانكم فى صدق مدعياتكم . فقولكم اذن هناك مرفوض . فاما تقبلو الحق كله ، واما أن ترفضوه كله . فان ابيتم الا هذا قلنا لكم من هو الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض اذن . نحن أم أنتم نبئونى بعلم ان كنتم صادقين . ؟ !

أم تقولون أن العرب وحدهم هم الناس ، وأنهم وحدهم هم العالمون لان نص الآيات يقول : « وما أرسلناك الا كافة **للناس** » ويقول : « وما أرسلناك الا رحمة **للعالمين** » فاذا رضيتم بأن تخرجوا انفسكم من « الناس » ومن « العالمين » فمن أنتم اذن ؟ وحينئذ فلا كلام لنا معكم ، لان كلامنا مع « الناس » فحسب .

ولكن ما رأيكم فى الآية الاخيرة « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم .. »

ألستم أنتم أهــل الكتاب يا قوم ؟ ! فأين المفر اذن ؟ ! لقد حاصر الحق الباطل من جهــة فأين تذهبون •

بل نستطيع أن ننقل لكم نصوصا من اناجيلكم غفلت عنها اصابعكم فلم تخفوها • وفيها دلالة على ما نقول :

فمن هو المعزى الذى يمكث فيكم الى الابد • وهــذا نصــه فى انجيل يوحناكم (١٤/١٧) •

« وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث فيكم الى الابد » ؟ !

وقال فى شأنه أيضا : «١٤/٢٦» وأما المعزى روح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (١) •

أتقولون أن المعزى هنــا هــو روح القــدس الــذى منحــه المسيح تلاميذه • ان قلتم هــذا وأنتم قائلوه لا محالة قلنا لكم هــل روح القدس ذاك كان واحــدا أم متعددا بتعدد التلاميذ ؟ فان قلتم واحــدا قلنا لكم : فيمن حــل روح القدس من التلاميذ الاثنى عشر فيكون هــو خليفة المسيح ويكون الآخرون أدعيــاء عليه من بعده ؟ وان قلتم كان متعددا قلنا لكم : الآن خرجت عقيدتكم من التثليث الى مــا هــو أضعاف التثليث فعلام القــول بالتثليث اذن ؟ •

وهب أننا سلمنا لكم بكل هــذه الفروض فهــل أحــد التلاميذ أو هم كلهم باقون معكم الى الأبــد أم أنهم ذهبوا كما يذهب كل مخلوق ، وعــادوا قافلين فى نفس الطريق التى جاءوا منها :

« منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » •

وكفانا هــذا من أدلة النقل التى لا تخلو من العقل • فتعالوا الى أدلة العقل التى لا تخلو من النقل :

ولنتفق من الآن على مقدمة نلتقى عندها نحن وأنتم يــا أهــل الكتابين• وهى « اننا جميعا نؤمن بأن عــدالة الله تقتضى أن يبين للنــاس الطريق

---

(١) تنقل هــذه النصوص على « علاتها » لا لاننــا فى حاجة اليها ولكن لمجرد تذكير الخصوم بما يرونه لديهم « مسلما » وان تأولوه على غير وجهه • ؟ !

الموصلة اليه ببيان العقائد الصحيحة • وطرق العبادات والمعاملات ، والتشريعات التى تحـــدد الجائز والممنوع والحـــلال والحرام ، والواجب وغير الواجب فى كل ما يعرض لنـــا فى هـذه الحياة سلما وحربا • فى الداخـــل والخارج أو بعبارة أوضح : برنامج السلوك العام والخاص • وبعد هـــذا البيان يحاسب الله الطائع ويعاقب العاصى ان شاء » هـــذه هى المقدمة التى ندير عليها ما يأتى من حوار بغية الوصول الى الحق ، والحق وحده •

فهيا انثروا كتابكم المقدس بعهديه • وقسموه الى :

آلهيات ــ نبوات ــ سمعيات • شرائع ــ نسك وعبادات ، فلسفات كونية • ثم ضموا الى هـــذا التراث النظرى التجارب العملية التى صنعت ما يسمى بالتاريخ الكنسى •

ونحن من جانبنا ننثر قرآننا وما تولد عنـه من مصادر تشريع • ثـم نقسمه الى نفس الاقسام التى قسمتم اليها كتابكم مع ملاحظة جداول الزيادة أو النقص حسبما يسفر عنه المنهج المتبع فى التقسيم •

هـــذه هى الخطوة الاولى • أما الخطوة الثانية فتعالوا :

أولا ــ نقارن بين « المعطيات » هـــل هى متساوية عندنا وعندكم أم أن أحـــدنا سيكون أبز من الآخر ؟ فاذا لم نتســـاو وكنتم أنتم الابز فسوف نعترف لـــكم • واذا كنا نحن الابز فعليكم أن تعترفوا لنـــا • أمـا اذا تساوينا فليكن أساس المفاضلة هـــو « الكيف » وليس « الكم » •

ثانيا ــ ننظر فيما لديكم وفيما لدينا أيهما أمس رحما بالعقل والفطرة وأقـــدر على توجيه الحياة من الآخر ، وأعم نفعـــا للناس جميعا ، وأوفى بحاجة البشر فى الحياة فى العلاقة بين :

الانسان وربه • الانسان وأخيه • الانسان ونفسه ، الانسان وزوجـه وولده ثم تحديد ما هـــو واجب ، وما هـــو حق • ثم تحديد طرق الفصل فى الخصومات وتحديد طرق الكسب المبـــاح ، والكسب الممنوع ، وتنظيم علاقة مجمتع بآخر : فى الســـلم فى الحرب • الخ • الخ •

فاذا أسفرت عن المقارنة عن وفاء كتابكم المقـــدس فى اقامة الحياة على سنن الحق والعـــدل سلمنا لكم بأنكم أهـــل كتاب تستطيعون أن ترودوا المجتمعات نحو الانفع والاصلح • ولا نطالبكم بشىء •

أما اذا ثبت أن كتابكم المقدس بعهديه قاصر كل القصور عن مواجهة الحياة ـ ونكتفى هنا بوصف القصور فقط ـ فعليكم أن تسلموا لنا ، بل للحق الذى شرعه الله ليكون هو الرائد والموجه والمرشد ، لا لشىء فى أنفسنا فكل طلاب حق • ولكن لان الله أودع فيه خوالص وحيه • فهو طبعة الوحى الاخيرة • بعدها جفت الاقلام ، وطويت الصحف • فتعالوا نحكم عقولنا ، ونجرد أنفسنا من كل هوى • ونبحث أى الطرق تؤدى بنا الى الله فاذا ظفرنا به فلعنة الله على المعوقين •

ثامنا ـ دعوى سريان التثليث فى الاسلام : ؟ !

من أكذب الاكاذيب أن يقال ان الاسلام يشايع عقيدة التثليث كما هى عند النصارى بوجه مباشر أو غير مباشر • هذه أكذوبة مفضوحة أنى وجدت وكيف وجدت •

ومما هو معلوم للعامة قبل الخاصة أن الاسلام هو دين التوحيد الخالص ، والتجريد والتنزيه على صورة رائعة لا تعرف فى غيره من الاديان والنحل والمذاهب قديمها وحديثها • ان التوحيد فى الاسلام هو المثل الاعلى ، وعقيدة المسلم فيه كما يستقيها من القرآن والسنة المطهرة هى أرقى عقيدة فى « الله الواحد الاحد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • ليس كمثله شىء وهو السميع العليم • واحد لا شريك له فى ملكه • واحد فى حقيقته ، واحد فى صفاته ، واحد فى أفعاله أول بلا بداية ، وآخر بلا نهاية ، قدرته فوق كل القدرات ، وارادته فوق كل الارادات • مدبر الامر فى السموات والارض ، أمره نافذ ، وحكمته بالغة يعطى ويمنع ، ويعز ويذل • ويرفع ويخفض ، ويغنى ويفقر ، ويهدى ويضل • ويحيى ويميت ، بيده مقاليد الامور واليه مراجعها ، وهو الغنى الحميد • كل شىء يسبح بحمده ، ويسجد له بالغدو والاصال • له المثل الاعلى ، وله الاسماء الحسنى عالم الغيب والشهادة جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وما هو بظلام للعبيد •

« هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم »
« هو الله الذى لا اله الا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن المهيمن ، العزيز »
« الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون • هو الله الخالق البارىء المصور »
« له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم »(١)
« قل الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى • ءآلله خير أما يشركون»

(١) الحشر (٢٢/٢٤) •

« أم خلق السموات والارض ، وأنزل لكم من السماء ماء . فأنبتنا به »
« حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها (!) أأله مع اللـه ؟
« بل هم قوم يعدلون » .

« أمن جعل الارض قرارا ، وجعل خلالها انهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا » . ؟ !

أأله مع الله ؟ ! .

« بل أكثرهم لا يعلمون »

« أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض » أأله مع الله ؟ !

قليلا ما تذكرون » .

« امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته » أأله مع الله ؟ !

تعالى الله عما يشركون .

أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أأله مع الله

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) .

« أم اتخذوا آلهــة من الارض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة الا الله » « لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون » (٢) « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ؟ » « ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » (٣) .

« وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ، وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا ، ومــا ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . ان كل ما فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عـــدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا » (٤)

---

(١) النمل (٥٩/٦٤)
(٢) الانبياء (٢١/٢٣)
(٣) المؤمنون (٩١) .
(٤) مريم (٨٨/٩٥) .

هذا غيض من فيض من دلائـل التوحيد الفطرى فى كتاب الاسلام . وتلك هى مائـدة المسلم التى يستمد منها غـذاء طيبا لروحه وقلبـه وعقلـه ومشاعره ووجدانه . أنه دين أخص خصائصـــه التوحيد المقـام عليه أقوى البراهين ، المستقى من مرآة الكون المجلوة ، المسـائل أمـام النظر فى كل حركة ، وفى كل سكون ، وفى ذرة من ذرات الوجود .

ومع هـذا النور الابلج الوضاء يزعم ـ ويا لسوء ما يزعم ـ كتـــاب « الاستحالة ومخرجوه ان عقيدة التثليث واضحة أو هى من الامور الواضحة فى الاسلام . هـــكذا والله يقولون ، ثم يتوارون وراء زيفهم أو يوارون زيفهم فيقولون « ولكن بطريق غير مباشر (١) » ؟ !

يا سبحان الله .. ؟ ! القوم يريدون أن يجعلونا « مثلثين » من الدرجة الثانية بعد احتلوا هم « المركز الاول » فى التثليث . أو يجعلونا « مثلثين جبناء » بعـــد حازواهم قصب السبق فى « الشجاعة » فأعلنوا وأسررنا .. ؟ !

وان شئت أن تضحك من الاعماق فتعال أسمع مـــا قالوه عن « تثليث الاسلام » فى فن « الكوميديا » الاستحالية الحديثة .

واليك النصوص :

١ ـ البسملة المسيحية كالآتى : بسم الآب ، والابن ، والروح القدس » والبسملة الاسلامية : بسم الله ، الرحمن ، الرحيم .

هـذا هـو النص المسرحى الكوميدى الاستحالى الحديث . فانظر الآن الى المخرج القدير كيف أخرجـــه ، مع ملاحظة أننى سأنقل النص كما هو غير مصحح لـمـــا فيه من أخطـاء لغوية ونحوية مشيرا الى موضع الخطـأ بخط ثقيـــل .

يقول المخرج :

« **وهاتين البسملتين** هما صورة طبق الاصل من بعضهما (!) فالمسيحية تعرف الاقنوم الاول بالاب ، بينما الاسلام **فيعرفه** بالله ، والمسيحية تعرف الاقنوم الثـانى بالابن ، بينما يصفه الاسلام بالرحمن ... أمـا الاقنوم الثالث الـــذى تعرفه المسيحية باسم الروح القـــدس فانه يوصف فى الاســـلام بالرحيم » ... ؟ !

(١) كتاب « الاستحالة » (ص ٢٣١) .

وهنا يتخيل المخرج أن جمهوره قد استرسل فى ضحكاته، ومنى نفسه بمتعة فنية رائعة ، فاسترسل المخرج فى « تغريب » أدائه طلبا للمزيد من الاعجاب فاستمع اليه وهو يؤدى هذه « اللقطة » الهوجاء :

« .. وعلى هذا نجد أن عدد حبات السبحة التى يتم تسبيح اسم الله القدوس بها هو ٣٣ حبة ، بينما نجد أسماء الله الحسنى هو ٩٩ اسما عبارة عن ٣٣ حبة للعادل (الاقنوم الاول) و ٣٣ حبة للرحمن (الاقنوم الثانى) و ٣٣ حبة للمنعم أو الرحيم (الاقنوم الثالث) » ؟ ! كتاب الاستحالة (٢٢٢) .

ثم يلتفت غبطة المخرج البارع وهو على خشبة مسرحه » الهوائى » ويخاطب أحد المسلمين قائلا (١) :

« أليست هذه أقوال **علمائكم** ؟ ! كما اننى أتساءل مع الذين يقولون بأن المقصود بذكر الله الرحمن الرحيم هو التأكيد . اننى أسأل من يقول بذلك ولماذا لم **تكتفى** بالقول باسم الله الرحمن فقط ؟ ! أليس المثنى **توكيد** ؟ ! أو لماذا لم يكونوا أربعة أو أكثر فنقول باسم الله الرحمن الرحيم العليم الرءوف العادل .. الخ . لماذا نكتفى مثل النصارى بذكر ثلاثة فقط » ؟ ! كتاب الاستحالة (ص ٢٢٢) .

انتهى الفصل الاول من كوميديا المسرح « الهوائى » الاستحالى الحديث. وكان من اليسير — أخى القارىء — أن نهمل كل ما ورد فيه من هراء وزيف وباطل ولكن آثرنا أن نقول — هنا — كلمة لئلا يقع أحد شبابنا فريسة هذه الأوهام الغريبة . فنقول ومن الله الواحد التوفيق :

غريب ما يقوله هؤلاء من تشابه الاسلام للمسيحية فى تثليثها وشركها ووثنيتها . فنحن نقول بسم الله ، الرحمن الرحيم . هكذا بدون توسط حرف العطف « الواو » فنذكر « الله » ثم نصفه بوصفين : احدهما الرحمن والثانى الرحيم . والوصف هو ما قام بموصوف . ومعلوم — بداهة — ان الوصف ليس له تحقق فى الخارج بل هو قائم بموصوفه . وعلى هذا فاذا ذكرت « شخصا » محمدا مثلا ثم أجريت عليه ما يستحقه من أوصاف فقلت : محمد الفقيه اللغوى الناقد الزاهد الكريم .. ان كان شخص اسمه محمد كائنا فى الواقع كذلك . فان معك فى هذه العبارة ذات واحدة هى « محمد » وخمسة أوصاف هى ما ذكرت .

---

(١) الكاتب هنا يناقش الدكتور احمد شلبى الاستاذ بدار العلوم حول عبارة وردت فى كتابه « مقارنة الاديان » .

وهذا لا يعنى وليس من معانيه التعدد فى الذات ، بـل هى ذات واحدة موصوفة بعدة أوصاف هى موصوفها « شيء واحد » .

أما النصارى فيقولون : « باسم الآب ، والابن ، والروح القـدس » فيوسطون حرف العطف « الـواو » بين الآب والابن ، وبين الابن والـروح

والعطف بالواو ـ كما هـو معلوم لصبية الكاتب ـ فضـلا عن العلمـاء والباحثين يقتضى المغايرة ، أى مغايرة المعطوف للمعطوف عليه . فاذا قلت جـاء الكاتب والشاعر والقصاص . كان معنى هـذه العبارة أن الجـائى ثلاثة هم كاتب وقصاص وشاعر .

أما اذا قلت جـاء الكاتب الشاعر القصاص ، فيكون الجـائى واحدا موصوفا بهـذه الاوصاف الثلاثة . والسر في هـذه التفرقة بين المعنيين هـو وجود حرف العطف « الواو » كما علمت .

ومن هـذا يتبين لك أن العبارة المسيحية : باسم الآب ، والابن ، والروح القـدس » تفيد أن المسمى بـه ثـلاثة « شخوص » آب + ابن + روح لأن عبارتهم من باب « عطف الذوات » وليست من باب « عطف الصفات » فهم اذن « مثلثون » وان ادعوا التوحيد . والتفسير الواقعى عندهم لهذه العبارة تفيد ذلك بوضوح . فالله الآب شخص مستقل لانه وجـد قبل الابن ضرورة . والابن شخص مستقل . أما الروح القدس فهى شخص مستقل كذلك والدليل أنهم يعتقدون أن عيسى بعـد قتله وصلبه على زعمهم . وهب تلاميذه الروح القدس فهى فيهم الى الابد ، والا فمن يصـدق ان أبـا الولد هو الولد نفسه ، والولد هو الآب .

ان كتاب الاستحالة يحمل غلافه اسم : وهيب عزيز خليل . فهل يصدقه أحـد اذا قال : ان وهيبا وعزيزا شيء واحد . فعزيز هـو وهيب لانه ابنـه ووهيب هـو عزيز لانه أبوه . هـل يصدق العقل هذه الدعوى . دعوى الاتحاد الكمى والكيفى بين الابوة والبنوة ، والبنوة والابوة . ورحم الله المعرى حين قال :

هـذا كـلام لـه خبيء — معناه ليست لنا عقول

لا . بل لنا عقول . ومع العقول نقول نفرق بهما بين الحق والباطل أما مسألة التوكيد الذى يثيرها مخرجو الكتاب . فمن الـذى قال لهم اننا نريد من الرحمن الرحيم التوكيد . ؟ ! لا .. أبـدا .. نحن لا نريد منهما توكيدا يا سيادة « المخرج » ولكننا نبـدأ أعمالنا وعباداتنا باسم اللـه

والله وحده • ورغبـــة فى نجاح مقاصدنا وقبول عباداتنا نثنى على « الله » الأحد فنقول : الرحمن الرحيم • وهما نعتان أو وصفان للـه ، والله هـــو الاسم الاعظم أما الثمانية والتسعون اسما الاخرى فهى فى الواقع « صفات » وليست أسماء •• فليس للـــه فى الحقيقة غير اسم واحد هـــو « الله » وسميت صفاته الثمانية والتسعون « أسماء » من بـــاب المجاز لأن الاسم من خصائصه الثبوت والدوام ، والصفة من خصائصها المفارقة ، ولمـــا كانت صفات الله لها من ثبوت مواهبها وآثارها ما للاسماء ، سميت أسماء لهـــذا المعني ، ولهـذا يفصل بينها وبين الاسم الحقيقى بأنه الاسم الاعظم وهـــو « الله » والدليل على ما نقول ان كل أسماء الله بعد الاسم الاعظم « الله » كلها مشتقة مثـل : القوى العزيز الوهاب الكريم • والمشتقات صفات فى الاصـــــل •

فنحن يا سيد لا نريـــد من الرحمن الرحيم التوكيد بـــل نريـــد التبرك والتيمن وهمـــا وصفان لله من ثمانية وتسعين وصفا • والدليل أيضـــــا أننـــا نقول فى اعراب هـذه العبارة : الرحمن نعت أو صفة ، والرحيم نعت أو صفة للـــه كذلك • ولو كنـا نريد التوكيد أو التعدد فى الذوات يا سـيد لأعربنا كلا من الرحمن والرحيم بدلا • فلا تزج بنفسك فى لجـــة لم تحسن السباحة فيها •

نحن لا نريـــد التوكيد ، ومـع هـــذا فنحن بعيـدون كل البعد عن « مثلثكم » بأضلاعه المختلفة • أمـا لمـاذا لم نقل : بسم الله الرحمن • فنكتفى بالمثنى • أو لمـاذا لم نقل : « باسم الله الرحمن الرحيم العليم الرءوف •• » كما تقول أنت • فتعال نقل لك : اننا نقول : باسم الرحمن •• ونقول باسم الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم الخبير الاول ، الآخر الظاهر ، الباطن•• الى نهاية الشوط • نقول ما نقول ومع هـــذا فنحن موحدون يا سادة وليست بيننا وبينكم صلة فى « مثلثكم » فاجتنبونا واعتقدوا ما شئتم واياكم والتمسح فينا • كونوا شجعانا واستقلوا برأيكم والله وحـــده يفصل بيننا وبينكم •

ولكى تطمئن أكثر من أننـا لا نقف عند الاثنين فى الثناء على ربنـــا الواحد الاحد فاقرأ معى هـذه الآية :

« هـو اللـه الـذى لا اله الا هو : الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر • سبحان الله عما يشركون » وأرجوك أن تعـد الصفات التى نثنى بهـــا على الله الواحد ـ كما علمنا هـو فى كتابه ـ اذا عددتها فستجدها ثمانية والموصوف بها واحـــد لا شريك له • فهل نحن اذن « مثمنون » يا قوم اتقوا الله فينا وفيكم • فقد قبح الله اللجاج •

أما حكاية حبات السبحة ، فهى لطيفة جدا . ومسلية جدا . لكنها فارغة من كل مضمون .

لان المسلم — يا سادة — يقول وهو يسبح ربه سواء كانت معه سبحة أو لم تكن ، يقول :

سبحان **الله** ثلاثا وثلاثين مرة .
والحمد **لله** ثلاثا وثلاثين مرة كذلك .
والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة أيضا .

فهو يسبح « الله » ويحمد « الله » ويكبر « الله » ثم يقول فى النهاية لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . يبدأ موحدا ، وينتهى موحدا ، ويموت موحدا ، ويبعث موحدا لم يعرف فى حياته قط أن يقسم ثروة « التسبيح » بين آب وابن وروح انه لا يعرف الا الله الواحد الذى ليس كمثله شىء المنزه عن الصاحبة والولد ؟ !

أما الفصل الثانى من « كوميديا المسرح الهوائى الاستحالى الحديث » فهو وان كان أقصر عرضا من الفصل الأول . فانه عسر الهضم جدا . وقد صوره المخرج فيما يأتى :

« عندما يقسم الشخص المسلم **فبما** يقسم ؟ انه يقول : والله العظيم **ثلاثة** لماذا لم يقل والله العظيم والله العظيم ويكتفى ، أى والله العظيم **اثنين** بدلا من « **ثلاثة** » ووالله العظيم **أربعة** أو **خمسة** . واذا كان المقصود هو التوكيد فان الافضل فى هذه الحال ان نردد بدلا من **ثلاثة** القول بأعداد أكثر كثيرا لضمان التوكيد . ولكن المعنى الصحيح فى القول : والله العظيم **ثلاثة** هو :

« والله للأب » و « والله للابن » و « والله للروح القدس » لذلك قيلت : والله العظيم **ثلاثة** . أى والله لله ، و ، والله للرحمن ، و ، والله للرحيم كتاب الاستحالة ص ٢٢٢ .

انتهى النص المسرحى الهوائى الاستحالى الحديث .. ؟ !

وبادىء ذى بدء الفت نظر القارىء الى **الخطوط** التى وضعناها تحت كلمات العدد كلها : ثلاثة ، واثنين ، وأربعة ، وخمسة . وقد سبق ان اصطلحنا على أن هذه الخطوط ترمز الى خطأ لغوى أو نحوى ، وهو كذلك هنا . والمطلوب الآن أن نتعرف وجه الخطأ ثم وجه الصواب الذى ينبغى أن يكون ، وهذا التصحيح مهم جدا هنا . والحق يظهر من معنى ومن كلمة كما يقولون .

السيد المخرج أو السادة المخرجون الذين اخرجوا هـذا العمل قالوا في النص السابق « والله العظيم ثلاثة » وصحة العبارة « والله العظيم ثـلاثا » والفرق بين خطئهم وصوابنا ان المعدود في الجملة مؤنث هـو « مرة » واحدة المرات ، وما دام المعدود مؤنثا فيجب تذكير العدد معه ، أي يحذف تـاء التأنيث فيقال : « ثلاث » ولا يقال ثلاثة • لان تأنيث لفظ العدد هكذا « ثلاثة » يقتضي أن المعدود مذكر • ومعنى هذا فان المسلم وهـو يقول : « والله العظيم ثلاثا • انما يريد الاشـارة الى عدد المرات التي يقسم فيها • فكلمة « ثـلاثا » عنـده عوض عن : « والله العظيم ، والله العظيم ، والله العظيم • وليس المراد للمسلم ــ بداهـة ــ أن يشير الى عـدد من يقسم بـه لانـه هـو هـو واحد لا شريك له • وذلك التعـدد بالنسبة للمسلم لا يقع الا في وهم مريض • ؟ !

هـذه واحـدة • أما الثانية ، فنقول فيها للسـادة المخرجين ان المسلم ليس بلازم عنده أن يقول « والله العظيم ثلاثا » بـل كثيرا ما يقول : والله العظيم فلا يثني ولا يجمع ، وان ثنى أو جمع ثلاثا أو أربعـا أو خمسا أو حتى ستا (١) فليس في عقيدته آب ، ولا ابن ، ولا روح قدس • وانما يعني الله الواحد الاحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد • فعلام هذا « التمسح » اذا عجزتم أن تقنعوا شبابكم بما تروجون في عقيدة فلا تتوقعوا أنه سـوف يقتنع بمـا تقولون عنـدما « تلصقونه » بالاسلام وهو منـه براء • فالاسلام قادر على أن ينفي عن نفسـه الخبث كما تنفي النار خبث الحديد •• ؟

اغتمدوا على مصادركم فيما تعتقدون • فالعقائد لا تستعار ولا ترقع • فهـل رأيتمونا نؤيد رأيا عندنا ، أو نقوى عقيدة بما ليس في مصادرنا الموثوق بهـا • ان الاسـلام يعترف لكل مخالفيه بحرية العقيدة ، وحرية العبادة ، ولكنـه لا يسمح ولن يسمح أن يستدل بحق فيـه على باطـل في سواه ، ما جاء هو الا للتحذير منه وبيان سوء المغبة فيه •• ؟ !

وننتقل للفصل الثالث من نفس المسرحية • وعنوانه زواج وطلاق •• ؟ !

يقول المخرج :

« الزواج والطلاق في الاسلام يتم باسم الله الرحمن الرحيم ، ومعلوم

---

(١) تصل صور القسم في الاسلام الى « خمسين مرة » وهـذا ما يسمى في الفقة الاسلامي بالقسامة في بعض صور القتل • فهل يصبح الابـاء والابناء وأرواح القدس المقسم بها خمسين فتكون النتيجة خمسين الاها ؟

أن الطلاق في الاســـلام يتم **بالثلاثة** .. لـــاذا يتم **بالثلاثة** . لـــاذا لا يكون أكثر أو أقـــل من **ثلاثة** . ان ذلك يرجع الى أن زواجنا المسيحى يتم باسم الآب والابن والروح القـــدس . وان ذلك نقـــل الى الاسلام مع بعض التعديلات » ص ٢٢٣ .

وهنا يقول المخرج أى كلام ، أى شيء وله العـــذر فقد أجهد نفســـه في الفصلين الأول والثانى ، فأصابه اعياء شـــديد من فرط اخلاصـــه فى الأداء . وكلامه هنا ينبيء عن تلك الحالة السيئة التى وصل اليها . وقديما قالوا : ما فيك يظهر على فيك ولا غرابة فالكوميديا ـ عموما ـ غايتها الاضحاك ووسيلتها الهذيان .. ؟ !

الزواج والطلاق في الاسلام يتم باسم الله الرحمن الرحيم ؟ ! من أينَ له هذا الكلام ؟ ! أتنبئنا بما لا نعلم من شريعتنا ؟ ! رحم الله مالكا والشافعى وأبا حنيفة وابن حنبل فقد ترأسوا مراكز الفتيا ورادوا ميادين الاجتهـاد وخرجوا من الدنيا وهم لا يعلمون هذا العلم الغزير . قل باسم الله الرحمن الرحيم تصبح زوجا ، ثم قل باسم الله الرحمن الرحيم تفقـــد زوجـا . فلا ايجـاب ولا قبـــول ، ربما ولا مهر ولا شـــهود ثلث تتزوج ، ثم ثلث فتطلق . ؟ !

وهذا التثليث انتقل من المسيحية الى الاسلام مع بعض التعديلات ؟ ! بم نسمى هذا الكلام ؟ نسميه هذيانا ، أو هراء . كل هذا كثير عليـــه . فليبق هكذا بلا اسم . والليالى من الزمان حبالى /؟/ مثقـــلات يلدن كل عجيب .. ؟ ! ومتى انتقل يا سيادة المخرج ؟ وبأى وسيلة نقـــل كان . الخفيف أم الثقيل أم هو نقل « هوائى » استحالى ؟ ومن منا دفع تكاليف النقل ؟ نحن . ؟ لأ ثم لأ . أتدرى لـــاذا . لانه لم يصل شيء الينا ، ولن يصل . وان وصل طردناه شر طردة ، وهأنت قد جربت . ندفع عن حقنا كل باطل . ولا نتسمح في ركاب أحد عقيدتنا حياتنا ، وحياتنا عقيدتنا ، بيضاء نقية ليلها كنهارها . خالصة من أوضار الشرك ، نقية من رجس الشيطان . دليلها فيها . وبرهانها منها . والله حاميها والحق راعيها .

ثم تعالى معى ـ أخى القارىء ـ الى الفصل الرابع وهو عبارة عن مقارنة بين ما يسمى بالعمودية فى المسيحية ، وبين الوضوء فى الاسلام . وبقدرة قادر أصبح الوضوء « عماد المسلم » استغفر الله ـ لانه ـ أى الوضوء ـ مأخوذ عن المعمودية . ولكن ـ كما يقول المخرج ـ مع بعض التعديلات (! ؟) ومما يقوى هذا « التمسح » أن الوضوء يتم باسم الله الرحمن الرحيم .. وقد علمت عزيزى القارىء أن المخرج يأبى الا أن يتخذ من الله الرحمن الرحيم

رمزا لخرافة التثليث عندهم . فاذا كان هذا هو دليلهم على تلك الخرافة فان حالهم ومثلهم حال من يستضيء بمصباح جـار لا سلطان له عليه فكيف يصنع اذا أطفأ جاره مصباحه ، أو أحكم غلق النافذة المطلة عليه ، ثم تركه يهيم ظلماته وظلامه . ؟ !

وها نحن أولاء قد بينا مرات أن ما نقوله نحن من ثناء على الله الرحمن الرحيم ليس بنافعهم شيئا . لان الفرق بين ما نقوله نحن ونعتقده وبين ما يقولونه هم ويعتقدونه فرق ما بين النهار والليل ، والنـور والظلمات فلا صلة البتة بين الله الرحمن الرحيم ، وبين آبهم وابنهم وروحهم القدس ولا صلة البتة بين طهارتنا فى وضوئنا وبين معموديتهم وغطساتهم ، فقليلا من « الانضباط » يا سادة ، وخذوا ما عندكم أودعوه . ودعوا ما لله لله .

أما الفصل الخامس والأخير من كوميديا المسرح الهـوائى الاستحالى الحديث فقد جمعت الى غرابة التصور شفاعة الجهل باللغة واعرابهـا واستولدوا فيه نهاية فصولها كلها على ذينك الاساسين : غرابة التصور ، وشناعة الجهل .

وننقل للقارىء ما قالوه حرفيا فى هذا الفصل الخاتم :

« يقال فى الاسلام « صلى الله ... » (١) وعندما تعرب كلمة صلى الله باللغة العربية نجدها **فعل متعدى . لابد أن يكون له مفعول به** ، وعندما تعرب كلمة الله نجدها **فاعل ... وكما قلنا لابد أن يكون للفعل صلى مفعول بـه ، لانه فعل متعدى . فالى** من يصلى الله . ان الشخص يصلى دائما الى الأعـلى **الى الأقوى** ليأخذ منه قوة . الله عندما يصلى **فلمن** يصلى . هل هناك أحد أقوى من الله . حاشا . **فلمن** اذن يصلى الله ... ان هذا واضح أشد الوضوح فى الثالوث المقدس (؟ !) فعندما صلى السيد المسيح له المجد كان هو المصلى . وكانت الصلاة موجهة الى الآب « المصلى اليه » وكانت الصـلاة هى الروح القدس نفسه الذى يصل بين الابن والآب . أى ان الله الآب « مصلى اليه » الله الابن « مصـلى » الله الروح القدس . « الصـلاة نفسـها » ص ٢٣٤ .

والآن لا املك الا أن أقول :

« اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا . ولغيرك لا تكلنا يا أرحم الراحمين » .

---

(١) يقصد « صلى الله عليه وسلم » ؟ ! ولكن حرف الجر المحذوف مع ضميره وحرف العطف والمعطوف المحذوفين كذلك ، هذه العبارة أملى الحقد وحده حذفها والسبب معروف .

ان الدعاء برفع البلاء هنا واجب ·· واجب ، واجب ، واجب ·· واجب ·

لان هذا القول الشنيع « تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا » ·

أما غرابة التصور ، وشناعة الجهل باللغة واعرابها فاليك بيانهما فى ايجاز :

يقول مخرجو كتاب الاستخالة ان الفعل « صلى » فعل متعد ، وهذا جهل فاضح فى اللغة التى يكتبون بها · فهذا الفعل فعل « لازم » يكتفى بمرفوعه فلا يحتاج الى مفعول به كما يقولون ، ومن حق الفعل اللازم أن يخرج عن لزومه ولكن بواسطة حرف الجر فيقال مثلا فى الفعل « وقف » وهو لازم « موقوف عليه » اذا أردنا تعديه الى مفعول · ومن المؤسف حقا أن مخرجى كتاب الاستحالة حين أرادوا التوصل الى مفعول الفعل « صلى » قالوا : « مصلى اليه » وهذا يدل على أن الفعل « صلى » لازم ولكنهم حتى مع هذا لم يتنبهوا الى حقيقة الفعل ، وهذا يؤكد ما قلناه من جهل اللغة لدى مخرجى الكتاب · وسبب ذلك الجهل معروف هو الزهد فى اللغة العربية عندهم ، لانها ترتبط تاريخيا ما يرفضه المخرجون وهو الاسلام ·

ولا غرابة فى ذلك فالذى يجعل الواحد ثلاثة من اليسير عنده أن يصبح المتعدى لازما واللازم متعديا ·

هذا من حيث شناعة الجهل باللغة واعرابها وما كان أغناهم عن هذا الخلط لولا التمسح والانقياد وراء الأوهام ، وتصيد ما حسبوه سندا وما هو بسند ؟ !

أما غرابة التصور فتراه فى هذه الافتراضات :

المصلى له : الله الآب ·· ؟ !
المصلى : الله الابن ·· ؟ !
الصلاة : الله الروح القدس ·· ؟ !

ثلاثة اللهات ؟ ! اى والله الواحد الأحد الذى لا شريك له خالق كل شىء واحد مصل ، وواحد مصلى اليه ، وواحد هو الصلاة نفسها ؟ ! اى عقل يعير هذا الهراء اهتماما ·· ؟ !

ومما يزيد هذا التصور الغريب غرابة أن هناك قطيعة بين الله الآب ،

والله الابن ، ولهذا فان الله الروح القدس « الرجل الطيب المصلح » يقوم بوصل الله الابن بالله الآب ؟ ! اى والله الواحد الأحد هكذا قالوا ٠ واليك قولهم بالحرف الواحد :

« وكلمة يصلى معناها يتصل **فيمن** يتصل الله ٠ ان هذا واضح أشد الوضوح فى الثالوث المقدس ٠ فعندما صلى السيد المسيح له المجد كان هو المصلى ، وكانت الصلاة موجهة الى الله الآب المصلى اليه ، وكانت الصلاة هى الروح القدس نفسه الذى يصل بين الابن والآب ٠٠٠ » كتاب الاستحالة (ص ٢٢٣) ٠

تأكدت أخى القارىء أن هناك قطيعة بين الله الابن ، والله الآب مهمة الله الروح القدس (رقم ثلاثة) أن يصلح بين الابن وأبيه ٠ نحن لم نقل هذا عليهم ، ولكنهم هم ــ اعنى مخرجى كتاب الاستحالة ــ الذين قالوه عن أنفسهم ٠٠ فهل هذا كلام تنبنى عليه عقيدة تقنع أحدا مهما كان نصيبه من الوعى والادراك ٠

وأعود فأذكرك بأمر خطير جدا ، وهو أن كاتبهم القدير ، كما يسمونه ــ الاستاذ يسى منصور ، سبق أن نقلنا عنه فى غير هذا الموضع أن هؤلاء الثلاثة الآب والابن والروح القدس متساوون فى السلطان ٠٠ ؟ ! هذا نقلناه عنه هناك ٠ وتعليقا عليه نقول :

صدقناكم ــ جدلا ــ أن هؤلاء الثلاثة متساوون فى السلطان ٠ فلماذا اذن يصلى الله الابن لله الآب ٠ أليس فى هذا نقض لقضية التساوى التى تؤمنون بها ٠ أليس هذا ظلما من الله الآب لله الابن حيث يستعبده بالصلاة وهو مساو له فى السلطان ؟ !

والله الروح القدس ، ألم تقولوا انه ذات لها كيان مستقل وان كانت غير منفصلة عن الجوهر الالهى ٠ فكيف تصبح الذات صلاة والصلاة معنى من المعانى أو هى الأصح عبادة فيها دعاء وترتيل ٠

ثم ألم تقولوا ان الروح القدس هى السيد المسيح عند ردكم على من قال ان الروح القدس هى رسول الإسلام ٠

والم تقولوا أن الروح القدس هى « المعزى » الذى وعد به السيد المسيح تلاميذه بعد صلبه وقتله ــ كما تزعمون ــ فانظروا كم تفسير فسرتم بـه

الروح القدس ونحن تعرض عليكم حصيلته نقلا عما وعيناه مما كتبتم وقلتم ، واليكم البيان :

(أ) الروح القدس هو الله الأزلى خالق كل شيء وقادر على كل شيء ..
(ب) الروح القدس هو السيد المسيح ..
(جـ) الروح القدس هو المعزى الذى وعد به السيد المسيح ..
(د) الروح القدس هو الصلاة التى تصل بين الآب والابن ..

فمن من هؤلاء هو الروح القدس يا سادة . فهذه أربع تفسيرات له : واحد للاستاذ يسى منصور فى كتابه « التثليث والتوحيد » وثلاثة لكم فى كتابكم الاستحالة . ومن يدرى فلعل هناك تفسيرات أخرى لم نطلع عليها . أو اطلعنا ونسيناها . ان هذا الكلام الذى تقولونه ان دل على شيء فانه يدل على أنه ليس وراءه شيء ؟ ! وددنا أن نفهم ولكن .. ؟ !

أباطيل المقارنات

أشرنا من قبل الى أن مخرجى كتاب الاستحالة لجأوا أحيانا الى جدولة أفكارهم التى يدينون بها رسول الاسلام تارة ، ويدينون بها الاسلام تارات أخرى أو قل : يتهموش فيها رسول الاسلام والاسلام نفسه من خلال أوهام اصطنعوها واستولدوها من النصوص القرآنية ، وما كتبوه فى أناجيلهم . وحينا آخر لا يسعفهم النص القرآنى فيلجأون الى اثبات أقوال مقتضبة لبعض المفسرين وكان هدفهم المسيطر على كل ما سطروه هو « تعرية » رسول الاسلام (صلى الله عليه وسلم) من كل فضل ، هذا اذا كانت الموازنة بين رسول الاسلام ، وبين عيسى عليهما صلوات الله وسلامه . مع اجلال عيسى (عليه السلام) واضفاء ما ليس هو له عليه . ؟ !

اما اذا كانت الموازنة بين القرآن والانجيل أو التوراة فالنجس والادانة والتعرية من نصيب القرآن (!) والفضل والجلال من نصيب التوراة والانجيل طبعا (!)

واذا كانت الموازنة بين الاسلام والمسيحية فالويل كل الويل للاسلام ، والحق كل الحق مع المسيحية طبعا آخر (!) .

هذا هو سلوك مخرجى كتاب الاستحالة فى جدولة أفكارهم . وها نحن أولاء نعرض أمام القارىء نماذج من تلك الجداول كاشفين عما فيها من زيف وباطل كشفا لا زيف فيه ولا باطل .

وقبل أن نبدأ عملنا فى هذا الفرع أرجو من الأخ القارىء أن يستشعر هاتين الحقيقتين :

أولاهما : اننا حين نناقشهم فى شأن ما جاء فى هذه الجداول فاننـــا نقارن بين رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وبين عيسى الذى يصوروه هم فى أناجيلهم لا عيسى الرسول النبى الذى يصوره القرآن . والفرق بين عيسى القرآن وعيسى الانجيل كبير جدا ٠ ؟ !

وثانيتهما : وحين نقارن بين القرآن والانجيل أو الاسلام والنصرانية فانما نقصد الاناجيل التى بين أيديهم ، ولا نقصد الانجيل الذى أوحاه الله الى عيسى القرآن ولا النصرانية التى أقرها انجيل عيسى القرآن ، بل النصرانيـة التى عليها القوم الآن ٠ وهذا احتراس تمليه علينا عقيدتنا التى تحترم كل رسول وكل وحى وكل ملة نزل بها وحى ٠

والآن نبدأ عملنا وبالله التوفيق ٭

نماذج من الجدول الأول :

تجد هذا الجدول على ص ١٢٥ من كتاب الاستحالة ، قدموه بقولهم : « والجدول التالى يوضح أقوال العهد الجديد « الانجيل » عن رب المجد يسوع المسيح ، وأقوال القرآن عن رسول الاسلام » وهو يشغل ثلاث صفحات ، كل صفحة شطروها شطرين من أعلى الى أسفل ٠ وجعلوا الشطر الأيمن خاص برسول الاسلام ، واليسر خاص بعيسى الانجيل ٠ ثم قسموا كل شطر الى مستطيلات أو مربعات حسب طول النص وقصره ٠ وكان أول نص من القرآن مع أول انجيلى هكذا :

ما قاله القرآن عن رسول الاسلام :	ما قاله الانجيـــل عن المســيح
« انما أنا بشر مثلكم » فصلت (٦) والهـــدف من ذكـر هذا النص أن رسول الاسلام بشر فليست له ميزة اذن عليهم ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠	(أنا والآب واحد) يوحنا ١٠/٣٠ والهدف من ذكر هذا الكلام أن عيسى الانجيل هو وآبوه واحـد فليس هو ـ اذن ـ من البشر ٠

العمل والملاحظات :

النص الذى ذكروه فى جانب رسول الاسلام جزء من الآية المشـــار اليها واليك نصها كاملا :

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ، أنما الهكم اله واحد فاستقيموا له واستغفروه ، وويل للمشركين » ٠

أما ما ذكروه في جانب عيسى الانجيل فيحمل رقم ٣٠ وهو آية كاملة من انجيل يوحناهم الاصحاح العاشر .

وأرجو القارىء أن يتلو الآية القرآنية تلاوة متأنية فاقهة . ثم يقرأ النص الانجيلي . فانه سيجد هيبة الوحي وجلاله وصدقه في النص القرآني الحكيم . أما عبارة الانجيل فهي لا تخرج عن كلمة « مجاملة ومحاباة » ترددها كثيرا حين يريد أحدنا أن يجامل صديقا له فيقول : أنا وأنت واحد ، أو أنا وهو واحد . تبعا لحضور المخاطب أو هيبته . اليس كذلك ؟ !

هذه ملحوظة أولى : أما الملحوظة الثانية فاننا نسأل فيها مخرجي كتاب الاستحالة لماذا لم تذكروا النص القرآني كاملا كما ذكرتم النص الانجيلي كاملا ؟ !

فقد وضعتم كل بضاعتكم في كفة فلم تبخسون بضاعتنا ولا تضعونها كاملة في كفتنا ؟

اننا نسألكم ولا نريد جوابا لانه معروف لنا ، ولا بأس أن نذكره هنا لتعلموا أننا ندرك سبب هذا البخس ، وهو أنكم لا ترضون أنه أن يكون رسول الاسلام موحى اليه ، ولا تحبون أن تسمعوا أن الله واحد ، لأنه عندكم ثلاثة ولان الآية تدعو بالويل على المشركين . هذا هو الجواب ، ونحن نعذركم في حذف بقية الآية لأن قول الله فيها :

« انما الهكم اله واحد » يبدد في ثوان قولكم « أنا والأب واحد » أليس كذلك يا أمناء الانجيل .

ونموذج آخر :

ما قاله القرآن عن رسول الاسلام :	ما قاله الانجيل عن السيد المسيح
« واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين » الأحقاف (٢٩)	« قال له يسوع اذهب يا شيطان » متى ٤/١٠

العمل : وردنا على هذه المقارنة موجز جدا . وخلاصته من هو المتفوق في هذه المقارنة محمد رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم . أم عيسى الانجيل . رسول الاسلام أثر في الشيطان أثرا عظيما حيث جعله يستمع القرآن وينصت اليه ويؤمن به ، ثم يذهب الى قومه وينذرهم .

وعيسى الانجيل قال للشيطان : اذهب يا شيطان • وهنا احتمالان ، أحدهما أن يتمثل الشيطان لكلام عيسى الانجيل فيذهب ، ولكن حين ذهابه فهو شيطان لم تتغير طباعه • والاحتمال الثانى أن لا يمتثل الشيطان لأمر عيسى ، وفى هذه أيضا فهو شيطان • وهو على كل حال شيطان امتثل فذهب • أم لم يمتثل فبقى ولم يذهب •

أما محمد عليه السلام فقد اهتدى به الجن وآمن وصاروا يدعون قومهم الى الحق • ما رأيكم فى هذا ؟ ! أليس حقا يا قوم •

النموذج الثالث :

ما قاله القرآن عن رسول الاسلام :
« انك ميت وانهم ميتون »
الزمر (٣٠)

ما قاله الانجيل عن السيد المسيح :
« أنا حى فأنتم ستحيون »
يوحنا ١٤/١٩

العمل : النص القرآنى يقضى بأن كل حى سوف يموت نبيا أم غير نبى ، حيوانا أو طيرا • مؤمنين وكافرين • فلا ينجو من الموت أحد •

أما النص الانجيلى فيحتمل معنيين ، أحدهما افتراضى تقديرى ، والثانى قريب منه وهما : اما أنه يعنى أن عيسى الانجيل يعد أتباعه بأنهم لم يموتوا أبدا • وهذا هو الافتراضى التقديرى بحسب مدلول العبارة لفظا • والثانى أنهم سيحيون حياة هداية وتكريم •

وعلى كلا الأمرين فمخرجو كتاب الاستحالة مخطئون كل الخطأ فى هذه المقارنة لانهم ان اختاروا المعنى الثانى وهو حياة الهداية والتكريم فلا تصح المقارنة لأن النص القرآنى فى واد ، والعبارة الانجيلية فى واد آخر • والمعروف ان المقارنة تكون بين متماثلين • وهذا هو وجه تخطئتهم على هذا المعنى •• وان أرادوا المعنى الثانى وهو أن اتباع عيسى الانجيل لن يموتوا أبدا فان جسامة خطئهم فيه تهتز منها رواسى الجبال • لاننا نرى أتباع عيسى الانجيل يموتون كما يموت اتباع محمد وموسى عليهما صلوات الله وسلامه ويموتون كما يموت كل الناس ولم نر نصرانيا واحدا منح الخلود فلم يمت • ان قانون محمد عليه السلام ، وهو « انك ميت وانهم ميتون » هو الذى يطبق عليهم وليس قانون عيسى الانجيل الذى يقول : « أنا حى فأنتم ستحيون » ؟ !

ان الخاسر الوحيد فى هذه المقارنة ليس هو الاسلام ولا رسول الاسلام ولا المسلمين ولا القرآن • بل الخاسر الوحيد هو مخرجو كتاب الاستحالة ،

وعيسى الانجيل ... ولو أن مخرجى كتاب الاستحالة فكروا قليلا قبل عقدهم هذه المقارنات لعزفوا عنها لانها ضدهم وليست لهم .

نماذج من الجدول الرابع (١) :

تمهيد : كلمة « الانجيل » الآن لها دلالتان : **الأولى** اسلامية وهى أن الانجيل هو الكتاب الذى أوحى به الله الى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام . وهو فى جوهره لم يختلف عن الكتب السماوية من الدعوة الى التوحيد وهداية البشر . والثانية نصرانية وهى تعنى الأناجيل الأربعة التى تنسب لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا . وهى تصور السيد المسيح بصورة تختلف كل الاختلاف عن :

(أ) منهج الرسل والانبياء فى الدعوة الى الله .
(ب) ما يقرره القرآن عن عيسى عليه السلام .

والفرق كبير جدا بين الدلالة الاسلامية لكلمة « انجيل » وبين الدلالة النصرانية المسيحية . فالمسلمون يؤمنون بأن الانجيل كتاب موحى من الله . والنصارى يؤمنون بأنه ليس وحيا بل هو كلام عيسى نفسه ، كما تقدم .

وعلى هذا فان الانجيل الموحى به لا وجود له الآن ، وهذا ما يوسع دائرة الاختلاف بيننا وبين النصارى .

والمطلع على الأناجيل الأربعة يجد أن كتابها قد استفادوا كثيرا من الانجيل المنزل على عيسى قبل ضياعه ، فنقلوا عنه بعض الوقائع التى لا طريق الى العلم بها الا الوحى المنزل من عند الله . ثم اضافوا اليها عقائد وآراء وتوجيهات ليس لها أدنى صلة لا بالوحى المنزل ، ولا بكلام رسول مرسل من عند الله .

وعلى هذا فان التشابه بين القرآن ، وبين بعض ما ورد فى كل من التوراة ، والاناجيل الاربعة أمر « مسلم عندنا نحن المسلمين . اذ لا ضرر أن يتحدث القرآن عن امور هى من بقايا الوحى فى كل من عهدى الكتاب المقدس ، لأن مصدرها كلها فى الحقيقة هو الله . فالتوراة وحى ، والانجيل وحى . والقرآن

---

(١) كل من الجدولين الثالث والرابع معقودان من أجل هدف واحد هو بيان اقتباسات القرآن من التوراة والانجيل ـ على زعمهم ـ ومناقشة أحد الجدولين تعنى عن الآخر لان الهدف من مناقشتنا لهم فيها انما هى لبيان الزيف الذى توهموه من عقدها . وانما اخترنا الجدول الرابع دون الثالث لانه خاص بالانجيل . وأهل الانجيل هم الذين نحاورهم فى هذه المواجهة الموضوعية ..

وحى . وكلها فى الأصل كتب سماوية استهدفت هداية الناس الى الحق .. وقد ترد واقعة بعينها فى كل من المصادر الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن . وهذا هو ما يسميه مخرجو كتاب الاستحالة باقتباسات القرآن من التوراة والانجيل . ونحن نقول لا . ليس الأمر اقتباسا ، لان المقتبس (بكسر الباء اسم فاعل) محتاج الى « المقتبس منه » (بفتح الباء اسم مفعول) .

فالقرآن لم يأخذ أو يقتبس من التوراة أو الانجيل ، وانما هو تصوير أمين لحقائق الوحى التى تلقاها من مصدرها الحقيقى وهو الله .

ولنضرب لهذه الفكرة مثلا هو الآتى :

(أ) هو رمز لمحيط ضخم متدفق بالمياه الصافية العزبة .
(ب) فرع صغير استمد مياهه الجارية فيه من المحيط الضخم المرموز له بـ (أ) .
(ج) فرع آخر استمد مياهه من (أ) .

(د) فرع ثالث أكثر عمقا وأكبر عرضا وأطول مجرى من الفرعين ب ، ج ، استمد مياهه من نفس المصدر الضخم (أ) وظل محافظا على صفاء الميـــاه الجارية فيه وعلى لونها وطعمها ورائحتها رغم طول مجراه وعظم عمقه . بينما تعفنت المياه فى كل من الفرعين ب ، ج . وترسبت فيها رواسب غــيرت الطعم واللون والرائحة ، فلم تعد صالحة للاستعمال .

هذا هو المثل فهل يقال ان (د) استمد ما فيه من ب ، أو ج . أو يقال انه استمد مياهه من (أ) المصدر الكلى للجميع . ؟ هل مجرد التشابه بين الفروع الثلاثة يسوغ لعاقل أن يقول ان (د) أخذ بعض مياهه من (ب) أو (ج) لان فيها ماء شبيها بما فى (د) . واذا ساغ لأحد أن يدعى هــذا فهل يصدقه عاقل .

ان المصدر الرئيسى المرموز له بـ (أ) هو « الوحى الالهى » والفرع المرموز له بـ (ب) هو التوراة ، والمرموز له بـ (ج) هو الانجيل . أما الفرع العظيم المرموز له بـ (د) فهو القرآن . فالتوراة والانجيل غيرتا من حقائق الوحى تغييرا افقدنا الثقة فيها معا . وهذا ما نعنيه بتلوث المياه الجارية فيهما . أما القرآن فقد حفظ حقائق الوحى حفظا تاما فلم ينله تغيير ولا تبديل . وهذا ما نقصده بصفاء المياه الجارية فيه وعذوبتها ، لان مجرى هذه الانهار جميعا قدر أن يكون (د) هــو المسقى الخالد للناس خلودا لا يضر معه جفاف المياه فى غيره أو فساد طعمها . ما دام هو وافيا بحاجة الجميع .

فتعال معى أخى القارىء تنظر فى بعض ما توهموه هنا اقتباسا . وهأنت قد علمت وجه الصواب فى هذه الأمور . فأليك البيان على الوجه الآتى :

الحقيقة المقارنة	مكانها فى الانجيل	مكانها فى القرآن
بشارة زكريا بابنه يحيى	لوقا ١/٧ — ٢٢	آل عمران ٣٨ — ٤١ مريم ٢ — ١٥

والمطلوب منا الآن أن نحول رموز هذه البطاقة الى نصوص حية وكلمات ناطقة وها هى ذا :

أولا نصوص الانجيل :

» لم يكن لهما ولد : اذ كانت اليصابات عاقرا ، وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما . فبينما هو يكهن فى نوبة غرفته أمام الله ، حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل الى هيكل الرب وينجز ، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجا وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا ، لان طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج ، وكثيرون سيفخرون بولادته ، لانه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لايشرب ، ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الاههم . ويتقدم أمامه بروح ايليا وقوته ليرد قلوب الآباء الى الأبناء ، والعصاة الى فكر الأبرار لكى يهيىء للرب شعبا مستعدا . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لانى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذى يكون فيه هذا ، لانك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من أبطائه فى الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل . فكان يومىء اليهم وبقى صامتا لوقا : ١/٧ — ٢٢ .

ثانيا : نصوص القرآن :

« اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا . فتقبل منى انك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى — والله أعلم بما وضعت — وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا

حسنا وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم انى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله ، وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر ؟ قال كذلك الله يفعل ما يشاء . قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ، واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار » آل عمران (٣٥ ــ ٤١) (١) .

والنصوص القرآنية الآتية من سورة مريم :

« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . اذ نادى ربه نداء خفيا .

قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا . قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا . يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » مريم (١ ــ ١٥) .

هذه هى النصوص التى أشار اليها مخرجو كتاب الاستحالة فى هذه المقارنة وها نحن قد نقلناه من مصادرها نقلا وافيا . وها هى ذى النصوص بين يدى القارىء فليقرأ النصوص الانجيلية مرات ، وليقرأ النصوص القرآنية مرات ، ولا ينسى أن القضية هنا هى ادعاء مخرجى كتاب الاستحالة اقتباس القرآن هذه الواقعة من أناجيلهم . وليحاول القارىء فى وعى تام المقارنة الدقيقة بين النصوص التى اعوا أنها مقتبس منها ، وبين النصوص التى أدعوا أنها اقتبست مع ملاحظة أن عهد الأناجيل أسبق زمنا من القرآن اليها . وهذه القرابة تقتضى أن النصوص الانجيلية قد صورت الواقعة المقصوصة تصويرا كاملا بحيث تسد كل المنافذ أمام القرآن فلا يأتى بجدية لم تذكره هى . والواقع يخالف ذلك كله .

---

(١) ألفت نظر القارىء ــ هنا ــ الى أن مخرجى كتاب الاستحالة قد اهملوا من النص القرآنى ثلاث آيات هى ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ونحن ذكرناها كما ترى وستعلم سببه الحذف قريبا .

فالقرآن مع أنه لاحق فى النزول وليس سابقا قد قام بمهمتين جليلتين بالنسبة للنصوص الانجيلية وهما :

(أ) تصوير الواقعة المقصوصة تصويرا كاملا .

(ب) تصحيح أخطاء وقعت فى النصوص الانجيلية .

هذا بالاضافة الى دقائق نلحظها في النصوص القرآنية ، لا وجود لها فى النصوص الانجيلية . واليك البيان ومن الله وحده نستمد التوفيق والالهام .

ففى جانب المهمة الجليلة الأولى ذكر القرآنى ما يأتى :

(أ) نذر امرأة عمران ما فى بطنها محررا لله . وهذا لم يأت فى النص الانجيلى .

(ب) وضعتها انثى وكانت ترجوه ذكرا ودعائها ربها بحفظ مولودتها وذريتها وهذا أيضا غير وارد فى النص الانجيلى .

(جـ) كفالة المولودة زكريا عليه السلام ووجود الرزق عندها وسؤالها زكريا عن مصدر هذا الرزق وجوابها على هذا السؤال . وهذا لا وجود له فى النص الانجيلى .

(د) الربط بين قصة الدعاء بمولود لزكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران . وهذا مفقود فى النص الانجيلى .

(هـ) دعاء زكريا نفسه منصوص عليه فى القرآن نصا صريحا . بل النص الانجيلى أشار اليه من خلال كلام « الملاك » وهو « لان طلبتك قد سمعت » . ولا شيء أكثر من هذا .

هذا بالنسبة الى نص آل عمران . أما نص سورة مريم ففيها الاضافات الآتية :

(أ) ما رتبه زكريا عليه السلام من هبة الله له وليا . وهو وراثته ووراثة آل يعقوب .

(ب) السبب الذى حمل زكريا على أن يدعو ربه بهبته الولى ، وهو خوفه الموالى من بعده .

(جـ) كون زكريا أوحى الى قومه بتسبيح الله بعد خروجه من المحراب .

(د) الثناء على المولود « يحيى » من كونه بارا بوالديه عطوفا مسلما عليه من الله حين ولادته ويوم موته ويوم يبعث حيا .. الخ .

(هـ) الأمر بأخذ يحيى الكتاب وكونه « حكيما » فى صباه . وكل هـذه الأمور مفصلة فى النصوص القرآنية بينما خلا منها النص الانجيلى ؟

(و) تحديد مدة الصمت بثلاثة أيام في آل عمران وثلاث ليـال في مريم ولم يرد ذلك فى الانجيل .

أما المهمة الثانية الجليلة . وهى تصحيح الوقائع وعرضها عرضا أمينا فى القرآن فحسبك أن تعرف :

أولا : جعل النص الانجيلى الصمت الذى قام بزكريا بعـد خروجه من المحراب عقوبة من الملاك . فصحح القرآن هذه الواقعة وجعلها استجابة لدعاء زكريا عليه السلام : « قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا » آل عمران .

« قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليـال سويا » مريم .

ونحن لا ننكر أن بعض مفسرى القرآن الكريم قـد ذهب الى القول بأن صمت زكريا كان عقوبة له ، ولكن من الله لا من « الملاك » ولكن الحقيقة التي نحب أن يعيها الجميع أن النص القرآنى نفسه خلا من هـذا الجعل . بل ان سياق الكلام فيـه يدل دلالة قـوية على أن ذلك الصمت كان تكريما لزكريا باستجابة دعوته . بينما النص الانجيلى نفسه يشتمل على هذا الجعل بوضوح وليس هو واردا فى كلام مفسريه واذن لهان الخطب ولكى يطمئن مخرجو كتاب الاستحالة أننا لا نرفض القول بجعل الصمت عقوبة ، لانه ورد فى انجيلهم ، فاننا نقول لهم : اننا نرفضه أيضا فى مصادر اسلامية ولعلماء مسلمين لاننا نرفض الباطل ومشتقاته مهما كان القائل به مسلما أم غـير مسلم . وكفانا اقتناعا أن نصوص القرآن سلمت فيه ولا عبرة يقول تعارضه طبيعة النصوص فى منطوقها ومفهومها . وهذا هو ما نريد اثباته هنا ، لان المقارنة منصبة على نصوص انجيلية ، ونصوص قرآنية ، ولا عبرة بغـيرها أبدا .

ووفاء لامانة العلم نقول ان جمهور مفسرى القرآن رفضوا أن يكون الصمت عقوبة لزكريا عليه السلام ، لانه لم يخطىء فكيف يعـاقب وهو برىء ، ولسانه يلهج بشكر ربـه وتسبيحه .

ثانيا : النصوص الانجيلية تجعل البشارة على لسان ملاك واحد .
بينما القرآن الحكيم يسند تلك البشارة الى جنس الملائكة ، أى أن جمعا منهم قد ناداه وبشره « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب .. »
آل عمران :

« يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » مريم :

ففى آل عمران كانت كلمة « فنادته الملائكة » وفى مريم « يا زكريا انا نبشرك » بضمير الجمع . وبعيدا جدا أن يكون المنادى ملكا واحدا .
ويقول القرآن « فنادته الملائكة » فالوحدة هنا لم تقل بها حقيقة ولا يتحملها مجاز وعلى هذا فان النص القرآنى قد صحح واقعة أخطأ فى عرضها الانجيل . ولهذا دلالته التى لا تخفى على ذى نظر وتأمل .

ثالثا : النصوص الانجيلية تفيد أن التسمية » يوحنا (١) « هى من اختيار زكريا وكل ما فى الأمر أن الملاك تنبأ بها . بينما النص القرآنى يقرر أن التسمية هى من اختيار « الله » بدليل أن القرآن عبر عن الفكرة بالجملة الاسمية « اسمه يحيى » وهى من معانيها الثبوت . بينما عبر الانجيل بالجملة الفعلية « تسمية يوحنا » ومن معانيها الحدوث والتجدد .

ويؤكد المعنى الذى يفهم من النص القرآنى خاتمة الآية نفسها « لم نجعل له من قبل سميا » .

وهذا تصحيح ثالث قامت به النصوص القرآنية للوقائع التى وردت فى الأنجيل .

رابعا : ان النصوص الانجيلية تقرر أن زكريا عليه السلام حين جاءه الملاك « اضطرب ووقع عليه خوف » وخلا النص القرآنى من تسجيل هذه الواقعة . فدل خلوه منها على أنها لم تقع .

وليس هذا تعصبا منا لنصرة النص القرآنى على النص الانجيلى ، وانما تسجيل لما نراه حقا . ودليلنا على ذلك :

ان القرآن الحكيم عودنا فى قصه للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يقصها اذا وقعت ولا يهملها بدليل أنه حكاها عن موسى عليه السلام فى واقعة السحرة فقال : « فأوجس فى نفسه خيفة موسى » طه (٦٧)
وقال فى حقه أيضا : « فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب » القصص (٣١) .

---

(١) المقابل لـ « يحيى فى القرآن » .

وحكاها عن ابراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره بغلام حليم فقال سبحانه « ونبئهم عن ضيف ابراهيم • اذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما قال : انا منكم وجلون » الحجر (٥١ ، ٥٢) .

وحكاها عن مريم حين دخل عليها الملك فى صورة بشر فقال : قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » مريم (١٨)

والمنهج القرآنى فى حرصه على النص على هذه المواقف المناظرة لما حكاه الانجيل عن زكريا يدل بخلوه من النص عليها أنها لم تحدث • اذ لو حدثت لذكرها كما هو متبع فى منهجه • هذا دليلنا • وما أظن أحدا ينكره علينا • وعلى هذا فان سكوت القرآن عن ذكر ما نسبه الانجيل الى زكريا من خوف واضطراب يعتبر تصحيحا لتلك الواقعة ، وأنها لم تحدث • وهذا هو التصحيح الرابع للنصوص الانجيلية تقوم به نصوص القرآن اللاحق للانجيل فى الترتيب النزولى ! !

واخال قارئنا الكريم ينتظر منا الآن أن نذكر له دقائق التعبير القرآنى والتى خلا منها النص الانجيلى • وها نحن أولاء نلبى ذلك الرجاء بقليل من كثير •

دقائق النص القرآنى :

فى سورة مريم جاء تحديد مدة الصمت عن الكلام بأنها ثلاث ليال سويا • فاذا وضعنا فى الاعتبار سبق سورة مريم لسورة آل عمران فى النزول ، لان الأولى مكية وآل عمران مدنية كان معنى هذا أن الصمت الذى أجيب به دعاء زكريا كان خاصا بالليالى الثلاث دون نهاراتها •

وفى سورة آل عمران المدنية جاء تحديد مدة الصمت بثلاثة أيام • وللبوم دلالتان : احداهما اختصاصه بالنهار دون الليل • واخراهما شموله لليلة والنهار اللاحق بها وعلى هذا فان التحديد الذى جاء فى آل عمران قد أوضح أن الصمت كان شاملا لليل والنهار سواء فهمنا من النص دلالته الأولى فيكون مكملا لما بداته سورة مريم : ليال هناك + نهارات هنا • أو فهمنا من النص دلالته الثانية وعلى هذا يكون التحديد فى آل عمران مؤكدا ومكملا لدلالته على الليالى ونهاراتها الثلاثة ومجىء الليل فى مريم لان الليل أسبق من النهار وجودا • وعلى كل فان هذه الواقعة استكملت فى آل عمران وهذا هو شأن القصة فى بنائها وتكوينها •

* وصف الهيئة التى كان عليها زكريا حين نادته الملائكة وبشرته بيحيى جاء فى النص القرآنى مبينا تبيينا دقيقا يتخيله الشعور من العبارة الدالة عليه فلا يخطىء الادراك « وهو قائم يصلى فى المحراب » وليس لهذا الوصف الدقيق نظير فى النص الانجيلى ٠

* طهارة السلوك وسلامة الفطرة التى من الله بها على يحيى دل عليها النص القرآنى دلالات قوية جامعة ٠ فهى فى مريم « وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا ٠ وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا » ٠

وهى فى آل عمران : « وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » أما النص الانجيلى فاكتفى بهذه العبارة « لانه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب » وليس الصلاح مقصورا على ترك الخمر والمسكر ٠ بل كلمة « وكان تقيا » الواردة فى النص القرآنى لهى أجمع لمناقب الفضل والخير مما ذكر فى النص الانجيلى ، وكذلك شهادة القرآن ليحيى فى آل عمران « ومن الصالحين » وصف جامع لكل فضل

ولو رحنا نستتبع كل صور المقارنة فى هذه النصوص لوضعنا فى كفة القرآن نفائس لم نجد فى النص الانجيلى نظيرا لها نضعه فى كفته ٠ فحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق كما يقولون ٠

وقفة مع دعوى الاقتباس :

موضوع الدعوى هنا أن مخرجى كتاب الاستحالة يدعون أن القرآن اقتبس من الانجيل بعض الوقائع ٠

والواقعة التى هى موضوع دعوى الاقتباس — هنا هى **حادثة تاريخية دينية** محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى نبى الله ورسوله ٠ ووثائق تسجيلها هى **الانجيل والقرآن** الأمين

وصلة الانجيل بالواقعة المقصوصة انه سجلها بعد زمن حدوثها بقليل لان عيسى كان معاصرا ليحيى عليهما السلام ٠

وصلة القرآن بالواقعة أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل (سبعمائة سنة) تقريبا ٠

وقرب الانجيل من وقوع الحادثة المقصوصة ، وبعد القرآن الزمنى

عنها يقتضى اذا سلمنا بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتى الاقتباس فى القرآن على احدى صورتين :

احداهما : أن يقتبس جزءا مما ورد من القصة الكلية فى الانجيل . وتظل القصة فيه ناقصة عما هى عليه فى المصدر المقتبس منه (الانجيل) على حسب زعمهم . !!

والأخرى : أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هى فى « الانجيل » سواء أخذها بألفاظها أو صاغها فى أسلوب جديد بشرط التقيد بالمعانى الواردة فى المصدر المقتبس منه ، لان الفرض قائم — حتى الآن — على أن القرآن لم يكن لـــه مصدر يستقى منـــه « الواقعة » غير الانجيل المقتبس منه (!) ومحظور على القرآن عملا بهذه القيود التى تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد ، محظور على القرآن أن يأتى بجديد ، أو يضيف الى الواقعة ما ليس فى مصدرها الأوحد .

فماذا صنع القرآن اذن ؟ ! هل اقتبس من الانجيل جزء الواقعة المقصوصة موضوع الاقتباس ؟ أو اقتبس الواقعة كلها دائرا فى فلك المصدر الأوحد (الانجيل) فى كنه الحقائق ؟

لو كـــان القرآن قد صنع هذا : اقتبس جزء الواقعة أو الواقعة كلها ، ولو مع تغيير فى الصياغة لكان لدعوى الاقتباس « تلك » ما يؤيدها من الواقع . ولما اختلف مع مخرجى كتاب الاستحالة أحد فى التسليم بها وتصديقها ؟ !

ولكننا رأينا القرآن لم يقتبس جزء الواقعة ، ولا الواقعة كلها ، وانما صورها تصويرا رائعا . سجل كـــــل حقائقها . والتقط بعدساته كل دقائقها ، وعرضها عرضا جديدا نقيا صـــافيا ، وربط بينها وبين وقائع كـــانت بالنسبة لها كالسبب الموجد لها فى بنـــاء محكم وعرض أمين . وهذا يرد على مدعى دعوى الاقتباس دعواهم خاسئة وهى حسيرة .

ولم يقف القرآن عند ذلك الحد من العرض الأمين المستقل . بل قام بتصحيح الكثير من الأخطاء الواردة فى النص الانجيلى — كما قد رأينا — اما بالنص واما بالسكوت . وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه . وانما يتأتى ممن لـــه وسائله وسلطانه المتفوق بحيث يتخطى كل الحواجز ويسجل الواقعة من « مسرحها » كما رآها هو ، وعقلها هو ، وسجلها هو . وكـــان هذا هو القرآن .

أن المصدر الوحيد لما قصه القرآن علينا من وقائع التاريخ السحيق الضارب فى أعماق الزمن ، انمـــا هو الوحى الأمين ، وليس ما سجله الأحبار والكهان والكتبة فى توراة أو أناجيل • ولو كان القرآن مقتبسا لهذه الواقعة ـ مثلا ـ من الانجيل لانبعثت منه رائحة البخور الانجيلى ـ مثلا آخر ـ ومخرجو كتاب الاستحالة يدركون معنى ما أقول •• ؟ !

وتعالوا معنا الآن نناقش نموذجا آخر من نماذجكم التى أدعيتم فيها اقتباس القرآن من الانجيل نموذج من قسم الأمثلة ـ المضروبة ، وليس من قسم الوقائع ، فكفانا الذى قدمناه فيها •

وهذا النموذج مثل مختار بغير اختيار • وهو الذى أشرتم اليـه بالرقم ١٧ كما هو مبين فى الجدول الآتى :

الموضوع	مكانه بالانجيل	مكانه بالقرآن
مثل استحالة دخـول الجمل من ثقب ابرة	مرقس (٢٥/١٠)	الأعراف (٤٠)

ولنفرغ هذه البطاقة فنحول رموزها الى نصوص •

النص الانجيلى : « مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من دخول غنى الى ملكوت الله » مرقس (٢٥/١٠) •

النص القرآنى :

« ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجـــمل فى سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين » الأعراف (٤٠) •

وبادىء ذى بدء نقول لكم : ان صياغة المثل فى الانجيل غير متكافئة مع الفرض الذى عنونتم له بـ « استحالة دخول الجمل من ثقب ابرة » ان صياغتكم للمثل هنا قاصرة عن الوفاء بحق المعنى • أتدرون لماذا ؟ لانكم صغتم أفعل تفضيل من يسر • فقلتم « أيسر » • ومنطوق هـــذه الصياغة ومفهومها يدلان على أن مرور الجمل من ثقب الابرة « ممكن » وكذلك دخول « الغني » الى ملكوت الله ، لان قـــاعدة أفعل التفضيل

« لعلمكم » تفيد أن اثنين اشتركـــا فى صفة ، وهى هنا اليسر بمعنى الامكان . غير أن أحدهما وهو المفضل الذى هو مرور الجمل فى ثقب الابرة أزيد فى تلك الصفة من المفضل عليه وهو هنا دخول الغنى الى ملكوت الله . هذه واحدة والثانية :

أنكم عبرتم بالغنى . وليس الغنى ذنبا ياسادة . بل قد يكون الغنى سببا فى اجتياز صاحبه كل العقبات حتى يستقر فى رضوان الله . وهذا اذا كـــان صاحب المال مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، شاكرا لأنعم الله عليه ، معطاء منفاق مبذال للمال فى مرضاته . ومن الأمثلة التى تقال فيكون القائل بها صادقا هذا المثل : الغنى الشـــاكر خير من الفقير الصـــابر .

وبقيت الثالثة وهى :

أنكم عبرتم بـ « ملكوت الله » وهذه العبارة تصلح لعدة معان منها كون الله ، ومنها جنة الله ورضوانه . ولا جدال أن الأرض وما عليها وما فيها من « ملكوت الله » والغنى والفقير والجن والطير كلها داخلة فى ملكوت الله، لانها تعيش وتمرح فى الحياة الدنيا ولم يقل أحد ان الدنيا ليست من « ملكوت الله » فلله ما فى السموات وما فى الأرض وما تحت الثرى .. ولهذا فان عبارتكم هذه بالنسبة لبناء المثل الذى به تفخرون — ليست دقيقة فى مدلولها اذ كيف تحظرون على الغنى الدخول الى « ملكوت الله » وهو فيه بالفعل . ؟ !

ثم تعالوا الآن الى النص القرآنى الذى زعمتم انه مقتبس من انجيل مرقسكم ذاك وحسبنا — رغبة فى الاختصار — ان نبين لكم أنه ترفع عن المآخذ الثلاثة التى أنبناها لكم فى مثلكم القدوة .

فأولا : انه لم يعبر بالغنى كما عبرتم وانما جاء فيه :

« أن الذين كـــذبوا بآياتنا واستكبروا عنها » وهذان الوصفان : التكذيب بآيات الله ، والاستكبار عنها يستوى فيهما الغنى والفقير . فليس الغنى — دائما — اثما وليس الفقر — دائما — فضلا . بل قد يلتقى الغنى والفقير فى الفضل كما يلتقيان فى اللوم والمعصية . فالمعول عليـــه هو صلاح السريرة واستقامة السلوك .

وثانيا : انه لم يعبر بـ « ملكوت الله » كما عبرتم وانما جاء فيه :

« لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة » أى انهم فى جزء من

ملكوت الله ، يستوى فى الانتفاع بـــه مؤمنو عباده وكافروهم ، ولكن جزءا آخر من ملكوت الله وهو الجنة ونعيمها هو محرم عليهم .

وثالثا : انه لم يعبر بـ « أيسر » كما عبرتم وانما جاء فيه :

« حتى يدخل الجمل فى سم الخياط » والجمل لن يدخل فى سم الخياط ، فهذا مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل مثله . ؟ !

وبعد هذا العرض الموجز هل يستساغ لديكم القول باقتباس القرآن من الانجيل ؟ واذا قلتم فهل تظنون أن أحـــدا سيقتنع بما تقولون ؟ .. فـــكروا .. ؟ !

وعند هذا الحد نقف فى رد دعواكم الاقتباس . وفى ما قدمناه كفاء لبيان عور هذه الفرية ، ولن نسترسل استرسالكم فى تعدد نماذج المقارنة، فان لنا معكم جولات أخرى فى ادعاءاتكم الباقية .

وأكرر فأقول : وعند هذا الحد نقف لا عجزا ولا تسهيبا ، وانما لأن جدولكم هذا الذى ناقشنا نموذجين من نماذجه ، وبقية جداولكم انما هى « بالونات » ملأتموها بنفخكم الهواء فيها . ويكفى ان تثقب « البالونة » بطرف دبوس أو أبرة فى أى موضع فيها فلا تلبث أن تفرغ كل ما فيها من هواء . هكذا صنعتم « بالونات » ؟ وهكذا صنعنا ؟ « ثقبا » فيها . فلن تلبث أن تزول . وان عدتم عدنا .

« ان الذين كفـــروا ينفقون أموالهم ليصـــدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون . والذين كفروا الى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيث من الطيبه ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض ، فيركمه جميعا ، فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون . قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وأن يعودوا فقد مضت سنت الأولين » الأنفال (٣٦ ـ ٣٨) .

الجدول الخامس :

هذا الجدول تراه على الصفحتين (٢٨٢ / ٢٨٣) وقد قدموه بهذه العبارة « ليس معنى استشهادنا بالقرآن أننا نتفق معه تماما . لكن مما لا شك فيه أن هناك كثيرا من نقـــاط الخلاف نورد بعضها على سبيل المثـــال فقط » .

ثم خصصوا هذا الجدول للمقارنة بين نصوص من القرآن الحكيم ،

وضعوا بازائها نصوصا انجيلية تختلف معها فى الأسس والمبادىء • وهدفهم من هذه المقارنة أن المبادىء التى تنص عليها النصوص القرآنية مرفوضة عندهم ، لان النصوص الانجيلية تختلف معها • جاعلين النصوص الانجيلية تشغل الجزء اليمينى من الجدول من أعلى الصفحة الى أسفلها • والنصوص القرآنية تشغل الجزء اليسارى منها كذلك • وهى سبعة نصوص انجيلية وسبعة نصوص قرآنية •

واليك النموذج الأول منه :

ما جاء فى الانجيل	ما جاء فى القرآن
« أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » متى (٥/٤٤)	« الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » البقرة (١٩٤)

نقدم للقارىء بين يدى هذه المقارنة كلمة قصيرة ، مؤداها أنه ينبغى أن يدرك وهو يوازن بين النص الانجيلى والنص القرآنى الحكيم ، أننا لا يمكن أن نجزم بأن السيد المسيح عبد الله ورسوله هو قائل هذا الكلام ، ولا يمكن — كذلك — أن نجزم بأنه لم يقله • فالأمر عندنا قائم على الشك ، فقد يكون هذا من وعظه وقد لا يكون • كما أننا نذكر القارىء بأن الفرق شاسع جدا بين رسالة جاءت ملحقة برسالة أخرى تدخل عليها بعض « التعديلات » الوقتية ، وتخفف عن بنى اسرائيل بعض التخفيف وهى رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى عليهما السلام، وكلتا الرسالتان مؤقتتان فى علم الله •

وبين رسالة خالدة جاءت لتبقى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وهى رسالة الاسلام فبينما اقتصرت رسالة السيد المسيح على التوجيهات الروحية نظرا للمادية المظلمة التى كانت متفشية فى بنى اسرائيل فان الله قد أودع فى الاسلام مقومات البقاء الأبدى • فجاء الاسلام بصدره وجناحيه ليجوب أجواء الأفق الفسيح • أما الصدر فهو العقيدة الصحيحة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وثوابه وعقابه ووعده ، ووعيده وصلة الانسان بالله وبالكون ، ووظيفته فى الحياة ، وصلته ببنى جنسه سلبا وايجابا •

وأما أحد جناحيه فهو العبادات التى تصقل روح المؤمن وترقى بمشاعره وتهذب خلقه وسلوكه ، وتشعره دائما بأنه مربوب مصنوع لقوة لا حد لسلطانها .

وأما الجناح الثانى فهو مجموعة التشريعات التى تحقق استقامة السلوك الفردى والجماعى فى الحياة . وتضع فى يمين المكلف منهاج العمل : هذا واجب ، وهذا حرام وهذا ... وهذا .. ليهلك من هلك عن بينة . ويحيا من حيى عن بينة . ولهذا كله فانه ليس من الانصاف أن تستوى جرعة روحية موقوته برسالة عامة خالدة خلود الحياة نفسها . ولكن مخرجى كتاب الاستحالة قد عصبوا أعينهم عن هذا كله وأبوا الا أن يوازنوا لا ليسووا بين المرجوح والراجح ، ولكن ليقلبوا أوضاع الحقائق فيجعلوا المرجوح راجحا والراجح مرجوحا .. واذن فلتتسع صدورهم ليسمعوا ما نقول . ولن نقول الا ما هو حق لا ينازعنا فيه عاقل .

ان مبدأ القصاص الذى تنكرونه على الاسلام لا تصلح شريعة بدونه ، ولا يكون لها ذرة من تقدير اذا هى لم تحم الحقوق ، ولم تكن وافية بحاجة الناس فى دينهم ودنياهم .. فالظلم والاعتداء طبع أصيل من طبائع البشر ، واقرار العدالة بينهم وصون الحريات وحماية الحقوق من أوجب الواجبات فى شريعة قدر لها أن ترود مواكب الحياة فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها . فمن للضعيف اذا أهملت الشريعة شأنه تتلاعب به أهواء الأقوياء ، ويذيقونه الهوان صنوفا ، اذا لم يجد فى الشريعة نصيرا له ، وحاميا لحاضره ومستقبله . ومن يستطيع أن يكبح جماح النفوس الفاسدة اذا استمرأت انتهاك الحرمات وعاثت فى الأرض فسادا ، اذا لم يكن فى الشريعة قصاص عادل من أولئك الوحوش الضارية التى ليس لها طعام الا الولوغ فى الدماء والالتذاذ باذاية الآمنين الوادعين .. ولو أحسنتم التقدير ، ونظرتم الى الاسلام نظرة حق فاحصة لأدركتم أن التسامح تفخرون به خلق أصيل فيه ، بل هو المصير الذى يرغب فيه من له حق الاقتصاص ولكن لكل من التسامح والاقتصاص المثلى فى الاسلام مجاله وساحاته . فاذا كان التسامح أدعى للتحاب وتآلف القلوب دون أن يترتب على هذا التسامح اغراء بتكرار الاعتداء فالأخذ به أولى .

ونصوص الاسلام فى ذلك لا تكاد تحصر . فاسمعوا للقرآن الذى يقرر شرعية الاقتصاص بالمثل اذ يقول : « ومن عفا وأصلح فأجره

على الله (١) » واذ يقول « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره (٢) » واذ يقول : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (٣) » .

والقرآن حين يرغب فى العفو والصفح بشرطهما فانه يرغب من عفى عنه برعاية هذا الجانب ليقابله بالحسنى فيقول : « ومن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان (٤) » .

كما يبين قيمة العفو فيقول : « وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم (٥) « ويجعل العفو والصفح من مستوجبات غفران الذنوب فيقول :

« وليعفوا وليصفحوا . الا تحبون أن يغفر الله لكم (٦) » ويقول رسول الاسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

« أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها » ثم يذكر منها : « وأن أصل من قطعنى ، وأعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى (٧) » .

وغير ذلك كثير وكثير . ومن الخلق النبوى الكريم المأمور به من ربه الذى أدبه فأحسن تأديبه قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف » (٨)

ذلكم هو الاسلام يا سادة . وتلك هى شريعته . نعفو فى مقام يستحق العفو . ونقتص فى مقام المفيد هو القص . وما أصدق الشاعر الذى يقول :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

أى أن التسامح فى موضع لا يفيد فيه الا التشدد مضر بالحقوق ، مثل ضرر وضع الشدة فى موضع اللين . لان لكل من المسلكين مجاله النافع فيه .

فاذا كان المعتدى خسيس الطبع ، لئيم السلوك لم يزده العفو الا تماديا فى شروره ، فهذا لا ينفع معه لين وانما يدفع شره ولؤمه بشر مثله . ونعود فنشهد بالصدق للشاعر الذى قال :

فقســا ليزدجروا ومن يك حـــازما
فليقس ـ أحيـــانا ـ على من يرحم

ان الأخذ على يد الظالم بالشدة رحمة له وللمظلوم على حد سواء .
فالظالم مريض وانتشاله من ذلك المرض رحمـــة له ، والمعتدى عليه مغبون . ودفع الغبن عنه رحمة له وانتصاف .

والخلاصة ان الاسلام اذ يقر القصاص فيجعله حقا للمعتدى عليه ، يقر فى نفس الوقت العفو ويجعله واجبا على المعتدى عليه اذا ترتبت عليه مصلحة محققة أو مظنونة ظنا قويا . أو كان المعتدى ممن يثوبون الى حظيرة الاستقامة بأدنى توجيه ولما كان هذا هو الجو الذى يشـيعه الاسلام بين بنيه فان من أخطأ فى حق اخ له لم يكن ذلك الخطأ ضربة لازب فى أفساد العلاقات بينهما ، وان الأمــور لا يمكن أن تســتقر الا بأن يقتص المعتدى عليه من المعتدى ، ولا شىء غير ذلك . بل أن من الكرامة أن يعفو المعتدى عليه عن المعتدى . فاذا عفـا كان ذلك العفو جميلا منه ويدا بيضـــاء يسديها الى أخيه المعتدى . وما ذلك الا لانه يملك ــ مع العفو ــ أن يقتص . لان القصاص حقه . وأقرأوا معنـا هذه الأبيات الوضيئة التى أثمرتها حديقة العدل والانصاف فى الاسلام . وهى أبيات يرددها اخ اعتدى على أخ ثم صحت نفسه فندم وأرسل الى اخيه يقول :

ان كــان ذنبى عظيمـــا
فـــأنت اعـــظم منـــه

ان لم أكن فى فعـــالى
من الكـــرام فـــكنه

وخـــذ بحـــقك اولى
واصفـــح بعفوك عنـــه

ولا شك أن عفو القادر على الانتقام فضيلة من فضائل النفس العالية أما اذا كان العفو ــ دائما ــ حقا للمعتدى على المعتدى عليه . فلا فضل اذن لمن يعفو ولا تفاوت بين عفو وعفو . والقـــاء اريحية الانسان ــ هنا ــ أمر مفروغ منه . اذ هو مقهور مقسور على ما يفعل ولا فضل له فيه .

والعبارة الانجيلية مع اقتصارها على وجوب العفو دائما وفى جميع الأحوال ، وقد علمنا قصور هذا المبدأ عن صون الحقوق واقرار العدالة .

نقول : ان العبارة الانجيلية مع هذا فانه تكلف النفوس ما ليس من طبعها أبدا ، ولا تستطيع تحقيقه أبدا . اذ ان النفوس طبعت على حب من يحسن اليها ، لأن الحب حالة نفسية تنشـــأ داخل طوايا النفس متى توافرت أسبابها .. فكيف ــ اذن ــ تؤمر النفس بحب عدوها ، ومباركة لاعنها .

من الميسور على الانسان أن يحسن الى من أساء اليه ، وأن يصنع المعروف مع عدوه ومبغضه . أما أن تكلف النفس بحب أعدائها وتبريك لاعنيها فهــذا تكليف بما لا يطاق . وهذا هو الذى تقرره العبـــارة الانجيلية .. ؟ !

واذا غضضنا الطرف عن هـــذا كله ، وسلمنا لمخرجى كتــاب الاستحالة بهذا المبدأ المشطور فان اول من خرج عليه ، بل وآخر من يخرج عليه ويهدره هم الانجيليون انفسهم . فانهم يؤمنون به قولا ، ويحتجون بــه جدلا . أما العمل بــه واقعا فهذا ما لا نعرفه عنهم ، لانهم لم يخرجوا عن المبدأ الذى يدعو اليه الاســلام الذى يناوئونه هم ويحجونه . فهم مثلنا يطالبون بحقوقهم ويقتصون ممن يعتدى عليهم ودوائر القضاء فى كل بلدان العالم تعرض عليها ملايين الخصومات التى يكون أحد اطرافها انجيليون أو هم يمثلون كل اطرافها .. ولو كانوا مؤمنين حقا بهذا المبدأ لما رفع انجيلى واحد خصومة واحدة ضد مسلم أو يهودى أو انجيلى مثله ، أو غيرهم . فعلام هذا التهجم ــ يا سادة ــ على مبدأ أنتم منتفعون به مثـــل أبنائه لتنصروا عليه مبدأ أو نظرية فارغة من كل مضمون عملى ، انتم أول وآخر من يخرج عليها . والله ما هـــذا بعــــدل .. !

اننا وأنتم يعرف كل منا الآخر ، فلا يخفى على أحدنا شأن الآخر . فكفى متاجرة بكـــلام لا نصيب له الا أن يقال ويكتب . ؟ !

وكلمة أخيرة نقولها لكم قبل الانتقال الى مقارنة أخرى :

ان مبدأ القصاص الذى تعيبونه فى الاســلام لم يخل منه قانون وضعى فى أى بلد من بلدان العالم . بل أن الكثير منها قد انتفع ببعض نظريات الاسلام فيه . ومن هذه البلدان ما يدين بالنصرانية نفسها . ولم يخل منه عهدكم القديم « التوراة » وهو ما نقضتموه على لسان عيسى الانجيل هو رويتم قوله :

« سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسن بسن ، وأما أنا فاقول لكم : لا تقــــاوموا الشر بل من لطمك على خـــدك الأيمن فحول له الآخر ايضا ... » متى (٥/٢٨ — ٢٩) .

فكأن هذا نقضا من العهد الجديد « الانجيل » للعهد القديم ، وأنتم تدعون أن عيسى (عليه السلام) ما جاء لينقض بل ليكمل (١) .. ؟ !

ونقول : لولا مبـــدأ القصاص الاسلامى لتورمت بلايين الخدود ، ولكن بالاسلام الله سلم .. !

ما جــاء بالانجيل	ما جــاء فى القرآن
« فأية مدينــة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها ، وقولوا حتى الغبـــار الذى لصق بنا ننفضه لكم ... » لوقا (١٠/١٠ — ١١)	« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـــر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجــزية عن يد وهم صاغرون » التوبة (٢٩)

هذان آخر نصين قابل بينهما كتاب الاستحالة . وهما وان كانا قريبين من المقارنة السابقة الا انهما يغيبان امرا آخر هو مشروعية القتال فى الاسلام وخلو الانجيل منها .

ومن هذه المقــابلة بين النصين ندرك أن مخرجى كتاب الاستحالة يرفضون المبدأ الاسلامى وهم يزهون فخرا بالمبدأ الانجيلى الذى يفهم من النص وهو الاستسلام لارادة المخالفين محقين كانوا أو مبطلين .

وها نحن أولاء نـــدير معهم حوارا حول هذين المبداين من حيث هما مبدآن ثم من حيث الواقع العملى لدينـــا ولديهم وما ترتب عليهما ايجابا وسلبا من منافع وأضرار .

فمن حيث هما مبدآن فان مشروعية القتال فى الاسلام كـــانت ضرورة من ضرورات الدعوة الاسلامية التى قدر لها الشمول والعموم

---

(١) سنعود لهذه القضية فى فصل خاص ان شاء الله .

والخلود ، والاسلام نفسه جـاء بمنهج يضاد كثيرا من مناهج العقيدة والسلوك التى كانت تسيطر على حياة الشعوب فى ذلك الحين ، ســواء فى ذلك شبه الجزيرة العربية أو الممالك المجاورة لها . وقـد زاد من تفشى المذاهب الضالة والأهواء بعد عهد الناس برسالات السماء ، فبين رسالة عيسى عليه السلام ورسالة النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم ما يقرب من سبعة قرون . ومنهج التغيير الشامل الذى واجه الاسـلام به نظم الحياة كلها كـان من ابرز آثـاره قيام حركات جماعية وفردية تناوئه وتناديه فكان لابد من التصدى لهذه العداوة وردها بنفس السلاح الذى تقاوم بـه دعوة الاسـلام لتأمين حاضرها ومستقبلها وحماية متبعيها . ولا خير فى دعوة لا تحمى أبناءهـا أو لا تملك حق حمايتهم من خطر قائم أو متوقع .

وقـد كان أعداء الدعوة يضطهدون ابناءها بالفعل ، بل ان صاحب الدعوة نفسه صلى الله عليه وسلم لقى صـنوف العذاب من أولئكم البغـاة الأشرار .

وكان فى مواجهة الدعوة دولتان تملكان من أسباب القوة المـادية رصيدا ضخما ، وهما ــ مع هذا ــ تعيثان فى الأرض فسـادا الروم فى الغرب والفرس فى الشرق . فكيف كـان يواجه الاسلام هـذه القوى لو لم يكن القتال مشروعا فيه ، بل هو من أجل خصائصه . ولهذه الاعتبـارات كلها ، وفى مقدمتها حماية الدعوة وحماية أبنائها كـان التشريع القتالى فى الاسلام مبدوءا بهذا القرار العظيم :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقـوى عزيز » الحج (٣٩/٤٠)

فالمسلمون الأوائل ووجهوا بالقتال من اعـدائهم قبل أن يواجهوا هم أعداءهم . أو كما يسمى القرآن هـذه الحالة « انتصروا من بعد ظلم » أما النصرانية فلانها كما قلنا مرارا : دعـوة ملحقة موقوتة كانت تهدف أول ما تهدف الى « جلاء الصدا » عن وحى الله الى موسى بسبب انحرافات علماء بنى اسرائيل وليهم السنتهم بالكتاب ليأكلوا أموال الناس بالباطل فجعلوها شريعة « هوائيـة » يصرفونها حسب أهوائهم ، ثم

التخفيف عن بنى اسرائيل فأحل الله لهم على لسان عيسى عليه السلام بعض ما حرم عليهم • ولا غرابة فان الله كان يجعل القاضى والواعظ فى بنى اسرائيل فى درجة نبى مثل داود وسليمان • لان علماءهم لم يكونوا أمناء على وحى الله وشرائعه • هذه فروق مهمة جدا بين الاسلام وما سبقه من شرائع تجب مراعاتها فى هذا المجال •

ومع هذا فاننا نجد فى الأناجيل عبارة تكررت أكثر من مرة تفيد أن عيسى عليه السلام كان يود أن يستعمل السيف ، ولم يجىء ليلقى سلاما على الأرض وهذا هو نص تلك العبارة :

« لا تظنوا انى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما • ؟ بل سيفا •• » متى (١٠/٣٤) •

ووردت هذه العبارة مرة ثانية مع اختلاف الصياغة هكذا :

« جئت لألقى نارا على الأرض ••• أتظنون انى جئت لأعطى سلاما على الارض ؟ كلا أقول لكم : بل انقساما » ؟ ! لوقا ١٢/٤٩ ـ ٥١) •

فهل لمخرجى كتاب الاستحالة أن يبينوا لنا ما المقصود بالنار والانقسام والسيف التى جاء المسيح ليلقيها على الأرض • ؟ وما هو معنى السلام الذى ينفى بشدة أن يكون هو قادما من أجل نشره على الأرض • انها أمور نود أن نفهمها ولكن لا سبيل اليها الا أن يتطوع مخرجو « الاستحالة » بالتأويل فهم فى مثل هذه مهرة متفوقون •

المبدآن من حيث الواقع والمنافع والأضرار :

ان عظمة المبادىء لا تقاس بجودة صياغتها والترويج لها • وانما هى تقاس باختباراتها فى ميادين العمل والتطبيق ، وما يسفر عنه تطبيقها من آثار • فما هو اذن الأثر الذى أسفر عنه التطبيق فى المبدأ الانجيلى وما صلة الانجيليين به فى العمل والسلوك • ؟ وما هو الأثر الذى أسفر عنه تطبيق المبدأ القرآنى وما صلة المسلمين به فى العمل والسلوك هذا ما نوجز الحديث عنه الآن :

المبدأ القرآنى : أثرا وصلة :

لم يرق المسلمون قطرة دم واحدة قبل أن يؤذن لهم برد العدوان الواقع عليهم من أعدائهم ، بل انهم اضطروا للهجرة من مساقط رءوسهم

ثلاث مرات : مرتين الى الحبشة ٠ والأخرى الى المدينة المنورة ٠ وكانوا فى هذا طائعين ممتثلين لتوجيهات دينهم لم يخرجوا عليها قيد أنمله ٠

وحين أذن لهم بقتال اعدائهم امتثلوا الأمر ولم يتهيبوا عدوا مهما كانت عدته وعدده ٠ فجالوا فى أرض الله يبلغون العالم أوامر الله ونواهيه ، ويدعونهم الى قبول الحق الذى أمروا بتبليغه ٠ وكانت كل معاركهم التى خاضوها مضرب المثل فى الشجاعة والنجدة والالتزام بالحق والواجب ٠ فلم يقاتلوا الا من حمل السلاح ليصد عن سبيل الله ٠ لم يقاتلوا شيخا فانيا ولا امرأة ولا طفلا ولا راهبا فى صومعته يهوديا كان أو نصرانيا ٠ ولم يهدموا بناء ولم يقطعوا شجرا ، وانما كانوا منصفين عدولا حتى مع الد خصومهم ٠ لم يتجاوزوا الحق ولم يخرجوا على موضع « الخصومة » واستطاعوا فى ربع قرن من الزمان أن يقشعوا سحائب الباطل وغيومه من الوجود ٠ فاسقطوا اعتى قوتين عرفهما التاريخ فى ذلك الحين ، وهما قوتا الفرس والروم ٠ وشرقوا حتى فتحوا بلاد الصين والهند والسند ، وغربوا حتى وصلت مواكبهم الى شواطىء المحيط الأطلسى ٠ ووضعوا أقدامهم فى أوروبا الجنوبية فأقاموا دولتهم فى الأندلس ، وزحفوا نحو شمال أوربا فتوقف زحفهم عند جبال البرانس بجنوب فرنسا ٠ وانحدرت موجاتهم نحو الجنوب حتى وصلوا الى بلاد النوبة ٠ واتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية حتى قال أحد أمرائهم يوما يخاطب سحابة تجرى فى الفضاء نحو الغاية التى سيرها الله من أجلها ٠

« امطرى أين شئت فسيأتينى خراجك » ؟ ! يكنى عن انتشار الاسلام فى عهده تلك هى صلة المسلمين بمبدأهم القرآنى ٠ قوة فى أيديهم استثمروها فى مواضعها فكان حصادها خيرا للدعوة وللبشرية كلها مسلمين وغير مسلمين ولو قدر للاسلام ان يكون دعوة معزولة عن السلاح يلطم المسلمون فيها على خدودهم اليمنى فلا يملكون الا أن يديروا لأعدائهم خدودهم اليسرى ليلطموهم عليها مثل اليمنى ، لأن المساواة فى الظلم عدل (!) لو أنهم فعلوا هذا لدمرت الدعوة فى مهدها ٠ولاستؤكل المسلمون واحدا واحدا ولم يبق لهم ولا للدعوة أثر ٠ ولا اقتيد صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم الى خشبة « صليب » فيراق دمه وحفنة من تلاميذه ينظرون ٠ ولم لا ٠٠ ؟ ! والذين سعوا الى صلب عيسى عليه السلام كانوا يجاورونه ويحيكون المؤامرات ضده وضد دعوته حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق ، وبين أيديهم شاهد من توراتهم ٠

وكم من مرة حاولوا اغتياله فلم يردهم الا قوة السلاح وسواعد

الأبطال المؤمنين .. ؟ ! وكلمة نقولها لمخرجي كتاب « الاستحالة » الذين أعلنوا استنكارهم لمبـــدأ القتال فى الاسلام . نقول لهم فيها :

« ان أقباط مصر الذين يتربعون على « كرسى كرازتهم » كـانوا من اسعد الشعوب بثمرات الفتوحات الاسلامية . اذ لولا الفتح الاســلامى لمصر لأباد الرومان الشعب القبطى من الوجود . ولما بقى لهم أثر الى الآن ليكتب ضد الاســـلام الذى هو ولى النعمة على آبائه وأجداده الأقدمين .

ان مخرجى كتاب « الاســـتحالة » يعلمون دقائق تاريخ آبائهم ، واضطهاد الرومان لهم قبل اعتناقهم للنصرانية وبعدها .

فلم يمنع الرومان اشتراكهم فى العقيدة مع قبط مصر أن يحرقوا كنائسهم ويقتلوا أبريائهم ويضطهدوا « قساوستهم » ويقدم أقباط مصر آلاف الشـــهداء دفاعا عن عقيدتهم حتى سمى ذلك العصر بـ « عصر الشـــهداء » .. ؟ ! ان أمرا واحدا هو الذى خلص قبط مصر من ذلك الشقاء المر ، ذلك الامر هـــو الفتح الاسلامى لمصر الذى أطـاح بعروش روما وأجلى بنى الأصفر عن هذه الديار المصونة .

ان اتحاد عقيدة الرومان مع قبط مصر فى اعتناق النصرانية لم يمنع الرومان من اضطهاد القبط ، وان اختلاف عقيدة الفاتحين الاسلاميين لم يمنعهم من نصفة القبط واسترداد حرياتهم ، وتأمين كنائسهم واســـتمتاعهم بحقوقهم فى الحياة . ونسأل مخرجى كتاب الاستحالة » ! سؤالا مؤداه أين كان بطريرك القبط حين قدم المسلمون الفاتحون ؟ ! ألم يكن مختفيا خشية فتك الروم به ؟ ثم ما الذى حدث له بعد أن كسر المســـــلمون الفاتحون شوكة بنى الأصفر (الروم) .

ألم يحدث أن أعطاه عمرو بن العـاص قائد موكب النصر أمانا على نفسه ووجه اليه نداء ليعود لرعاية شعبه ؟ فظهر البطريرك بنيامين حين عادت الطمأنينة الى نفسه وتولى رعاية القبط وهو آمن على نفسه وشعبه ؟ من الذى أتاح هذا الجو الآمن أليس هم المسلمين الفاتحين ؟ ! .

عن عقبة بن عامر الجهنى قال : « كان لأهل مصر عهد وعقد . كتب لهم عمرو بن العاص انهم أمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم لا يباع منهم أحد وفرض عليهم خراجا لا يزاد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم .. » (١) .

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى (جـ ١ ص ٥٥ ، ٥٦) .

ونبى الاسلام صلى الله عليه وسلم لم يوصى المسلمين برعاية حقوق شعب تفتح بلاده مثلما وصاهم بشعب مصر :

« اذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » .

فها أنتم قد انتفعتم بثمرة القتال فى الاسلام ، ونحن لا نريد امتنانا على أحد فالمنة لله وحده ، وانما الذى نرجوه ـ ونلح فى الرجاء ـ ألا يغمط الحق ، وألا تبطر النعمة . فلولا شرعية القتال فى الاسلام لذهبنا ـ جميعا ـ ضحية الظلم والظالمين . ولما نجا من مخالب الأسد منا أحد . ؟ !

هذا شأننا مع مبدئنا ، وتلك هى ثماره نستمتع بها نحن كلنا . فما أعظم النعمة فيها ، وما أقل الشاكرين .. ؟ !

المبدأ الانجيلى : أثرا وصلة :

فما هو ـ اذن ـ أثر مبدئكم الانجيلى ؟ وما هى صلتكم به فى الواقع المشاهد المعلوم ؟ .

اننا نعتقد ـ مع تسليمنا بأن ما أراده الله كان ـ لو تجمع حول السيد المسيح عليه السلام فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى . وتزود كل منهم برمح أو سيف لأوقعوا الرعب فى قلوب أعدائه اليهود ، ولما لجأ المسيح نفسه الى الاختفاء من أعدائه فرارا من بطشهم به ، ولما استطاع أعداؤه أن يلقوا القبض عليه ويقتادوه بين مجامعهم ودوائر السلطة الرومانية ذهابا وجيئة ، ويصر اليهود على ادانته ، ويصر بيلاطس الرومانى على براءته ـ كما تذكرون فى أناجيلكم ، كل هذا وتلاميذه أو حواريوه يتبعونه متخفين واذا ووجهوا بصلتهم به أنكروها فزعين ناجين بأرواحهم . لو كان هؤلاء الحواريون يحملون فى أيديهم سلاحا لما اقتيد السيد المسيح عليه السلام الى خشبه « المصلب » ولما « صلب » (١) أو على أقل الفروض لأرجأوا هذه النهاية ولو الى أمد قصير ؟ ! .

أن الحق حق ، ولكنه فى حاجة الى قوة تحميه . والقوة التى تحمى الحق جزء من الحق نفسه .

---

(١) نقول هذا مجاراة للقوم فى عقيدتهم . فهو فرض نظرى ، لأن السيد المسيح لم يصلب وانما صلب من ألقى الله عليه شبهه . وقد تقدم هذا .

في غزوة أحد تعرض محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الى أشرس ما صنعه اليهود بنبي الله عيسى عليه السلام . ولولا أن قوة الحق كانت تواكب دعوة الحق في الاسلام لنال مشركوا مكة من رسول الله مايريدون. أفتدرون كيف كان المنقذ من ذلك الخطر ؟ .

فقد تجمع حول الرسول القائد صلى الله عليه وسلم — بعد فرار الناس عنه — تجمع حوله رجال لا يزيد عددهم على حواريي عيسى الأحد عشر واعملوا سيوفهم ورماحهم ونبالهم في أعداء الله ليكفوهم عنه ، والقى أحدهم نفسه فوق الرسول القائد ليتلقى ضربات القوم الحاقدة الموجهة اليه ، يتلقاها بجسمه ليسلم رسول الله . بل ان امرأة لم تنفك تدفع عنه أذى العدو . لقد دافعوا عنه بصدق حتى استشهد منهم الكثير . وكان محصلة ذلك أن نجا رسول الله من كيد المشركين ، ولم يصب بسوء . ومثل هـذا الموقف حدث في حنين وفي كل منهما حمت قوة الحق الحق أن يضـام .

هذان مثالان للحق الذى تصونه القوة . والحق الذى لا قوة معه تحميه — ويكفينا ما تقدم في بيان ما اسفر عنه تطبيق المبدأ القرآني من آثار ، وما أسفر عنه تطبيق المبدأ الانجيلي .

فتعالوا — يا مخرجي كتاب الاستحالة — نناقشكم في صلتكم بهذا المبدأ الذى نصرتموه — في كتابكم — على المبدأ القرآني الحكيم .. !

ونستأذنكم في أن نبدأ نقاشنا معكم بهذا السؤال :

هل أنتم مجدون حقا فيما تقولون .. ؟ !

ولكي يشترك معنا القارىء في تصور ما نقول نعيد له « نص المبدأ » مرة ثانية فقد طال عهده به :

« فأية مدينـة دخلتموها ولم يقبلوكم ، فأخرجوا الى شوارعها ، وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا ننفضه لكم .. » لوقا (١٠/١٠-١١) .

فهل أنتم — فعلا — مجدون في الايمان بهذا المبدأ . وما المقصود من الايمان عندكم ؟ .

هل هو ترديد القول وكتابته وحفظه والاستشهاد به . ؟ أم أنه عقيدة تتحكم في السلوك ، ويأتي العمل على منوالها . ؟ !

ان اخترتم المعنى الأول قلنا لكم اننا لا نقيم وزنا لهـذا الايمان ، لانه خلف من القول ؟ .

وان اخترتم المعنى الثانى قلنا لكم حسنا . ولكن تعالوا نستقرىء سلوككم فيما مضى . وسلوككم الآن . هل هو جار على هدى من هذا المبدأ أم هو خارج عليه ؟ ! .

فان كان السلوك وفق المبدأ قلنا لكم « كل حزب بما لديهم فرحون » وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وان كان السلوك على خلاف المبدأ فقد عدتم الى ما فررتم منه وهو الايمان اللسانى القولى . وفى هذه الحالة نقول لكم :

ان خروجكم على مبدئكم دليل على قصوره فى مواجهة الحقائق فحرى بكم أن تعترفوا بذلك القصور . لا أن تزهوا بمبدأ أنتم به غير مؤمنين بل عليه متمردون .

دلائل من الواقع :

ان دلائل الواقع تثبت أن المجتمعات المسيحية قديما وحديثا هى مجتمعات بشرية لها غرائز البشر ومطامعه . وانها لجأت الى الحـروب بالحق وبالباطل . والا فبم تفسرون حروبكم الصليبية للشرق التى دامت سنين طوالا ، حروب متوالية عبرت الجيوش الانجيلية البحار والمحيطات لتقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ولم يكن لتلك الحروب سبب قريب سوى الحقد باسم الصليب . فأين موقع ما قمتم به من عدوان على الآمنين من هذا المبدأ الذى يوصيكم فيه المسيح بأن تنفضوا الغبار الذى لصق بكم اذا دخلتم مدينة لم يقبلكم فيها أهلها .. ؟ !

وكيف تفسرون قيام دول هى اضلع ما تكون فى المسيحية بضرب الشـعوب واذلالها . ثم فرض سلطانها عليها واسـتيلائها على خيراتها وامتصاص دمائها . أسألوا انفسكم كم بلدا استعمرتها فرنسا وبريطانيا وايطاليا وأمريكا وهولندا اليست هذه دول تقف فى الصف الأول من مجموعة الدول التى تدين بالمسيحية وتنتشر كنائس « الرب » فى ربوعها وتدق نواقيسها صباح مساء . فأين هذا المسلك من « صوفية » المبـدأ الذى حلا لكم أن تزهوا به وأنتم أول من ضرب به عرض الحائط . ؟ !

وبم تفسرون ما جرى لمسلمى الفلبين على أيدى اخوة لكم فى الدين ؟

أما كان مبدؤكم هذا – لو صدقتم معه – كفيلا بكف الظلم الذى وقع على عشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال ، وهدم المساجد ، وحرق المصاحف ، وترويع الأمنين ، وتشريد آلاف الأسر والاستيلاء على أملاكهم من أراض ومنازل ومقتنيات . فأين مبدأ نفض الغبار اذن وقد كان الظلمة يسيرون حاملين الأرض نفسها فوق رءوسهم . ؟ !

وبم تفسرون ما جرى ويجرى فى أريتريا والصومال من اراقة للدماء المصوتة واغتصاب للأرض والثروات . أليست أثيوبيا عاصمة من أعرق عواصم « الانجيل » وفى كنائسها ترتل آياته ومنها آية الغبار الذى يجب أن ينفض .. ؟ ! فما الذى حملها على هذا العدوان وهى من شعوب الانجيل وبم تفسرون ما جرى ويجرى الآن فى لبنان من مجازر وأنهار للدماء لا يجف لها مجرى .. ؟ !

أليس أحد طرفى النزاع انجيليين مثلكم ، ويدينون بما تدينون به أنتم .. ؟ !

فما قيمة المبدأ اذا لم يكن له مثال واحد من واقع اهله أفرادا وجماعات ودولا وطوائف يحترمه ويسير على هداه .. ؟ !

اننا قاتلنا ونقاتل ، لان القتال شريعة لدينا لها موجباتها .. فلماذا تقاتلون أنتم والانجيل يوصيكم بنفض الغبار – اذا قوومتم – ويعدكم باقتراب ملكوت الله منكم .. ؟ !

هذه صلتكم بمبدئكم ، وواقعكم معه .. وقد علمتم صلتنا بمبدئنا وواقعنا معه فتفكروا أى الفريقين أقوم منهجا وأهدى سبيلا .. ؟ !

نصوص من الكتاب المقدس .. عرض ونقد

ناقشنا فى الفصول السابقة من هذه المواجهة اهم « القضايا » التى أثارها البابا شنودة فى مقاله المشار اليه قبلا ، والتى أثارها مخرج كتاب « استحالة تحــــريف الكتاب المقدس » وهو الوثيقة الثانية من الوثائق الثلاث التى نواجهها هنا . ونريد — الآن — وقبل التعرض لما جاء فى الوثيقة الثالثة أن نعرض نصوصا من الكتاب المقدس بعهديه القــديم والجديد (التوراة والانجيل) ثم نقوم بنقدها مشيرين الى ما يسفر عنه النظر فيها ، ليتأكد القارىء « المحايد » أو خالى الذهن ، وليتأكد غيره ممن لهم مواقف سابقة من هذه القضايا موضوع المواجهة — ســـلبا أو ايجابا — أننا لا نميت للقوم حقا ، ولا نشايع لهم باطلا ، وانما نستهدف — فيما نستهدف — أن للاسلام سلطانه المستقل فى اقرار الحق ، وتشديد النكير على الباطل . وأنه حين وقف موقفه المعروف من عقائد أهل الكتاب ، وما استحدثوه منها مخالفين به ما بين أيديهم من نصوص التوراة والانجيل المنزلين من عند الله . وما أملته عليهم أهواؤهم من التحريف والتبديل اللذين الحقوهما بنصوص الوحى . حين وقف الاسلام موقفه المعروف من هذه الامور ، فانه لم يكن يعادى حقا ، وانما كان يحارب باطلا حتى يحيا من حيي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة . ولا ينبئنك مثــــل خبير والخبير — هنا — هو القرآن المهيمن على الكتاب كله .

ومنهجنا فى هذا الفصل أن نشطره شطرين : **الأول** نعـــرض فيه نصوصا من التوارة ثم ننقدها نصا نصا ، **والثانى** نعرض فيه نصوصـــا من الانجيل ، ثم ننقدها نصا نصا ، تاركين للقارىء حرية الرأى والاعتقـــاد . فلنبدأ والله يسدد خطانا ، فما أردنا الا نصر حقه . ويجنبنا مهـــاوى الزلل . ويعيننا على دحر الباطل . ويجمعنا على الحق . والحق وحده .

عرض ونقد نصوص من التوراة (1) :

أولا — فى حق الله :

ان أول ما يفجؤك فى التوراة ما جاء فى الاصـــحاح الثانى من ســـفر التكوين فى الآيات الثلاث الأول (١ — ٣) وهى تقول بالنص :

---

(1) ينقسم الكتاب المقدس الى قسمين : القديم وهو التوراة وتتألف من خمسة اسفار هى : التكوين والخروج ، واللاويون ، والعدد ثم سفر التثنية ، ثم ألحقت بها أسفار الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه الســـلام وغيرهم ويرمز لاسفار التوراة بكلمة « تخلعت » فكل حرف من هـــذه الحروف الخمسة رمز لسفر : التاء للتكوين ، والخاء للخروج وهكذا . أما العهد الجديد فيشمل أربعة أناجيل هى : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم ما يسمونه بأعمال الرسل . وأساس هذا التقسيم هو مبعث عيسى عليه السلام فما قبله هو العهد القديم ، وما تلاه هو العهد الجديد .

« فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل (!) فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل (!) . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » .. ؟ !

هذا هو نص التوراة . فبم أظهرت التوراة الله ؟ !

أظهرت التوراة الله ــ سبحانه ــ فى صورة « عامل » أخذ يعمل اسبوعا ــ تقريبا ــ ثم انهى عمله فى نهاية الأسبوع ، وفى اليوم السابع منح نفسه « اجازة » فاستراح فيه ، وفرح به فرحا فباركه وقدسه (!) لانه استراح فيه من جميع عمله الذى عمل .

ان الذى يشعر بالراحة يشـــــعر بالتعب . هذا هو شأن الله فى التوراة : يعمل ويتعب . ثم يستريح ويفرح بالراحة . سبحان الله عما يقولون وتعالى علوا كبيرا . ؟ !

القرآن يدحض هــذه الفرية :

من نعمة الله على المؤمنين ، وحجته على الكافرين أن ختم رسالات السماء بالاسلام . وختم كتب السماء بالقرآن ، وجعله مهيمنا على ما بين يديه من الكتب يصحح أخطاءها ، ويقوم معوجها ، ويكشـــف زيفها ، وينقيها من أهواء المبطلين . ومن مظاهر هذه « الهيمنة » ما قرره القرآن الأمين فى مسألة خلق الكون هذه ، وفيها يقول : « أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى . بلى انه على كل شىء قدير » الأحقاف (٣٣) .

« أفعيينا بالخلق الأول ؟ بل هم فى لبس من خلق جديد » ق (١٥)

« ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » ق (٣٨) فهذا هو القرآن المهيمن ينزه الله عما تصفه به التوراة . آية الأحقاف تنفى أن يكون الله قد أصـــابه « اعياء » من خلق الكون وما فيه . وآية ق الأولى تنفى عن طريق الاستفهام الانكارى « أفعيينا » ذلك الاعياء المنسوب اليه ــ سبحانه ــ فى التوراة لان معنى « أفعيينا » : لم نعى . والاعياء التعب .

وتأتى آية ق الثانية فتنفى أن يكون الله قد أصابه مس من لغــوب حين خلق السموات والأرض وما بينهما . واللغوب : التعب .

والحاصل : إن التوراة تنسب الى « الله » سبحانه التعب والاعياء . والقرآن ينفى ذلك الزعم . فأى العقيدتين أليق بخالق السموات والأرض وخالق كل شيء .. ؟ ! نترك هذا للقارىء .

التوراة تصف « الله » سبحانه ـ بالجهل والتعدد .. ؟ !

ولن نمضى بعيدا حتى تفاجئنا التوراة بنسبة الجهل الى الله ـ سبحانه ـ كما تصفه بأنه « واحد » من مجموعة آلهة . واليك نصها بالحرف وهى تتحدث عن قصة آدم وحواء فى الجنة بعد أكلهما من الشجرة المحرمة .

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وأمراته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم وقال له : أين انت ؟ . فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لانى عريان فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التى اوصيتك ان لا تأكل منها .... » سفر التكوين الاصحاح الثالث (٨ ـ ١١) .

ان نسبة الجهل لله ـ سبحانه ـ ظاهرة من سياق الكلام ظهورا لا يحتمل تأويلا أو جدلا أو مجازا ، فآدم وحواء يختبئان حين سمعا صوت (أقدام) الرب ماشيا فى الجنة . ونتج عن هذا ان نادى الله آدم يسأله اين هو ؟ ! .. ثم يسأله من أعلمه انه عريان ؟ .. ثم يسأله هل أكل من الشجرة .. ؟ ويمضى النص بعد هذا فيذكر عدة اسئلة موجهة من الله الى آدم ، وهذه الاسئلة ـ كما يفهم من السياق ـ ليست هى من أسئلة العالم بمضمون الجواب فتكون مجازا . بل هى أسئلة من يجهل مضمون الجواب ولا يدركه الا ظنا .. ؟!

ولا يقال ان فى القرآن نظيرا لهذا الاسلوب مثل قوله تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى .. ؟ ! (١) لان السؤال هنا هدف بيانى هو اراءة موسى عليه السلام عظمة قدرة فى قلب العصى حية . ومثل قوله تعالى لعيسى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » (٢) لان السر البيانى فى هذا السؤال هو أن ظهر الله براءة عيسى مما نسب اليه .

---

١ ـ طه (١٧) .
٢ ـ المائدة (١١٦) .

اما هذه المحادثة العجيبة التى ادارتها التوراة بين الله وآدم فلا تحتمل الا المعنى الظاهر منها . ولا عجب فالذى ينسب الى « الله » سبحانه التعب والاعياء والمتعة بالاجازة والراحة فليس ببعيد عليه ان ينسب اليه الجهل ولو بأظهر الحقائق .. ؟ !

موقف القرآن من هــذا التخريف ؟

يتعقب القرآن هذا التخريف فيدفعه دفعا . ويظهر لك هذا الموقف العظيم من مئات الآيات التى تصف الله بالعلم والاحاطة الشاملة . ونكتفى هنا بموضعين أحدهما هو نص فى دفع الوهم الذى جاء فى التوراة فى هذه الواقعة . والثانى عام فى كل معلوم .

أما **الأول** فقد ورد فى سورة « الأعراف » وهى أسبق الســـــور القرآنية التى ذكرت فيها قصة آدم نزولا . واليك ما جاء فيها :

« ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين » ــ الأعراف (١٩ ــ ٢٢) .

فأنت ترى فى هذا النص الأمين جلال « الله » ظاهرا فى كل موقف .. واختفت فيه تلك « المحادثة » العجيبة اســـئلة من الله ــ لا حد لها ــ واجابات من آدم . ليس فى النص القرآنى شىء من ذلك .. والسر أن واحدا منها لم يحــدث . ان لعبـــة « الاستغماية » . التى وردت فى التوارة اختفت فى القرآن ، لانها لم تحدث أصلا . وهـــذه هى ميزة القصص القرآنى . انه أحسن القصص . وحسنه راجع الى صدقه وأمانته فى النقل والتصوير ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصـــديق الذى بين يديه من الحق .

واما الموضع **الثانى** العام بكل معلوم لله ، فهو قوله تعالى :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو . ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبـــة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (١) .

---

(١) الأنعام (٥٩) .

فأين يكون اختفاء آدم وراء أشجار الجنة ؟ وهل يخفى على الله ما صنعه من أكل ثمار الشجرة المحرمة . الله الذى يعلم الحبة فى ظلمات الأرض ايخفى عليه موضع آدم بين الأشجار .. ؟ !

والحاصل : ان التوراة تنسب الى الله « الجهل » والقرآن ينزهه من هذا النقص المريع فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

فأى العقيدتين أليق بالخالق العظيم ما تقوله التوراة ؟ أم ما يقرره القرآن . ؟ ! على العاقل ان يوازن ويختار .

اما نسبة التوراة التعدد وكون الله واحدا من مجموعة آلهة فتراه فى قول التوراة تصف موقف الله بعد علمه ـ سبحانه ـ بما حدث من آدم وحواء :

« وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا (!) عارفا الخير والشر » ؟ ! سفر التكوين الاصحاح الثالث (٢٢) .

فتأمل أخى القارىء عبارة : « كواحد منا » « والمتكلم هنا هو الله . وهذا النص دليل على أن الله واحد من جماعة الآلهة . وهذه الدلالة غير قابلة للصرف عن ظاهرها ولا يقـال ـ كذلك ـ ان الله تعـالى تحدث فى القرآن عن نفسه بأسلوب الجمع كقوله تعالى مثلا « كما بدانا أول خلق نعيده . وعدا علينا انا كنا فاعلين » .

لان ما فى القرآن انما هو نون الجماعة . ويسمى فى اللغة العربية نون التعظيم اذا ورد فى سياق الحديث عن « المفرد » كقولك متحدثا عن نفسك : عاهدنا الله على أن ندفع كل باطل ونؤدى ما لله علينا من واجب » مكـان « عاهدت » و « ادفع » و « أؤدى » و « على » وهـذا النون وان كان فى الأصل خاصـا بالجماعة . فان دلالته عليها ليست قاطعة لوروده فى مقام الافراد .

ولو جاءت عبارة التوراة على هذه الصورة « صار مثلنا » لما عابها أحد ولكن مجيئها على ما جاءت عليه « كواحد منا » بذكر الواحد منكرا مبينا ومفسرا بنـون « جماعة الآلهـة دليـل قاطع على تورط التوارة فى نسبة التعدد لله الواحد الأحد .

موقف القرآن من هذه الفرية :

الآيات التى تتحدث عن « وحدانية الله » يضيق عنها الحصر هنا .

وحسبنا منها حديث الله لموسى الــذى حرف اليهود توراته فاســمع اليه يقول :

« اننى أنا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » طه (١٤) ٠

والحاصل : ان التوراة تنسب الى الله التعدد ، والقرآن ينفى ذلك التعدد فأى العقيدتين أليق بجلال الله الذى ليس كمثله شىء ٠٠ ؟ ! ذلك هو دور العقل السليم والفطرة الصحيحة ٠

التوراة تنسب لله الندم والحزن :

ويمضى محرفوا التوراة فى أباطيلهم فينسبون لله أنه ندم وحزن على خلق الناس (!) واسكانهم الأرض حين رأى شرهم قد كثر ٠ وهــذا هو نص التوراة فى ذلك ٠

« ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض ٠٠٠ فحزن الرب انه عمل الانسان فى الارض ، وتأسف فى قلبه (!) فقال الرب أمحوا عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته ٠ الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لانى حزنت أنى عملتهم (!) » ســـفر التكوين الاصــحاح السادس (٥ ــ ٧) ٠

هذا ما ترويه التوراة أحد عهــدى الكتاب **المقدس** ؟ ! ٠ ولا أرى القارىء فى حاجة الى توضيح ما فى هذه النصوص من مزالق خطرة جدا ٠ فالله يندم ويحزن (هكذا) لانه خلق الانسان وأسكنه (!) وأنت أن هــذا الندم والتأسف والحزن كان نتيجة جهل الله (سبحانه) عما سيكون عليه مستقبل الانسان حين خلقه ٠ اذ لو كان عالمــا بهذا لما خلقه ابتداء ٠

هذه صورة « الله » فى توراة الكتاب **المقدس** ؟ ! والمفروض ان التوراة كتاب منزل على موسى ، والمفروض ان هــذا هو كلام الله عن نفسه ٠٠ أليس ــ كذلك ــ فيا لضلال العالم لو لم ينزل الله القــرآن ويسجل فيه بأمانة أصول العقــائد التى جاءت بها الرسل ، ونزل بهــا الوحى ، ويحميها من ضلالات أصحاب الهوى والزيغ ٠

القرآن يصحح هــذا الخطأ :

لم يندم الله على شىء ، لان الندم وليد الجهل بالعواقب ٠ والله حين خلق الناس كان عالمــا بكل ما سيكون منهم معدا لكل جزاءه وهــو

الغنى الحميد • وهذا هو القرآن يقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء • وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » محمد (٣٨) •

ويقول : « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين • على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون » الواقعة (٦٠ — ٦١) •

فلو حدث أن الله ندم على خلق الانسان لما تركه يعمر الأرض ويتكاثر عاما بعد عام • وهنا تظهر فرية التوراة المحرفة فان ما زعمته لم يحدث منه شيء • والذى زعمته التوراة هو محو الله الانسان عن وجه الأرض فقالت : « فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته » ؟ ! •

فهل محا الله الانسان كما تزعم التوراة ؟ ! كلا • ولكن الذى حدث ، ويحدث • أن تضاعف عدد الانسان بلايين المرات من بعد نزول التوراة • فبقى زعم التوراة شاهد صدق على تحريفها وتبديلها ، وسيبقى هذا ما بقيت حياة ، وما بقيت التوراة •

والحاصل : ان التوراة تنسب الى الله الندم والحزن والتأسف ، والقرآن ينفى عنه كل هذه الامور • فأى العقيدتين هى ملاك أمر المؤمن ؟ ذلكم متروك لوجدان المؤمن نفسه واحساسه بالعجز المطلق أمام قدرة الله المطلقة •

التوارة تنسب لله خشيته من الناس •• ؟ !

والعجب كل العجب أن التوراة تزعم أن بنى آدم كانت لهم لغة واحدة يفهمونها فاتحدوا شعبا واحدا وبدأوا يبنون لهم مدينة ليقيموا بها برجا يصل الى السماء • ونزل الله ليرى هذه المدينة فلما رآها وعلم ما هم مجمعون عليه من اقامة البرج خشى الله (!) اتحادهم وقوتهم ومنذ ذلك الوقت فرق لغاتهم فجعل لكل طائفة لغة خاصة حتى لا يتحدوا ويقوى شأنهم • واليك نص التوراة فى ذلك :

« •• وقال الرب هوذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم (!) وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه • هلم تنزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض (!) فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة (!)ـ » تك (١١/٦—٨)

المدينة التى تقصدها التوراة — هنا — هى مدينة بابل ويقولون انها سميت بابل اشتقاقا من كلمة « نبلبل (١) » الواردة فى هـــذا النص • ويجلوا لبعضهم أن يجعل هذه الواقعة الخرافية هى السبب الوحيد فى اختلاف لغات الشعوب ولهجاتهم • وبالاطـــلاع على ما نقلناه لك من قاموس الكتاب المقدس يتضح لك أن الفكر الانجيلى الحديث ما زال مرتبطا بأوهـــام وأباطيل القدماء (٢) • وكان الأجدر ان يكون له منها موقف آخر شجاع • ولكن شيئا من هذا لم يحدث •

القرآن يرد هذا الزعم :

يثبت القرآن لله سلطانا قويا لا يماثله ولا يدانيه سلطان • وقـد تحدى الله بهذا السلطان كل القوى • ومن يقرأ آيات القرآن فى هذا المجال يشعر بهيبة جلال الله وعظمته وكبريائه الـــذى لا يزول • ومن تلك الآيات :

« وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » الزمر (٦٧) •

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا • لا تنفذون الا بسلطان » الرحمن (٣٣) •

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » الأنعام (٦١)

« كذبت ثمود بطغواها • اذ انبعث أشقاها • فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها • ولا يخاف عقباها » الشمس (١١ — ١٥) •

---

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس في شرح هذه العبارة ما يلى : « الا ان الرب لم يكن فى قصده تجمع الناس بعد الطوفان • بل انتشارهم لتعمير الأرض • ثم لم يكن من صالح الناس أن يلجأوا الى طرقهم وكبريائهم فى تحـــدى الرب ، فبلبل الرب السنتهم » انظر القـــاموس المذكور ص ١٥٦ — ١٥٧ •

(٢) صـــــدرت الطبعة الاولى لقاموس الكتاب المقـــدس ما بين (١٨٩٤ — ١٩٠١ م) وهذا النقل من طبعة (١٩٧١) وممن قام بتحريره الدكتور كامل مراد ، وهو استاذ معاصر بجامعة القاهرة وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة • وآخرون ما زالوا أحياء يرزقون • ؟ !

« لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ، ومن في الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير » المائدة (١٧) .

« لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » الأنبياء (٢٣) .

« الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم . أن الله لذو فضل على الناس ، ولكن اكثر الناس لا يشكرون » ، البقرة (٢٤٣) .

وغير ذلك كثير من الآيـــات التى تتحـــدث عن عظمة قدرة الله وسلطانه الباهر . فكيف يخشى الله حفنة من عبادة أو كيف يخشى الله آية قوة مهما علت . انه خالق كل شيء وبيده مقاليد الامور اذا أراد شـــيئا فانما يقول له كن : فيكون . وما أمر الله الا كلمح بالبصر أو هو أقرب ؟ !

اختلاف اللغات آية من آيات الله !

ان القرآن الحكيم يعرض على الناس فكرة اختلاف اللغات والأصوات معروضا خاليا من كل زيف أو تخريف . واضعا لها موضعها الأصيل من الفهم والاعتقاد واليك نص القرآن فيها :

« ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف السنتكم والوانكم . أن فى ذلك لآيات للعالمين » الروم (٢٢) .

تتحدث هذه الآية الكريمة عن أربع آيات لله هى : خلق السموات ــ خلق الأرض ــ اختلاف الألسنة والأصوات ــ اختلاف الألوان . ولمـا كانت هذه الآيات لا تخفى صورها على أحد ، فان الآية عرضتها عرضا امينا للعالم كله باختلاف اجناسه : فلكل انسان ميزة خاصة فى صوته تميزه عمن سواه ممن يتحدثون بلغته أو بغير لغته . ولـــكل طائفة أو مجموعة من الشعوب لغة خاصة يتحدثون بها ويتعلمونها منذ الصغر . ويعتبرونها لغتهم الأم وان تعلموا غيرها .

واختلاف الألسنة والألوان معطوف على خلق السموات والأرض . والله لم يخلق السموات والأرض للسبب الذى تذكره التوراة فى اختلاف اللغات حتى يصح عطف المعطوف على ما عطف عليه . وانما هى آيـات عامة قدر الله شئون الخلق عليها تقديرا لم يخطىء فيه لا وسيلة ولا غاية

والله لم يقدر اختلاف الألوان للسبب الذى تذكره التوراة فى اختلاف اللغات • ومع هذا فانه سبحانه جعل اختلاف الألسنة والألوان كالشيء الواحد مع انهما شيئان فى الواقع • وما هذا الا لان هذه الآيات كلها انما هى دلالات يتأملها المؤمن فيزداد ايمانا بعد ايمان • واختلاف الألسنة فى الآية له دلالتان غير متدافعتين • ولا يمنع أن تحمل الآية عليهما معا وهما :

اختلاف اللغات • ثم اختلاف الاصـــوات • واختلاف اللغات كما تعلم يكون باختلاف رموز المعانى وهى الكلمات فكلمة « تودا » فى العبرية ، وكلمة « ثانك » هما بمعنى كلمة « شكرا » العربية •

أما اختلاف الأصوات فهو ما نلحظه من الشـــــدة واللين ، والهمس والجهارة وهكذا • وكل هذا من آيات الله وصنعه ، واختلاف الألســـــنة بالمعنيين موجود من قبل موسى عليه السلام ، أما اختلاف الأصوات فموجود منذ بدء الخليقة ، وهذا كله يثبت ان ما ترويه التوراة انما هو محض افتراء وباطل •

ولو كان الأمر كما تزعم التوراة لكان الأجـــــدر ـ بالله ـ ان يبتلى الناس باختلاف قلوبهم فيملؤها حقدا وبغضا حتى لا يتحاب اثنان • ذلك أجدر ليأمن مكر الناس وتحديهم له ـ سبحانه ـ لان اختلاف اللغات ـ كما هو مشاهد ـ لم يمنع من قيام الترابط بين الشعوب والأمم •

المحظور فى التوراة مأمور به فى القرآن :

رأينا أن التوراة تنسب الى الله كراهة اجتماع الناس واتحادهم ، وتزعم أن الله ـ تعالى عما يقولون ـ يعتبر اتحاد البشر تحديا له نفسه ، ولذلك خالف بين لغاتهم حتى لا يكونوا شـــعبا واحدا لهـــم من القوة ما يوصلهم الى ما يريدون • وقد رأينا دفع القرآن الحكيم لهذا الزعم •

وللقرآن دفع آخر يبطل ما ترويه التوراة ، حيث جـــاء الاتحاد فى القرآن أمرا مأمورا به مرة ، ومنهيا عن ضده وهو التفرق مرة أخـــرى • جاء الأول فى قوله تعـــالى : « واعتصــــموا بحبل الله جميعا ••• » والاعتصام هو الاتحاد والترابط القوى بين الناس •

ثم جاء النهى عن التفرق فى بقية الآية المذكورة وهو : « ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » (١) •

---

(١) آل عمران (١٠٣) •

وللنهى عن التفرق هذا نظير فى القرآن الحكيم حيث جاء فيه قوله تعالى :

« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (١) واصبروا ان الله مع الصابرين » الانفال (٤٦)

وهكذا . فما كان محظورا فى التوراة جاء مأمورا به فى القرآن ومنهيا عن مخالفته .

والحاصل : ان التوراة تنسب الى الله ـ سبحانه ـ الضعف والخشية من خلقه أما القرآن فانه ينزه الله من هذه « النقائص » ويثبت له السلطان المطلق والقدرة الفائقة وانفاذ الأمر الذى يريده دون خشية العواقب ، لانه هو القاهر فوق كل المخلوقات .

فأى العقيدتين اليق بجلال الله ، وأيهما : التوراة والقرآن . هو الصادق الذى يثرى وجدان المؤمنين ومشاعرهم . ليفكره العقل ثم ينتخبه ..

التوراة : شيوخ اليهود رأوا الله .. ولكنه لم يصافحهم .. ؟ !

لم يرد وصف الله بأوصاف حسية مجسمة فى كتاب كما جاء أسفار التوراة وتنقل للقارىء ـ هنا ـ فقرا من سفر الخروج ليعلم علم اليقين ما فى هذه الأسفار من أباطيل تنفى نفيا قاطعا أن تكون هى التوراة التى انزلها على موسى عليه السلام . وانها تثبت الشىء ثم تعود فتنفيه ، وما هكذا وحى الله الى رسله .

جاء فى سفر الخروج الاصحاح الرابع والعشرين الأيات التاسعة والعاشرة والحادية عشر ، وهذا نصها :

« ثم صعد موسى وهارون ، وناداب وأبيهو ، وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا « اله اسرائيل » ؟ وتحت رجليه (!) شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السمات فى النقاوة . ولكنه لم يمديده (!) الى أشراف بنى اسرائيل . فرأوا الله واكلوا وشربوا » ؟ ! .

.... والله يسكن بين اليهود فى مسكن بوصى .. ؟ !

---

(١) الريح : القوة والعزة .

وجاء فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج الآيتان الثامنة والتاسعة وهما تنصان على أن الله طلب من موسى أن يصنع بنو اسرائيل « مسكنا للرب » لكى يسكن الرب بينهم ٠ وهذا نصها :

« فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم ٠ بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ، ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون » ؟ ! ٠

ثم تمضى التوراة فتذكر ابعاد وهيئة المسكن كما يحددها الرب ، والأدوات التى تستخدم فيه من خشب ومعادن وشعر معزى وجلود كباش ٠٠٠ الخ ٠ ثم جاء فى الاصحاح السادس والعشرين عدد الشقق المطلوبة مع بيان مساحاتها وهيئاتها واليك النص :

« وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوصى مبروم ٠٠٠٠ طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعا ٠ وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع ٠ قياسا واحدا لجميع الشقق ٠ تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض ٠ وخمس شقق بعضها موصول ببعض ٠٠ » الآيات (١ ـ ٣) ٠٠؟!

واحدى عشرة شقة أخرى :

كما تتحدث التوراة عن خيمة الاجتماع التى سيجتمع فيها الرب ببنى اسرائيل ٠ وهكذا تقول :

« وتصنع شققا من شعر معزى خيمة على المسكن ، احدى عشرة شقة تصنعها طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعا ، وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع ، قياسا واحدا للاحدى عشرة شقة ، وتصل خمسا من الشقق وحدها ، وستا من الشقق وحدها ٠ وتثنى الشقة السادسة فى وجه الخيمة » سفر الخروج (٢٦/٧ ـ ٩) ٠٠ ؟ !

اضاءة خيمة الاجتماع ٠٠ ؟ !

أما كيف تضاء خيمة اجتماع الرب ببنى اسرائيل فتتكفل الآيتان (٣٠ ـ ٣١) من الاصحاح السابع والعشرين من نفس السفر الخروجى بالبيان ، وهذا نصهما :

« وأنت تأمر بنى اسرائيل أن يقدموا اليك زيت زيتون مرضوض نقيا للضوء لا صعاد السرج دائما ٠ فى خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذى أمام الشهادة يرتبها هارون وبنوه من المساء الى الصباح أمام الرب ، فريضة دهرية فى أجيالهم من بنى اسرائيل » ٠٠ ؟!

كما تصف التوراة نهاية كلام الله مع موسى بعد مشوار طويل طويل فتقول :

« ثم اعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين **باصبع** الله ؟ ! » سفر الخروج(١٨/٣١)٠٠؟!

هذه نقول « من التوراة وهى قليل من كثير ، ولا اعتقد أن القارىء الكريم فى حاجة الى توضيح حول ما جاء فيها ٠٠ ولكن الأمر الذى لافكاك منه أن من يصدق ما جاء فى سفر الخروج مما نقلناه وما لم ننقله على أنه وحى الله الى موسى فى التوراة ، فانه يخرج من عقله أو يخرج منه عقله ، لان سفر الخروج قد خرج عن معقول ومنقول ٠ فهو سفر الخروج حقا وبلا أدنى نزاع ٠ وأحيل القارىء الى أن يطلع بنفسه على كل ما جاء فى هذا السفر الخروجى ، وأوصيه بأن يستعين بالصبر الجميل على قراءته ومتابعته حتى النهاية والله يعصمنا واياه من الردى ٠٠ ؟ وهذا الضباب المتراكم الذى يسرده السفر يتبدد فى لحظات قصار عندما يرسل النهار اشعته هدى ونورا للسالكين ٠ فتعال نستمع معا الى القول الحق الأمين ٠

مع القرآن فى هديه الوضىء :

يتعقب القرآن الأمين تلك الدعاوى كلها فيبطلها بما يقرره من حق ٠ وفاء بالأمانة فى النص والبلاغ ٠ ولكى ندرك دور القرآن فى دفع هذه المزاعم فاننا نقسم ما جاء فى التوراة الى ما يلى :

اولا : دعوى التوراة أن شيوخ بنى اسرائيل رأوا الله ٠٠٠ ثم آكلوا وشربوا بحضرته وكان دفع القرآن لهذه الفرية من وجهين :

الوجه الأول : أنه بين فى وضوح أن موسى نفسه حين طلب أن يرى ربه وهو يتلقى كلامه على الجبل لم يمكنه « الجليل » من تلك الرؤية ٠ وفى ذلك يقول القرآن الأمين أ « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ٠ قال : رب أرنى انظر اليك ٠ قال : لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ٠ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وانا أول المؤمنين ». الأعراف (١٤٣). فاذا كان هذا هو حال موسى فى عدم الرؤية ، وهو أفضل بنى اسرائيل ، لأنه نبيهم فكيف يكون حال غيره من قومه مهما كانوا من الفضل والتقوى ٠٠ ؟ !

الوجه الثاني : ان القرآن الأمين يقص علينا ما صـــنعه الله ببنى اسرائيل حين قالوا لموسى عليه السـلام : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .. ؟ ! وفى ذلك جاء قوله تعالى فى شأنهم .

« واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » .
البقرة (٥٥ ــ ٥٦)

وهذا نص قاطع فى نفى ان يكون بنو اسرائيل قد رأوا الله سبحانه . لأنه حين علقوا ايمانهم لموسى برؤيتهم الله ــ عيانا أماتهم الله ، ثم أحيـاهم مرة أخـرى وأراهم بعض الآيات . اما الرؤية المطلوبة فلم يمكنهم منها . وبهذين الوجهين يندفع ما زعمته التوراة من رؤية الله لبنى اسرائيل ، وينهار بانهيار هذه الفرية كل ما رتبوه عليها من أوهام .. ؟ !

ثانيا : دعوى التوراة أن الله كلم موسى أن يصنع له بنو اسرائيل مسكنا ليسكن بينهم ؟ ويجتمع بهم أبد الدهر : ومع أن هـذا الوهم المريض لا يحتاج الى مهارة فى دحضه لان من يقرؤه لا يكاد يستسيغه ويفضل ان يحتسى السم فيجد له طعما أيسر على النفوس قبوله من هذا الكلام الغث الهزيل . فان آية واحدة من القرآن الأمين تدفعه كله دفعة واحدة فاذا هو زاهق . وهذه الآية تلخص فى صدق وأمانة ما قاله الله لموسى عقيب الميقات الموعود ، واليك نصها :

« قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى . فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » .

ثم تتلوها اية مفصلة وفيها يقول الحق سبحانه :

« وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصـيلا لكل شىء ، فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسـقين » الأعراف (١٤٤ / ١٤٥) وبهذا البيان الأمين اختفى الباطل بكل صوره : فلا مسكن للرب ، ولا خيمة اجتماع ولا مذبح ولا بخور ولا بوصى مبروم ، ولا شعر معزى ولا شقق ولا كباش ولا سرج من زيت الزيتون المرضوض . لقد رض هذا كله ثم حرق ثم نسف فى البحر نسفا .. ؟ !

والحاصل : أن التوارة تجعل من الله ــ سبحانه ــ الها مجسـما يحل فى مكان ويخلو منه مكان ، وهو « اله » يسكن فى مسكن بين بنى اسرائيل وفى مسكنه الوان لا حد لها من الزخارف والديكورات الغريبة

التصور والتكوين ، يجتمع ببنى اسرائيل كل مساء حتى الصباح انه « اله » لبنى اسرائيل وحدهم ، وليس لغيرهم من الخلق .. ؟ !

والقرآن ينزه الله عن التجسيم والحلول فهو فوق كل مكان وزمان . سلطانه عظيم وجلاله مهيب رب كل المخلوقات لا يشغله شأن عن شأن غنى عن العالمين موصوف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ..

فأى العقيدتين — يا ترى — يستحق الموصوف بهما أن يكون « هو الله » الذى يملأ قلوب المؤمنين نورا وهدى ؟ ! .

ولنترك — التوراة — فى حديثها عن « الله » فقد علمنا « منزلته » فيها « فيا ترى كيف يكون حديثها عن رسل الله .. ؟ ذلك ما سنراه فى الصفحات التالية .

ثانيا : فى حق الرسل

ان كتابا يصور « الله » سبحانه بما قد رأينا من تصوير خرافى الله منزه عنه . ليس بغريب عليه أن يصور رسل الله فى صور شريرة ماجنة ومهووسة . وهذا ما صنعته التوراة مع بعض رسل الله المكرمين الأطهار . ونضع امام القارىء صورا من تجريح التوراة للأنبياء والرسل ، واضعين كل اعتبار فى النقل والتفسير الموضع الأول من اهتمامنا :

لوط يسكر ويزنى بابنتيه : ؟ !

النص :

« وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل ، وابنتاه معه ، لأنه خاف ان يسكن فى صوغر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا ، فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البارحة مع أبى . نسقيه خمرا الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا دعت اسمه مؤاب ، وهو أبو المؤابيين

الى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى • وهو أبو بنى عمون الى اليوم » سفر التكوين (١٩/٣٠ – ٣٨) •

فهذه وثيقة اتهام مكشوفة تصم بها التوراة نبى الله لوط عليه السلام ولو أن محاميا ملك كل ملكات التأويل والاخراج ، وشهدت له كل مجامع القضاء والفصل فى الخصومات حاول أن يبرىء التوراة مع جريمة « القذف » العلنى المتعمد لضاقت عليه السبل وأعيته الحيل ، ولقطعت « جهيزة » قوله ، ولاستحالت براعته الى عيى ووجوم •

فالزنا بغير المحارم شنيع ومسقط للمرءوة ، فما بالك والزنا الذى تتهم به التوراة لوطا عليه السلام كان منه على ابنتيه • بل على نفسه فالبنت بعض من ولدها (!) • وليست التهمة زنا فحسبه ، ولكنها زنا وسكر • هكذا نبى يسكر ويزنى بابنتيه • ولا يضير التوراة فى مجال الدفع أنها تقول : « ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها » لانه كان سكرا فقد ادراكه • ؟ !

لانه ان زنا ولم يعلم فهل كان حين سقته ابنتاه الخمر سكرا – كذلك – قبل أن يشربها •• ؟ !

وهب أنه شرب وسكر فى المرة الأولى وهو لا يعلم أن « المشروب » خمر ، ثم زنا وهو لا يعلم أفلا تذكر بعد ان أفاق أن عقله قد ذهب بالأمس ، ولم يتخيل أنه واقع بكرته « الشيطانه » ؟ فلماذا لم يتنبه فيمتنع عن تناول الخمر حين قدمتاه له فى المرة الثانية ؟ ! •

نحن نعلم أن السكير الآن يتحدث عن مغامراته التى خاضها وهو سكران • أما أن ينسيه السكر كل شىء فهذا أمر لا يصدق ؟

وكيف سمح لوط لابنتيه أن يصطحبا معهن الخمر من « صوغر » الى « الجبل » ؟ ! وهل كانت بنتاه تنويان هذا العمل بأبيهما قبل الذهاب الى الجبل ولهذا فانهما استعدتا للأمر قبل ان يكون ؟ ! •

ان هذا – ايضا – مدفوع ، لأن رواية التوراة نفسها توحى بأن هذه « الفكرة » الشيطانية طرأت على ابنته البكر بعد الصعود الى الجبل •• ؟ !

ولوط قد شاخ كما تروى التوراة عن احدى ابنتيه ، فكيف حملت منه ابنتاه – اذن – أم أن هذه « معجزة » صنعها الله مع « لوط » مثل معجزتى ابراهيم عليه السلام حين ولد بكره وهو شيخ وامراته عجوز ،

وزكريا عليه السلام حين ولد ابنه يحيى على كبر منه ومن زوجه . واذا كان الأمر ـ كذلك ـ فلم لم يقص القرآن علينا نبأ هذه المعجزة كما قص نبأى ابراهيم وزكريا .. ؟ !

واذا غضضنا الطرف عن هذا كله فما هو مسلك لوط حين رأى ابنتيه قد حملتا وظهر ذلك عليهما . هل صمت ولم يسألهما عن مصدر حملهما . أم سأل . ؟ ثم ماذا كان الجواب ؟ أقالتا له الحقيقة أم خدعتاه فيه كما خدعتاه من قبل .. ؟ !

هذه تساؤلات نضـــعها أمام أمناء الكتاب المقدس بعهديه . ثم أمام القارىء وهو لا بد ـ واصل الى عرار . ؟ !

القرآن يبرىء لوطا وأهله :

ونزل القرآن المهيمن ليدفع عن نبى الله لوطا وصمة الخسة والسقوط التى سجلتها أهواء المرضى فى أسفار التوراة . ونذكر فيما يلى نص القرآن القاطع ببراءة لوط وابنتيه من كل سوء ، وليس من الخمر والزنا فحسب .

« كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من جر أأن جرى الا على رب العالمين . أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون . قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين . رب نجنى وأهلى مما يعملون . فنجيناه وأهله أجمعين . الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين . ان فى ذلك لآية ، وما كان اكثرهم مؤمنين » الشعراء (١٦٠ / ١٧٤) . هـــذا آخر بيان للوحى الأمين أودعه الله صدور الذين آمنوا . وفيه ترى لوطا النبى مشرق الصورة ، نقى الســـيرة ، محمود العاقبة . هرعت اليه طوائف قومه ليفعلوا الفاحشة مع ضيفه ملائكة الله ، فبرأ لوط من عمل قومه ويدعو ربه أن ينجيه وأهله من السوء أيا كان . ويستجيب له ربه فينجيه ويخبرنا فى أصدق كتبه بأنه نجاه وأهله الا امرأته ، فحفظ القرآن للوط وابنتيه عفتهم وشرفهم ، ليبقى ما يقال غير ذلك اكذوبة الدهر حتى يقتص الله ممن قد تهجموا على رسله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

والحاصل : أن التوراة تتهم نبى الله لوطا بالسكر والزنا . وابنتيه

بالزنا والخداع (!) • والقرآن يبرئهم من هذا كله فأيهما أحرى بالاتباع ثم : أيهما كاذب وأيهما صادق ؟ سؤالان جواباهما معلومان •• ؟ !

ثلاثة من الأنبياء جدهم ولد زنا ؟

الاتهام بالزنا أمر كثير الشيوع فى التوراة • كما حدث فى قصة لوط وابنتيه • ونذكر هنا قصة أخرى شبيهة ، تلوث — لو صدقت — طهارة ثلاثة من الأنبياء هم : داود ، وسليمان وعيسى عليهم السلام • ونظرا لطول النص فى التوراة فاننا نجتزىء منه ما فيه دلالة على ما نقول •

يهوذا بن يعقوب يزنى بزوجة ابنه :

جاء فى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أن يهوذا بن يعقوب أخا يوسف عليهما السلام قد زنى بزوجة ابنه « عير » واسمها « ثامار » • وتحكى التوراة أن يهوذا هذا ماتت امرأته فأخبر جزار غنمه بأنه صاعد الى موضع (١) غنمه ليجزها • وهنا تبدأ خيوط المأساه فتقول التوراة بالحرف :

« فأخبرت ثامار ، وقيل لها هوذا حموك صاعد الى قمته ليجز غنمه (!) فخلعت عنها ثياب ترملها (٢) ، وتغطت ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عينايم (٣) التى على طريق تمنة (!) •••• فنظرها يهوذا ، وحسبها زانيه ••• فمال اليها على الطريق ، وقال : هاتى أدخل عليك •• فقالت ماذا تعطينى لكى تدخل على ؟ فقال : انى أرسل جدى معزى من الغنم ! فقالت : هل تعطينى رهنا حتى ترسله ؟ فقال ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت أ خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك : فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه •   الأيات (١٣ — ١٩) سفر التكوين •

ثم تحكى التوراة وقائع ولادتها • اذ ولدت ولدين أحدهما دعى اسمه زارح • وأما الثانى « فدعى اسمه فارص » سفر التكوين (٣٩/٣٨) •

وفارص هذا الذى تدعى التوراة أنه ولد من زنا هو جد كل من داود وسليمان وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه •

---

(١) ويسمى فى التوراة « تمنه » •
(٢) كانت ثامار فى زمن الحداد على زوجها « عير » كما فى التوراة •
(٣) اسم موضع •

دليل هذا ما جاء في انجيل متى من اسفار العهد الجديد الاصحاح الأول وفيه يقول متى :

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم . ابراهيم ولد اسحق ، واسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار .. » متى (١/١ - ٣) .

ثم يقول متى في نهاية سلسلة النسب : « ومتان ولد يعقوب ، ويعقوب يوسف رجل مريم التي منها يسوع الذي يدعى المسيح .. » متى (١٥/١) .. ؟ !

وهكذا في يقين تدرك حسب ما جاء في سفر التكوين ، وانجيل متى أن داود وسليمان وعيسى ينتهي نسبهما الى فارص الذي حملت به أمه من زنا مقابل جدي من المعزى .. ؟ !

القرآن يشهد بطهارة الرسل وسلامة معدنهم :

مثلما علت عقيدة الاسلام في « الله » علت عقيدته في « رسل الله » فكلهم مصطفون مختارون مبرأون من المآخذ والعيوب المحسوسة والمعقولة . والقرآن الأمين بين في مواضع متعددة منه سمو رسل الله واختيارهم من صفوة خلقه وأطيبهم معدنا وانقاهم سيرة ، فيقول في شأنهم :

« وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » (ص ٤٧) .

ويقول في آيات جامعة :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم » الأنعام (٨٣ - ٨٧) .

وتلك هي شهادة القرآن الأمين الصادق لأنبياء الله ورسله بأنهم كملة مبرأون من العيوب ، لانهم مصطفون مختارون . والاصطفاء هو تخير الأصفى كما جاء في كتب التفسير (١) . أي انهم خالصون سالمون من كل

---

(١) انظر تفسير القرطبي (جـ ٢ ص ١٣٣) ..

دنس أو مغمز ، وحاشا لله أن يجعل فى نسب رسول أو نبى من انبيائه مخلوقا من نطفة زرعت فى غير أرضها فنبتت منبتا حراما ٠٠ ؟ !

والحاصل : أن التوراة تلصق نسب طائفة من رسل الله وأنبيائه الى مولود من زنا آثم فيه أبوه وأمه ٠ والقرآن يرفع شأن هؤلاء الرسل والأنبياء فهم من أتقى خلق الله وأكرمهم عنده ؟ ! ٠

فأى العقيدتين أليق بطهارة الرسل الأعلام ، والأئمة الهداة ؟ ! ما تزعمه التوراة أم ما يقرره القرآن ٠٠ ؟ ! وازن ثم اختر والله يهديك ٠

وداود يزنى ويقتل زوج عشيقته : ؟ !

وجاء الدور على داود عليه السلام ، وبالشناعة ما تصفه به التوراة اذ تحكى عنه قصة لا مكان لها فى كتاب موصى به من عند الله ٠ أما مكانها الجدير بها ، والجديرة هى به أن تكون فى كتاب « الف ليلة وليلة » ولا بأس ان تزاد لياليه ليلة أخرى أو ليلات بقدر ما يتسع لما تحكيه التوراة « الوقورة » عن داود نجاه الله مما يقولون وما يقولون الا بهتانا عظيما ٠

ففى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى تقرأ هذه المأساة التى بطلها داود عليه السلام ٠ ؟ !

« وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ٠ فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ٠ فقال واحد أليست هذه ٠٠ بنت اليعام امرأة أوريا الحثى ٠ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهى مطهرة (١) ٠٠ ثم رجعت الى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت انى حبلى ٠٠ » (٢ — ٥) ٠

هذا هو نص الادانة ٠ ويبدو فيه داود النبى نزقا شريرا ، يحملق ببصره فى محارم الله ، بل ويتعمق فى النظر حتى يفتتن قلبه فيثير كوامنه نحو المرأة الجميلة التى رآها تستحم (؟ !) ثم يتبع هواه (!) فيسأل عنها من تكون ، ولا يلبث ان يرسل اليها من أحضرها اليه ، وسرعان ما خلا بها وضاجعها حراما (؟ !) ولما قضى منها وطره ارسلها الى بيتها ٠ ولكن المرأة شعرت بأنها حبلت من دواد ، فأرسلت اليه تخبره خبرها ٠

---

(١) أى غير حائض ٠

والى هنا ينتهى النص الذى نقلناه آنفا • أما بقية القصة فنلخصها من بقية النصوص دون ذكر النصوص نفسها توخيا للايجاز ولمن شاء ان يطلع عليها فى مظانها فالأمر ميسور أمامه ، ولنبدأ الآن من حيث انتهينا :

لم يطل التفكير بداود ، فقد أمر أحد رجاله أن يخرج للحرب ، وأن يصطحب معه فيمن يصطحب أوريا زوج عشيقة داود ، وأوصاه أن يكون أوريا فى مقدمة الجنود فاذا دارت الحرب فعلى الجنود أن يتزحزحوا الى الخلف تاركين أوريا بين يدى جنود العدو ليقتلوه (! ؟) •

ونفذت وصايا داود وقتل أوريا فى الحرب ، وندبت المرأة زوجها حين علمت بموته ثم انتهت مدة النياحة (! ؟) وضمها داود اليه فصارت له امرأة ، وولدت له ابنا ! ؟ ثم تقول التوراة فى نهاية هذه القصة •

« وأما الأمر الذى فعله داود مقبح فى عينى الرب » صموئيل الثانى (١١ / ٢٧) • فداود ـ فى التوراة ـ زان متعمد ، وقاتل مخادع •• أليس كذلك •• ؟ ! •

والمؤسف كل الأسف أن هذه الفرية سيطرت حينا على بعض مفسرى القرآن العظيم حين تفسيرهم لقصة الخصمين اللذين تسوروا المحراب على داود (١) فانك ترى التأثر بما ذكرته التوراة عن داود هنا واضحا كل الوضوح ومع هذا فان فرقا كبيرا تلحظه بين أقاويل المفسرين وبين ماورد فى التوراة فبينما تصر التوراة على اقتراف داود للزنا بزوجة أوريا ، ثم الزج به فى الحرب ليقتل فقتل • ترى المفسرين لا يقولون بوقوع الزنا منه قط ، وانما حصروا فتنه فى النظر وارادة الزواج منها ، وان شايع بعضهم التوراة فى مسألة دفع أوريا الى الحرب •

وأيا كان الأمر فان محققى المفسرين يلتمسون لفتنة داود أسبابا أخرى غير النظر الى امرأة او الزج بزوجها للقتل • ترى ذلك مبسوطا فى مظانه من كتب التفسير •

وداود عليه السلام برىء من هذه المعاصى التى حاولت التوراة أن تلصقها به لأنه نبى معصوم ولو صح ما تنسبه اليه التوراة لما استحق أن يكون نبيا •

وقد تقدم ثناء الله عليه فى القرآن فى آية « وتلك حجتنا » (٢) • وفى سورة ص نفسها يقول الله عنه :

---

(١) انظرها فى تفسير سورة « ص » •
(٢) الأنعام (٨٣) •

« واذكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب » . ويبقى أثم هذه الفرية محمولا على محرفى التوراة . فهم المسئولون عنها فى المصادر اليهودية والاسلامية .. ؟ !

وفى غير مجال الاتهام بالزنا ، وردت صورتان فى التوراة احداهما الصقت بنبى الله سليمان ، والثانية بنبى الله هارون أخى موسى عليهم السلام ، وهما صورتان لو صدقت كل منهما على صاحبها لأخرجته من كونه رسولا يدعو عباد الله الى التوحيد الذى هو صلب الرسالات السماوية ، الى كونه وثنيا يعبد الأصنام . ونوجز فيما يلى القول فيهما .

سليمان يرتد ويعبد الأصنام .. ؟ !

وردت هذه « الخرافة » المفتراة على نبى الله سليمان فى سفر الملوك الأول الاصحاح الحادى عشر من العهد القديم . والغريب أن التوراة تمهد للصق هذه الفرية بسيرة سليمان عليه السلام بأن السبب الذى جعل سليمان يترك عقيدة التوحيد فيعبد الأصنام فى حال شيخوخته ، ويقيم لها المعابد ويقدم لها القربان . تمهد لهذه الفرية بأن سليمان خرج عن قانون « اله اسرائيل » فأحب كثيرا من النساء الغريبات ، وكان قانون « اله بنى اسرائيل » يحرم عليهم أن يدخلوا على النساء الغريبات كما يحرم دخول الغرباء على نساء بنى اسرائيل .

ولكن سليمان عصى « اله بنى اسرائيل » فمال الى نساء مؤابيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات حتى بلغ عدد نسائه سبعمائة سيدة وثلاثمائة من السرارى (! ؟)

ثم اسمع بعد هذا التمهيد الذى تراه فى مطلع الاصحاح الحادى عشر من السفر المذكور الى نص التوراة فى فرية ارتداد سليمان عليه السلام .. ؟ !

« وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء **عشتورت** الهة الصيدونيين . **وملكوم** رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة **لكموش** رجس المؤابيين ... **ولمولك** رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن .

الكلمات السوداء أسماء أصنام .

فغضب الرب على سليمان لان قلبه مال عن الرب اله اسرائيل ، الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا ان لا يتبع الهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب » الآيات (٤ — ١٠) .

هذا ما ترويه التوراة عن نبى الله سليمان . فلندعه — قليلا — ريثما نفرغ من رواية التوراة عن نبى الله هارون .

وهارون يصنع العجل ويعبده من دون الله : ؟ !

تقول التوراة ان موسى عليه السلام حين أبطأ فى العودة الى قومه بعد الخروج من مصر ذهبوا الى أخيه هارون ، وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة لانهم لا يدرون ما الذى حدث لموسى فلم يعد . فاستجاب هارون ، ونترك التوراة ، تحدثنا عن هذه الفرية :

« فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتونى بها . فنزع كل الشعب اقراط الذهب التى فى آذانهم ، وأتوا بها الى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه الهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال : غدا عيد للرب فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب . ثم قاموا للعب » ؟ ! سفر الخروج (٣٢ / ٢ — ٦) .

القرآن المهيمن يبدىء الرسولين :

لو لم يكن لهذا الكلام من حق يهيمن عليه ويدفعه لفقد الناس الثقة فى رسل الله وأنبيائه . اذ من الخطير جدا على عقائد الأفراد والامم أن يرتد رسول « لم يشك أحد فى رسالته عن الحق الذى به بعث ، وهو التوحيد ، ثم يعبد الهة من دون الله ولكان كل وثنى او ملحد له قدوة من رسل الله فى وثنيته والحاده . ومن رحمة الله بالناس أن جعل آخر رسالات السماء مهيمنة على كل الرسالات التى تقدمتها فى الوجود ، لكى ترد الحق الى نصابه ، وتذب عنه هوى العابثين ، وأباطيل المبطلين . وها نحن أولاء نستفتى أمانة الله فى الأرض « القرآن » فى أمر سليمان وهارون وما نسبته اليهما التوراة فى خروجها ؟ ! .

مكانة سليمان فى القرآن :

لسليمان بن داود عليهما السلام مكانة عالية فى القرآن الأمين لم يشبها زيغ أو انحراف . وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأســلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير • يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات • أعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبــادى الشكور » سبأ (١٢ / ١٣) •

« ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين • وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هــذا لهو الفضــل المبين » النمل (١٥ / ١٦) •

« ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب » ص (٣٠) •

اترى لو كان سليمان قد ارتد وعبد الأصنام وأسرف فى شهواته كما تروى عنه التوراة أكان يستحق هذا الثناء من رب العرش العظيم • أم أن مصيره كان سيكون مثل مصير فرعون وهامان : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا » الا قاتل الله الباطل وأهله •

عجل السامرى •• لا هارون : ؟ !

اما دفع القرآن عن هارون مما رماه به محرفو التوراة فيكفى فيه ان نذكر قوله تعالى :

« وما اعجلك عن قومك يا موسى ؟ • قال هم أولاء على أثــرى ، وعجلت اليك رب لترضى • قال : فانا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى • فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا • قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ؟ قالوا : ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى • فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هــذا الهكم واله موسى فنسى • أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • ولقد قال لهم هارون من قبــل يا قوم انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى • قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى •• » (١) طه (٨٣/٩١) •

---

(١) نلفت نظر القارىء الى ان كل هذه المواضع التى تعقب القرآن فيها التوراة وصوب ما فيها من أخطاء ودفع ما فيها من باطل • هــذه المواضع كلها يعتبرها مخرجو كتاب « الاستحالة » اقتباســات للقرآن من التوراة ؟ !

ذلك هو الحق الذى يجب أن يقال وان يعتقد . فعجل بنى اسرائيل صنعه السامرى ولم يصنعه هارون . وهارون عليه السلام نصح قومه حين رآهم يعبدون العجل بأنه فتنه لهم وأن ربهم هو الله الرحمن ، فلم يستجب قومه له لانهم استضعفوه فى نظرهم .

والحاصل : ان التوراة لا تتورع أن تلصق بأنبياء الله ورســـله كل نقيصة ولو كانت تلك النقيصة ارتدادا وكفرا بالله الواحد القهار . وأن القرآن يدفع باطل التوراة ويدفع عن أنبياء الله ورسله المكرمين ما لا يليق . فاى المصدرين هو الكاذب ، وأيهما هو الصادق : التوراة المحرفة أم القرآن المصون وأى العقيدتين أحرى بالاتباع ؟ عقيدة التوراة أم ما يدعو اليه القرآن الأمين ؟ ان فى ذلك لدلالة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ؟ !

والخلاصــة :

وها نحن قد فرغنا من عرض بعض نصوص التوراة ونقدها ، وبعد هذا ندعو القارىء أن يتأمل لمـاذا وقف القرآن الحكيم موقفه المعروف من التوراة التى لعبت بها أيد اليهود . ولمـاذا نبه الى تعديهم عليها ؟ ! . والجواب واضح جدا فلا يحتاج الى بيان . ولكن الذى ينبغى أن يقـــال ويعتقد ان القرآن لم يتجن على التوراة وانما صنع معها ما يصنعه الناصح الأمين الصـــادق . ويا ويل البشرية لو خلت حياتها من القـــرآن ؟ ! والقرآن وحده ... ؟ !

ثانيا : نصوص من الاناجيل . عرض ونقد :

تمهيد : من الامور التى أقرها كتاب « اســـتحالة تحريف الكتاب المقدس » ما يأتى :

أولا : الوهية المسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله . بل دعوه الله نفسه « هو الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى الذى انشأها (أى العظام !) أول مرة » (١) .

ثانيا : ان المسيح عيسى ابن مريم هو « الديان » : لان الأب لا يدين أحد (٢) . بل قد أعطى كل الدينونة للابن ... وها أنا آتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله » (٣) .

---

(١) كتاب الاستحالة (ص : ٩٣) الطبعة الثانية .

(٢) هكذا « أحد » وحقها ان تكون « أحدا » بالنصب لانها مفعول ! .

(٣) كتاب الاســـتحالة (ص ٩٤) و (ص ٣٤) و (ص ٣٧) — (ص ٦٧ ، ص ٩٨ ، وما بعدها) .

ثالثا : ان الكتاب المقدس يخلو من التناقض والخلل وهذا نصهم فى ذلك : « ورغم هذا نجد أن الكتاب المقدس يمتاز بوحدة ترابطية عجيبة لا تناقض فيها ولا خلل » (١) • وبعد هذا بثلاث صفحات ترى عنوانا هكذا يقول :

(التوافق التام بين العهد القديم والجديد) (٢)

رابعا : خلو الكتاب المقدس بعهديه من البشارة برسول الاسلام وقد تحمس مخرجو كتاب الاستحالة لتأكيد هذه المقولة وافرغوا فيها جهدا « مضنيا » فى مواضع متعددة من كتاب « الاستحالة » (٣) •

ونكتفى بابراز هذه الامور الأربعة فنعرضها واحدا واحدا على نصوص من الأناجيل ، وننقدها نقدا علميا على ضوء ما نذكره من نصوصهم الانجيلية ناظرين الى ما تسفر عنه الدراسة أتسلم لهم هذه « المقولات » أم ترد ويثبت ضدها •• ؟

موقف نصوص الأناجيل من دعوى الوهية عيسى (عبد الله ورسوله) عليه السلام :

جاء فى انجيل متى الاصحاح الرابع فى مسألة تجريب ابليس لعيسى عليه السلام ما يأتى :

« ثم أخذه أبليس الى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل ، لانه مكتوب انه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لاتصدم بحجر رجلك ؟ قال له يسوع : مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك • ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا ، وآراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها ! ان خررت وسجدت لى • حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان ، لانه مكتوب للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد » (٥ ــ ١٠) •

فهاهوذا عيسى عليه السلام يأبى أن يسجد لابليس ، ولم يكتف بعدم السجود له بل يقول له : أن السجود لا يكون الا لله ، والعبادة لا تكون الا لله وحده •

وهذا يتضمن اعترافين : **أحدهما** أن عيسى عليه السلام ليس هو الله ولا هو ابن الله • **وثانيهما** : ان السجود والعبادة انما هما لله وحده وفى نفس انجيل متى الاصحاح العشرين آية (٣٢) جاء قوله على لسان عيسى عليه السلام : « أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : « أنا اله ابراهيم ، واله اسحق واله يعقوب » •

---

(١) ، (٢) ، (٣) كتاب الاستحالة (ص ٩٤) ، (ص ٣٤) ، (ص ٣٧ ــ (ص ٦٧ ، ص ٩٨) وما بعدها •

وبعد ذلك من الاصحاح نفسه يجيب من يسأله عن الوصية العظمى في الناموس ، فيقول عيسى عليه السلام حسب رواية الانجيل المذكور : « تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى العظمى : والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (٣٧ – ٤٠) .

وهذا اعتراف آخر باقرار السيد المسيح بأن الله هو – وحده – اله الأنبياء واله الناس جميعا . واله عيسى نفسه . ولا ينازعنا منازع في أن عيسى لم يعترف بأنه « مربوب » لرب الخلق جميعا . لاننا نذكر في هذا نصا قاطعا من انجيل متى نفسه يلزم الانجيليين بأن يعترفوا بهذه الحقيقة، لانهم لا يستطيعون أن يقولوا بأن هذا النص غير موجود . فنحن لم نأت به من « عندياتنا » بل من كتابهم المقدس فهو حجة عليهم ..

والنص وارد في الاصحاح السابع والعشرين . وهو يحكي موقف المسيح وهو يقاد الى خشبة الصليب . واليك ذلك النص :

« ومن الساعة السادسة (١) كانت ظلمة على كل الأرض الى الساعة التاسعة . ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلي ايلي لم شبقتني ؟ اى الهي الهي لماذا تركتني » (٤٥ – ٤٦) . هذا هو النص وشرح ما غمض من كلماته (٢) .

وتعليقنا عليه نقول :

(أ) عيسى عليه السلام يقول – بالقطع – الهي الهي ، فمن هو الهه اذا كان هو نفسه الاها . أليس هو « الله » اله ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين .

(ب) واذا كان عيسى عليه السلام الاها فلماذا يجزع ويصرخ هكذا بصوت عظيم كما يروى عنه تلميذه متى في انجيله ؟ .

(جـ) تقرر الاناجيل ، ومن بعدها كتاب الاستحالة ان يسوع المخلص كان يعلم نهايته . وانه سوف يصلب ، ليفدي البشرية من ذنوبها واخطائها .

---

(١) تحديد الزمن هنا بالساعة أمر غريب جدا . يحتاج الى مهارة في التخريج .. ؟ !

(٢) ووردت هذه العبارة في انجيل مرقس (١٥/٣٤) هكذا : الوي الوي لما شبقتني » ؟ !

فاذا كان الأمر كذلك فلماذا جهل وهو يقاد الى الصلب وجه الحكمة فيما هو جاء من أجله ، وما هو الآن مقبل عليه ٠ واذا لم يكن هذا جهلا مع أن سياق الكلام يقتضيه ، حسب ما ورد فى النص المتقدم ٠ اذا لم يكن جهلا فهو على الأقل « تنكر » لما كـان يتحدث به مع تلاميذه من قبل (١) ٠ بل هو تنكر لجوهر المهمة التى جاء من أجلها وهى تقـديم نفسـه فداء للانسانية من أخطائها كما تزعم الاناجيل ٠

ونحن مع كوننا نؤمن « بنبوة المسيح » ونقف به عند هـذا الحد ولا نقول انه « اله » مع هذا الايمان « المتواضع » ننزه المسيح عن التنكر للمهمة التى جاء من أجلها وهى هداية قومه الى الحق ٠

ويشـترك يوحنا مع متى ومرقس فى وصف ساعة « الصلب » المدعاة فيقول فى الاصحاح الثانى عشر فى الآية السابعة والعشرين حكاية عن المسيح وهو يصلب :

« الآن نفسى اضطربت ٠ وماذا أقـول أيها الآب : نجنى من هـذه الساعة ٠٠٠ » ٠

والجديد فى هذا النص الذى نقلناه عن انجيل يوحنا أن المسـيح (عليه السلام) يقول : ان نفسه اضطربت ٠ وانه يطلب من « الآب » أن ينجيه من هول تلك الساعة ٠

فاذا كان المسيح الاها فكيف تضطرب نفسه ؟ ! والاضطراب معناه الخوف الشديد ٠ هل الاله يخاف ٠ ؟ والخوف فى مثل هذه المواقف هو وليد الضعف وقلة الحيلة ٠ فهل يتصور العقل الاها هكذا : ضعيف قليل الحيلة يستغيث بمن ينقذه وينجيه ؟ !

اعتراف عيسى (عليه السلام) والأناجيل بانه انسان نبى :

ونعرض فيما يلى نصـوصا من الأناجيل تعترف بانسانية عيسى ونبوته مرات يصف المسيح بهذه الصفات هو نفسه ، ومرات يصفه بها

---

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس (ص ١٠٩) توجيه طريف لجزع المسيح وصراخه حين صلبه لا نحـرم القارىء من الوقوف عليه وهو : « قال بعضهم بأن المسيح كان فى تلك اللحظة يحمل خطية العالم بأسره ٠ ولذا فقد شعر بالانفصال الوقتى عن الآب السماوى » ٠ ؟ !

كتاب الأناجيل ومن ذلك قول المسيح لجماعة من الكتبة ظنوا به الشر وهو يعالج مريضا مفلوجا بقوله : « يا بني : مغفورة لك خطاياك » فقال الكتبة هـذا يجدف » فقال لهم المسيح .

« لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم ؟ أيهما أيسر ؟ أن يقال مغفورة لك خطاياك ، أم أن يقال : قم وامشي . ولكن لتعلموا ان **لابن الانسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا .. » متى (٢/٩ – ٦) .

فهذا اعتراف مسطور في أول الأناجيل الأربعة بأن عيسى (عليه السلام) يصف نفسه بأنه ابن الانسان ؟ .

وجاء في متى أيضا في الاصحاح الحادى عشر آية (١٦) : قـول المسيح عن نفسه « جاء **ابن الانسان** يأكل ويشرب فيقولون هوذا انسان أكول شريب خمر » ؟ !

وفي انجيل مرقس الاصحاح الثاني الآية (٩) روى مرقس نفس القصة التي رواها متى في شفاء المفلوج وأن عيسى (عليه السلام) قال : « ولكن لتعلموا أن **لابن الانسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا .. » ؟!

وفي الاصحاح الثالث عشر يروى مرقس عن المسـيح قوله (١) ! « وحينئذ يصرون ابن الانسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد » ؟ ! .

أما لوقا فيروى في انجيله نفس قصة المفلوج التي رواها من قبل كل من متى ومرقس ، فيقول لوقا كما قالا أن المسيح قال عن نفسـه « ولكن لكي تعلموا أن **لابن الانسـان** سـلطانا على الأرض ان يغفر الخطايا ... » (٢) .

وفي نفس الاصحاح يتحدث لوقا عن احدى ليالي المسيح فيقول : « وفي تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلي ، وقضى الليل كله في الصلاة لله » (٣) .

وفي الاصحاح السابع يروى لوقا ما سبق أن رواه متى من قـول المسيح عن نفسه :

---

(١) آية (٢٦) – .

(٢) الاصحاح الخامس آية (٢٣) (٣) آية (١٢)

وهو : جاء يوحنا لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان . جاء **ابن الانسان** (يقصد نفسه) يأكل ويشرب فتقولون هوذا انســـان أكول « وشريب خمر » (١) .. ؟ !

وفى الاصحاح الثانى والعشرين من أنجيل لوقا يروى لوقا قول المسيح عن نفسه وهو يتحدث عمن سيسلمه للصلب :

« ولكن هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة . **وابن الانسان** ماض كما هو محتوم » (٢) .

وفى الاصحاح نفسه يروى لوقا عن المسيح قوله عن نفسه « منذ الآن يكون **ابن الانسان** جالسا عن يمين قوة الله » (٣) .

أما رابع الأناجيل ، وهو انجيل يوحنا فقد تعددت المواضع التى وصف فيها المسيح بابن الانسان فيه ومن ذلك :

« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا ، لانه **ابن الانسان** » (٤) .

وفيه أيضا :

« فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، ان لم تأكلوا جســـد **ابن الانسان** ، وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية .. » (٥) .

وفيه كذلك يقول المسيح عن نفسه وهو يخاطب اليهود الذين كانوا يسعون لقتله أ

« ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » (٦) .

---

(١) الآيتان (٣٣ — ٣٤) .
(٢) الآيتان (٢١ — ٢٢) .
(٣) الآية (٦٩) .
(٤) الاصحاح الخامس آية (٢٧) .
(٥) الاصحاح السادس آيتا (٥٤/٥٣) وهذا هو مبدأ العشاء الربانى المعروف عند النصارى .
(٦) الاصحاح الثامن آية (٤٠) .

فهذه نقول « وآيات من الاناجيل الأربعة فيها .وصف صريح لعيسى عليه السلام بأنه انسان • انسان مخلوق الله • وعبد له يصلى من أجله ويطلب منه النجاة • فكيف تستقيم لدى الانجيليين فكرة « الوهيته » عليه السلام فقد اتفقت الأناجيل الأربعة على وصفه بأنه انسان • كما خلت كل هذه الأناجيل من آية عبارة أطلق المسيح فيها على نفسه أنه « اله » لم ترد هذه العبـــارة فى أى من الأناجيل الأربعة لا عن لسان عيسى نفســه ولا فى « حشويات » كتاب الاناجيل • فمن أين اذن تستقى هذه الفكرة ما دامت الاصول الدينية الكبرى عند النصارى قد خلت منها •

صحيح أن الأناجيل قد ورد فيها وصفه بأنه « ابن الله » أو أنـــه « الــرب » ولكن هذين الوصفين لا تكون نتيجتهما الحتمية أنه « الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى » كما جـــاء فى كتاب الاستحالة • وسوف نعود لهذين الوصفين فى نهاية هذا المبحث ان شاء الله •

نبوة عيسى فى الأناجيل :

وقفنا فى النصوص المتقدمة على حقيقة الوصف العام الذى صرحت بـــه الأناجيل الأربعة « عن رضى أم عن كـــره » فى حق السيد المسيح عليه السلام » وهو انه انســان ابن انسان • ونقف فى النصوص الآتية على حقيقة الوصف الخــاص الذى تصرح بـــه الأناجيل الأربعة فى حق السيد المسيح وهو انه **نبى مرسل** • وبهذا تكمل شخصية عيسى عليه السلام وهو « أنه بشر رسول » بحيث يكون القصور أو التجـــاوز لهذا الفهم مغالاة وزيغا الحق منهما براء • واليك النصوص :

جــاء فى انجيل متى قول المسيح عن نفسه :

« من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى ارسلنى • من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ » (١) •

فمن هو الذى أرسل عيسى عليه السلام • اليس هو الله ؟ وما الذى تفيده هذه العبارة فى وضوح :

ان مفادها هو : عيسى ــ عليه السلام ــ نبى مرسل ، وليس الإها ؟ ولا ابن اله •

---

(١) الاصحاح العــاشر آيتا (٤٠ ــ ٤١) •

وفى انجيل مرقس جاءت هذه العبارة مع اختلاف يسير فى الصياغة :

« ومن قبلنى فليس يقبلنى انا . بل الذى أرسلنى » (١) .

أما لوقا فيروى فى انجيله رد المسيح على الفريسيين الذين نصحوه بالخروج من أورشليم لان هيردوس يريد أن يقتلك . فكان رد المسيح عليه السلام كما يروى لوقا :

« بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه ، لانه لا يمكن أن يهلك نبى خارجا عن أورشليم » (٢) .

كما يروى لوقا ما يقطع بايمان المسيح عليه السلام بوحدانية الله . وذلك فى رده على من قائلا : « أيها المعلم الصالح ... » فكان رد المسيح عليه السلام كما يرويه لوقا :

« لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله (٣)» ؟ ! فلو كان المسيح الاها — كما يدعون — لما نفى الصلاح عن نفسه وعن غيره ليحصره فى واحد احد وهو الله . ولو كان جزءا من ثلاثة أجزاء « الله » سبحانه وتعالى عما يقولون — لكان صاحب حق فى الصلاح الذى نفاه بأسلوب قصرى وأثبته لله . فليس الصلاح المطلق الا لله وحده فما تأويل هذا عند مخرجى كتاب الاستحالة . ؟ ! انه طريق صعب وصعب اجتيازه .

ويفجؤك انجيل يوحنا رابع الأناجيل وأول ما يفجؤك فى هذا الصدد قول المسيح الذى يرويه فيقول :

« لانه — أى الله — لم يرسل ابنه (!) الى العالم ليدين العالم . بل ليخلص به العالم ... » (٤) .

ويروى يوحنا أن مشاهدى بعض آيات المسيح قالوا حين أعجبوا بها « فلما راى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم .. » (٥) .

---

(١) الاصحاح التاسع آية (٣٧) .
(٢) الاصحاح الثالث عشر آية (٣٣) .
(٣) الاصحاح الثامن عشر آية (١٩) .
(٤) الاصحاح الثالث آية (١٧) .
(٥) الأصحاح السادس آية (١٤) ثم فى الاصحاح السابع آية (٤٠) .

ويروى يوحنا قول المسيح الآتى :

« لانى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى ، بل مشيئته الذى أرسلنى » (١) .

ويروى يوحنا قول المسيح عن نفسه :

« انا هو الشاهد لنفسى ، ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » (٢) .

كما يروى يوحنا قول الأعمى الذى ابصره (أى أعاد بصره) عيسى عليه السلام حين سأله اليهود ماذا تقول فى هذا الذى اعاد عليك بصرك ؟ « فقال انه نبى » (٣) .

ونختم هذه النقول بما يرويه يوحنا فى الاصحاح الثانى عشر الآيتين (٤٤ - ٤٥) حيث يقول المسيح :

« فنادى المسيح وقال : الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى . والذى يرانى يرى الذى أرسلنى » .

ان هذه النصوص التى اتفقت فى روايتها كل الأناجيل بحيث لم يشذ عنها واحد تنبىء فى يقين بصحة مدلولها . وان مسألة ادعاء الوهية المسيح انما هى طارئة لم يقل بها احد من الذين عاصروه أو الذين كانوا قريبى العهد بمبعثه والا لما بقيت هذه « الومضات » التى تضع المسيح عليه السلام موضعه الصحيح من حيث طبيعته ، ومن حيث العقيدة فيه .

فطبيعته بشرية انسانية . والعقيدة فيه أنه نبى مرسل أيده الله بمعجزات تصديقا لنبوته ولاقامة الحجة على مخالفيه .

ونعود الآن الى الوصفين اللذين كثر وجودهما فى الاناجيل وهما : الرب يسوع . وابن الله سبحانه عما يقولون اذ ان اطلاق وصف « اله » عليه لم يأت مطلقا فى أى من الاناجيل الأربعة فيما نعلم بل فيما نستقين .

فهل - يا ترى - هذان الوصفان صالحان لأن يرقيا بالمسيح الى درجة الالوهية ؟ ! .

---

(١) الاصحاح السادس آية (٣٩) .
(٢) الاصحاح الثامن آية (١٨) .
(٣) الاصحاح التاسع آية (١٧) .

مدلول كلمة الرب :

تطلق كلمة « رب » فى اللغة ويـــراد منها عند الاطلاق : الخالق والصانع أى الله عز وجـل ٠

ودلالة كلمة « رب » على الله انما تكون عند الاطلاق بحسب ما يتبادر الى الذهن منها ٠

وتضاف هذه الكلمة «رب» الى ما تصح تبعيته لغير اسم الجلالة من حيث العادة فيراد منها حينئذ غير الله ٠ فتقول : رب الدار ٠ تعنى مالكها وسيدها ورب الأسرة تقصد عائلها وكبيرها ٠ ورب الأمة أو العبد أى مالك رقه كما تضاف كلمة « رب » الى ضمير المتكلم « ربى » أو غيره فيراد منها سيدى وهى كلمة اكرام ليس المقصود منها نفس المعنى عندما يكون المخاطب بها الله سبحانه ٠ فهو رب الأرباب ومالك الرقاب ٠

ولهذا قال يوسف عليه الســـلام للذى ظن أنــه ناج من صاحبى السجن « أذكرنى عند ربك » أى عند سيدك ٠

فكلمة « رب » كما تطلق على الله اطلاقا حقيقيا تطلق على غير الله تعالى فيقال : رب الدار ورب الدابة بمعنى مالكها وسيدهما ٠ فليس كل من قيل فى حقه أنه « رب » يلزم أن يكون الاها ٠ ان هذا لم يقل بــه أحد ولم تعرفه الأعراف اللغوية ٠

وعلى هذا فان اطلاقات كلمة « الرب » على المسيح فى الأناجيل ليس لها معنى ســوى « سيد » تكريما لــه ٠ أو معنى صاحب فى مثل : « رب المجد » أى صاحب المجد ٠ فلا ضرورة لا لغوية ، ولا دينية تقصر معناها على الوصف بالألوهية أبدا ٠

واذا رفض مخرجو كتاب « الاستحالة » هذا التوجيه فنضع أمامهم ما جـاء فى كتاب « قاموس الكتـــاب المقدس » الذى وضعه علماؤهم وقساوستهم من شتى البقاع ٠ واليكم ما جـاء فيه فى شرح كلمة «رب»

« ٠٠٠ وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى ٠ دلالة على الاعتبـــار والاكرام » (١) ٠ فنحن لم نكرههم على هذا المعنى اكراها ٠ وانما هم قد صرحوا به من تلقاء أنفسهم ٠ وهذا وحده كاف فى الثبــــات ما نقوله

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص ٣٩٦) ٠

هنا من خلو كلمة رب من الدلالة القطعية على الوصف بالألوهية المدعاة - ولنعرض الآن لمعنى كلمة ابن الله سبحانه عما يقولون .

دلالة كلمة ابن الله فى الأناجيل :

ونكتفى — هنا — بدلالتها عندهم هم . اذ لا ابن الله فى اللغة حتى نبحث فى دلالتها فيها . فهى كلمة خاصة بالأناجيل . فهل يلزم من اطلاقها فيها على السيد المسيح عليه السلام القول بأنه « الـه » ؟ ذلك ما نراه الآن ومرجعنا فيه هو كتاب « قاموس الكتاب المقدس » ونضـع أمـام القارىء خلاصة أمينة لمـا جاء فيه :

« أبناء الله . استعمل هذا التعبير « أبناء الله » فى العهد الجديد عن المؤمنين بالله بنوع خاص . فيصبح المؤمنون أبناء الله بالميلاد الجديد.. انهم مولدون من الله بالمعنى الروحى » .

ويؤيد هذا المعنى الذى يشير اليـه قاموس الكتـاب المقدس أن الأناجيل كثيرا ما ذكرت أقوالا عن السيد المسيح يخاطب بها التلاميذ والأتباع ويدعوهم « أبنـاء الله » ويقول لهم : « أباكم الذى فى السماء » . ومن ذلك ما ورد — مثلا — فى انجيل متى (٥/١٠) : « طوبى لصانعى السلام ، لانهم أبنـاء الله يدعون » ؟ !

هذه هى أقوالهم فى بيان المقصود من هذه الكلمة . فلو كـان يلزم منها أن يكون من وصف بها الاها لكان كل اتبـاع المسيح آلهة . ولم يكن هو بأولى منهم بهذا الوصف . خاصـة وأنهم يرددون فى صلواتهم : « يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك ... » ؟ ! .

وخلاصة هذا كله :

ان دعوى ألوهية المسيح لم يقم عليها دليل من العقل ولا من النقل. فها هى ذى الأناجيل تثبت له الاضطراب والخوف والجزع ومناجاته ربه الهى الهى .. وتصفه بأنه انسان .. وانه نبى ، وأنه مرسل من قبل الله .. وهى كلها تخلو من اطلاق وصف « اله » عليه . وذلك كله حق .. ولكنه حق مهمل عند الانجيليين الا من عصم الله . وعلى هذا فان دعوى الوهية المسيح ليس لها من مصادر النصرانية سند ولا شبه سند ؟ !

كون المسيح هو الديان فى الأناجيل :

فرغنا فى رد هذه الدعوى — قبلا — واعادتها هنا انما هى من حيثه

موقف النصوص الانجيلية منها أهى موجبـــة لها أم نافية . أو بصيغة ادق :

هل القارىء لنصوص الاناجيل يستطيع أن يكون فى نفسه عقيدة الدينونة فتصبح ــ عنده ــ اعتقادا غير قابل للجدل ؟

ان نصوص الأناجيل قد بدا موقفها من هذه الدعوى فى ثلاث صور .

الأولى : أن الديان هو الله . ومن اقوالها فى ذلك :

« احترزوا أن تصنعوا صداقتكم أمــــام النــــاس لكى ينظروكم . والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء (١) » .

« فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية » (٢) .

فمن يكون الأب الذى فى السماء ، ومن يكون الذى يرى فى الخفاء . ان هذه الأوصاف هى « لله » الواحد ولم يدع أحد من علماء الكهنوت أن المراد بها « غير الله » .

ومن ذلك :

« .. لان من استحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء . فان ابن الانسان يستحى بـــــه متى جاء بمجد أبيــــه مــــع الملائكـــة القديسين » (٣) .

ويروى مرقس قول المسيح فى أن الله وجـــــده يعلم يوم الجزاء فيقول : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الآب » (٤) .

فتأمل ــ اخى القارىء ــ مجد أبيه ــ فلا يعلم بهما أحـــد .. الا الآب فلو كان عيسى عليه السلام هو « الديان » لكان المجد مجده هو ،

---

(١) متى (٦ / ــ ١) .
(٢) متى (٦ / ــ ٣) .
(٣) مرقس (٨ / ــ / ٢٨) .
(٤) مرقس (٩ / ــ ٢٢) .

وكيف يكون هو الديان وهو لا يعلم متى تكون الدينونة · والله وحده هو الذى اختص بعلم ذلك ·

أفليس هذا اعتراف من الأناجيل بهذا الحق الذى يجب أن يصار اليه ولو قا يذكر دعـــاء المسيح الذى يقول فيه : « يا أبتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (١) ·

فلو كان هو الديان لغفر لهم ولمـــا احتاج للدعاء لان يغفر لهم الله فدل دعاؤه هذا على انـــه ليس لـــه من الأمر شيء ·

وفى انجيل يوحنا نرى هذه العبارة التى يقول فيها حاكيا ـ حسب روايته ـ ما قاله عيسى عليه السلام :

« انى أصعد الى أبى وأبيكم · والهى والهكم » (٢) ·

فها هو ذا ـ اذن ـ يقر بألوهية الله له وللناس · وهذا هو انجيل يوحنا ينفرد بهذه العبارة الفريدة · وهى كلمة حق بقيت لتهيمن على كل ما عداها من ادعاءات ·

بل أن يوحنا لينفرد بعبارة أخرى ما رأيتها فى غير انجيله وهى قاطعة بنفى « الدينونة عن عيسى عليه السـلام وفيها يقول يوحنا ناقـــلا عن عيسى عليه السلام :

« ··· وأما على دينونة فلان رئيس هذا العـــالم قد دين » (٣) · فكيف يكون المدين ديانا ؟ ·

هذا ما يقال عن الصورة الأولى لما بدا بـــه موقف الأناجيل من دعـــوى دينونة عيسى عليـــه السلام · أمـــا الصورة الثـــانية فهى : **ان المسيح هو الديـــان :**

لم يخل انجيل من الأناجيل الأربعة من التصريح بنسبة الدينونة للمسيح عليه السلام · أو الاشارة ·

---

(١) لوقا (٢٣ / ـ ٢٤) ·
(٢) يوحنا (٣٠ / ـ ١٧) ·
(٣) يوحنا (١٦ / ـ ١٠) ·

في انجيل متى في الاصحاح الرابع والعشرين نرى هذه النصوص :

« وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها » (١) . (الآيات ٣٠ - ٣١) .

ملاحظاتنا على هذا النص :

يلاحظ على النص أمور :

١ - انه يخلو من نفخة الصعق التى يفنى بسببها كل حى الا من شاء الله ؟ !

٢ - انه جعل نفخة القيام خاصة بجمع مختارى ابن الانسان .. ؟ !

٣ - أضاف القوة والمجد والملائكة لابن الانسان ؟ ! . وهذا معناه أنه صاحب الفصل والدينونة في ذلك اليوم . ومن العجيب أن متى يذكر بعد ذلك بقليل أن الله وحده هو الذى يعلم متى يكون هذا ؟ (٢) .

● ونفس النص ورد في انجيل مرقس مع اختلاف في الصياغة وها هو ذا نصه :

« وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد . فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض الى أقصاء السماء » (٣) .

ويلاحظ أن المقارنة بين نصى متى ومرقس تسفر عما يأتى :

١ - لم ينص مرقس على نوح قبائل الأرض كما جاء في متى ؟ !

٢ - لم ينص مرقس على البوق ذى الصوت العظيم ولا عن المهمة المرادة منه ؟ !

---

(١) المقصود من ابن الانسان هو عيسى عليه السلام .

(٢) آية (٣٦) ونصها : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهـا أحد ولا ملائكة السموات الا أبى وحده » ؟ !

(٣) مرقس (١٣ / - ٢٦ - ٢٧) .

٣ ـ فى نص متى كان جمع مختارى ابن الانسان من أقصاء السموات الى أقصائها أيضا · بينما هذا الجمع فى مرقس من أقصاء الأرض الى أقصاء السماء · ؟ ! وهذا الاختلاف بين النصين يحتاج الى مهارة فى التخريج · ؟ !

أما لوقا فيشير الى نسبة الدينونة الى المسيح فى قوله الذى يرويه عنه وهو :

« فكونوا انتم اذن مستعدين ، لانـــه فى ساعـة لا تظنون يأتى ابن الانسان » (١) ·

أورد لوقا هذا النص ضمن موعظة القاها المسيح على تلاميذه يذكرهم فيها بالاستعداد لليوم الآخر ؟ !

أما الصورة الثالثة التى بدا بها موقف الأناجيل من مسألة دينونة المسيح عليه السلام · فقد ادخرنا لها انجيل يوحنا وهما :

نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه :

وانما ادخرنا لها انجيل يوحنا لانه يمثل « قمة » التناقض فى هذا الفرع فلنضع ما جاء فيه أمام القارىء الكريم · وبدهى أن موقف هذا الانجيل كما يبدو من العنوان المذكور ذو شقين : أحدهما اثبات الدينونة للمسيح · والثانى نفيها عنه · واليك النصوص على هذا المنوال :

١ ـ النصوص المثبتة :

« ان الآب لا يدين أحدا · بل قد اعطى الدينونة للابن » (٢) ·

« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الانسان (٣) » ·

« فقال يسوع : لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون » (٤) ·

---

(١) لوقا (١٢ / ـ ٤٠) ·
(٢) يوحنا (٥ / ـ ٢٣) ·
(٣) يوحنا (٥/ـ٢٨) ·
(٤) يوحنا (٩ / ـ ٤٠) ·

٤ ـ النصوص النافية !

« لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص بـه العالم » (١) .

« وان سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » (٢) .

« لان ابن الانسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » (٥) .

هذا هو موقف الأناجيل وهى المصادر الأصيلة للنصرانية المعاصرة تختلف اختلافا بينا أو قل تتناقض تناقضا بينا فى مسألة اثبات الدينونة لعيسى الأناجيل وفى نفيها عنـه . وهى نصوص متكافئة فى الايجاب والنفى ولا تستقيم عليها عقيدة ثابتة تبنى عليها . فبأيها يأخذ الانجيلى اذن ؟

أيأخذ بنصوص الاثبات ـ كما هو المعتقد عندهم ـ أم يأخذ بنصوص النفى ؟ !

فان أخذ بنصوص الاثبات فقد أهمل نصوصا مقدسة عنده تعارضها فما هو فاعل فيها ؟ !

وان أخذ بنصوص النفى فقد أهمل نصوصا أخرى مقدسة عنده تعارضها كذلك . فما هو صانع فيها . ؟ !

ان نصوص الأناجيل فى مسألة « الدينونة هذه » غير صالحة بحسب تعارضها الظاهر لأن تكون عقيدة لمعتقد . مع أن هذه المسألة من أرسخ وأبرز ركائز الايمان فهى غير قابلة لتنازع الأدلة بين الاثبات والنفى . فالاثبات والنفى كانا مقبولين فى المسائل الفرعية فانهما غير مقبولين ولا هما واردان فى المسائل الاصولية الكبرى التى يقوم عليها صرح الايمان .. ؟ !

لان المؤمن الذى لا يعرف أمام من سيقف ! ؟ ولمن سيقدم كشف حسابه ؟ ، وممن يطلب الجزاء ؟ ! المؤمن الذى هذا شأنه ان كان سبب

---

(١) يوحنا (٣/ـ١٧) .
(٢) يوحنا (١٢/ـ٤٧) .
(٣) لوقا (١٩/ ـ ١٠) .

هذا التردد عنده الجهله بأصول شريعته فالنقص فيه هو وهو مطالب بالكمال • وان كان سبب هذا التردد غموضا أو مقصورا فى الشريعة نفسها فالنقص فيها هى ، وهى المطالبة بأن تستقيم •• ؟ !

● خلو الكتاب المقدس من البشارة برسول الاسلام :

قلنا ان مخرجى كتاب « الاستحالة » قد افرغوا جهدا مضنيا فى اثبات أن الكتاب المقدس خلا من البشارة برسول الاسلام • وعلم الله أن هذه القضية لم تحتل عندنا موضع « الأهمية » وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ ان رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم قد ثبتت نبوته من طرق قاطعة بعضها باق حتى الآن ، وسيبقى ما بقى الدهر •

٢ ـ انه صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة الى اثبات تلك البشارة فى التوراة أو الانجيل • فثباتها أو زوالها سيان • فلا الاثبات بزائد فى الحقيقة ولا النفى منقص منها •

٣ ـ انه يكفينا ـ نحن المسلمين ـ اشـــارة القرآن الى ورود تلك البشارة فى أسفار كـــل الرسل الموصى اليهم ، وأخذ الله عهده عليهم بالأيمان بـــه ونصرته لو بعث وهم أحياء •

ومع هذا فان من يطلع على أسفار الكتاب المقدس بعهديه القـــديم والجديد تطالعه بعض النصوص التى يمكن حملها على أصل البشـــارة برسول الاسلام فيها • ونضع بين يدى القارىء بعض تلك النصـــوص ليشترك معنا فى هـــذا الفهم •

بشاراته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة :

جاء فى التوراة فى سفر التثنية الاصـــحاح الثامن عشر ، الآية الثامنة عشرة ما يأتى :

« أقيم لهم نبيا من وســـط أخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه » •

وقد تنازع كل من اليهود والنصارى هـــذا النص • فاليهود على طريقتهم فى التحريف يقولون أن هذا النص وان جاء فى صورة الخبر والوعد فهو فى الحقيقة نفى لأن يجعل الله نبيا فى بنى اسرائيل موصوفا

بهذا الوصف • ويتوصلون الى هـذا الزعم بأن حقيقة النص هـكذا « أإقيم لهم نبيا •• ؟ ! بهمزتين أولاهما للاستفهام الانكارى • اى : لا أقيم لهم نبيا هذه صفته ، ويقولون ان همزة الاستفهام هذه محذوفة ولكنها مقدرة فكأنها موجودة ؟ !

وهذا نوع من التحريف لم يحملهم عليه الا خشية تمسك المسلمين به باعتباره بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم •

وأما النصارى فقد حملوه على أن المراد منه عيسى عليه السلام •• ؟ وما ذهب اليه اليهود باطل ، لان الأمر ولو كان مبنيا على الاستفهام الانكارى — كما يزعمون — لما كان للآية التاسعة عشرة التالية لهـذه العبارة معنى • وهـذا نصها •

« ويكون الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » فالآية نص فى الخبر والوعد وليست نفيا • وقد أحس اليهود أنفسهم بضـعف تخريجهم لها على الاستفهام الانكارى ولهـذا فانهم لا يمنعون أن تكون اثباتا ووعدا • ولكنها خاصة بنبى من انبيائهم : صموئيل أو يوشع • وكل هذا حملهم عليه تجريدها من البشارة برسول الاسلام •

وما ذهب اليه النصارى باطل — كذلك — لان عيسى عليه السلام من بنى اسرائيل وليس من اخـوتهم • ولانه لم يجىء بشريعة وموسى عليه السلام جاء بشريعة • والنبى الذى بشرت به عبارة التوراة تصف النبى المبشر به بوصفين : احدهما كونه من اخوة بنى اسرائيل لا منهم حقيقة • وكونه مثل موسى أى صاحب شريعة • وهذان الوصفان لا ينطبقان على عيسى عليه السـلام • ولا على غيره ممن حمل اليهود البشارة عليهم كصموئيل ويوشع لانهم — كلهم — من بنى اسرائيل لا من اخـوتهم — أى بنى عمومتهم — واذا انتفى حمل البشارة عليهم جميعا ، فان حملها حينئذ على رسول الاسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم • يكون هو المصير الذى لا ينازع فيه الا مكابر (١) •

والوصفان اللذان ذكرا فى البشارة متحققان فى رسول الاسـلام صلى الله عليه وسلم • فهو من ولد اسماعيل أخى اسحق أبى يعقوب الذى هو اسرائيل • فهو من « اخوتهم » وليس منهم • وهذا هو أحد شرطى البشارة •

---

(١) راجع كتاب : « هداية الحيارى •• » لابن القيم (ص ٥٢) ففيه كلام مفيد جدا فى هذا الصدد لا مجال لذكره هنا •

والثانى « المثلية » فى انه صاحب شريعة كموسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم كان « مثله » فى انه صاحب شريعة مع التفاوت بين الرسولين (موسى ومحمد صـــلى الله عليهما وسلم) وبين الشريعتين (اليهودية والاسلام) ، اذ بينهما فروق وفروق وكيف يرتضى النصارى حمل هذه البشارة على عيسى عليه الســلام وهى تقتضى أن يكون بشرا نبيا وهم يقولون إنه اله حى قيوم محيى مميت ديان ؟ أليس فى تمسكهم بهذا تناقض لا يخفى أمره على ذى نظر ؟ !

وجاء فى سفر التثنية الاصحاح الثالث والثلاثين آيات (١ ــ ٣) ما يأتى :

« وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله نبى اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سيناء ، واشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ... » .

وهذا النص يتضمن ثلاث نبوات : نبوة موسى ونبوة عيسى ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لان « جاء الله من سيناء » اشارة الى تكليم الله موسى من فوق جبل سيناء ، ومجىء الله هنا مجاز لا حقيقة : اى جاء أمر الله ، وسعير قرية مجاورة لبيت المقدس وهى اشارة الى نبوة عيسى عليه السلام .

اما « فاران » التى « تلألأ » منها الله ــ سبحانه ــ فهى مكة ، وهذه اشارة الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد تحايل النصارى لطمس البشارة بنبوة رسول الاسلام فادعوا أن فاران هذه هى « ايلات » من أعمال الشام وليست مكة وليس لهم من قصد سوى الاجتهاد لاثبات خلو الكتــاب المقدس من البشارة برسول الاســلام (١) .

ويذهب بعض علمائنا ــ نحن المسلمين ــ أن القرآن الكريم فى قوله تعالى « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » (٢) جاء تأكيدا وتعظيما للأماكن الثلاثة التى سطعت منها تلك النبوات؛ فالتين والزيتون كناية عن الأرض المقدســة التى ابتدأ منها عيسى عليه الســلام نبوته

(١) أنظر قاموس الكتاب المقدس (ص) .
(٢) سورة التين (١ ــ ٣) .

وطور سينين هو جبل سيناء الذى تلقى عليه موسى كلمات ربه والبلد الأمين. هو مكة مشرق الهداية ومهد محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

وفى مزامير داود من أسفار العهد القديم (التوراة) تكررت البشارات بنبى سيأتى . والاوصاف التى ذكرها داود فى مزاميره لا تنطبق على رسول الا على محمد صلى الله عليه وسلم . واليك بعض ما جاء فيها :

« تقلد سيفك ايها الجبار جلالك وبهاءك . وبجلالك اقتحم . اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف . نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك (يعنى الله شعوب تحتك يسقطون) (٢) .

فمن هو الذى تقلد سيفه ؟ ومن هو الذى سقطت تحته شعوب أو كل الشعوب . اليس هو محمدا صلى الله عليه وسلم . فكان الجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعداء الله بالسيف شريعة عنده . وقد اسقطت قوة الحق الذى جاء به كل الممالك التى كانت مجاورة كالفرس والروم وغيرهما وغيرهما .

وفى الآية السابعة عشرة من نفس المزمور يقول داود :

« اذكر اسمك فى كل دور فدور . من أجل ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبد » .

وفى هذا اشارة الى أمرين ليس لهما وجود فى الاسلام . أحدهما : كونه هداية ورحمة عامة للناس أجمعين . وثانيهما : كونه شريعة خالدة خلود الدهر والأبد .

ولنكتف ـ الآن ـ بهذا القدر من بشارات العهد القديم . لنذكر بعض ما جاء من هذه البشارات فى العهد الجديد « الأنجيل » وهى مازالت موجودة حتى الآن تتكرر فيها صفات محمد صلى الله عليه وسلم ونعوته سواء فى ذلك ما جاء على لسان عيسى كما تروى الأناجيل ، أو لسان غيره :

---

(١) أنظر كتاب « ارشاد الحيارى » لابن القيم ص ٥٣ .
(٢) المزمور الخامس والأربعون آيات (٣ ـ ٥) .

بشاراته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الانجيل

انا جيل العهد الجديد ورسائله حافلة بالبشارات التى لا أهل لها الا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ٠

وتلك البشارات تعلن مرة في صورة الوعد بملكوت السموات أو الله ومرة بالروح القدس ٠ ومرة أخرى بالعزى أو **الفارقليط (١)** الذى معناه الحامد أو الحماد أو المحمود ٠ أو الأحمد ٠ فمعنى هذه الكلمة « فارقليط » يدور حول الحمد ومشتقاته ٠

فى انجيل متى وردت هذه العبارة مسندة الى نبى الله يحيى ابن زكريا المسمى عند النصارى بـ : يوحنا المعمدان : « تربوا لانه قد اقترب ملكوت السموات » الاصحاح الثالث آية (١) ٠

فمن هو ملكوت السموات ؟ هل هو عيسى عليه السلام ـ كما يقول النصارى ـ ان متى نفسه يكذب هذا الادعاء ، لانه قد روى عن عيسى نفسه عليه السلام قوله : « توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات » الاصحاح الرابع آية (١٧) ٠

فلو كان المراد من قول يحيى هو عيسى عليهما السلام لما ساق عيسى نفس العبارة التى بشرت به ، لانه قد بعث فعلا ٠ فدل هذا بالقطع على أن عيسى عليه السلام لم يرد نفسه فى عبارته بل أراد ملكوتا آخر غيره ٠ ومن يكون هو اذن ؟ اذا لم يكن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ٠

نحن لا نقطع بأن البشارة التى بشر بها يوحنا هى لرسول الاسلام فمن الممكن أن تحمل على عيسى ٠ أم عبارة عيسى فلا تحمل الا على التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم ٠

ويروى متى صيغة الصلاة التى علمها المسيح تلاميذه ، وقد جاء « فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ٠ ليأت ملكوتك ٠٠ » الاصحاح السادس آيات (٩/١٠) (٢) ٠

فما هو ـ اذن ـ ملكوت الله الذى علمه المسيح عليه السلام تلاميذه أن يطلبوه من الله فى صلواتهم ٠ أيصح ان يقال انه هو عيسى وعيسى معهم يعلمهم ويرشدهم ٠ أم الحق انه كائن آخر غير عيسى عليه السلام ٠

---

(١) هى كلمة يونانية وردت فى بعض ترجمات الاناجيل ٠
(٢) وردت هذه الصيغة ـ كذلك ـ فى انجيل لوقا (١١/٢) ٠

ويذكر لوقا فى انجيله أن المسيح جمع تلاميذه وعلمهم كيف يقهرون الشياطين ويشفون الأمراض ثم يقول :

« وأرسلهم ليكرزوا — أى يدعوا ويعظوا ويبشروا — بملكوت الله » الاصحاح التاسع (آية ٢) .

وفى انجيل مرقس أن المسيح — نفسه — بدأ يكرز — يعنى يبشر — بملكوت الله بعد أن أسلم يوحنا — يعنى قتل — وهذا نصه :

« وبعد أن أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فآمنوا بالانجيل الاصحاح الأول آية (١٤ — ١٥) .

وفى انجيل يوحنا جاء قول المسيح عليه السلام :

« الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى ، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بما قلته لكم » الاصحاح الرابع عشر آيات (٢٤ / ٢٦) .

ويروى يوحنا فى انجيله قول المسيح الآتى وهـــو يتحدث مع تلاميذه :

« انه خير لكم ان انطلق .. ، ان لم انطلق لايأتيكم المعزى ، ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ... » لاصحاح السادس عشر آيتها (٧—٨) كما ينقل قوله الآتى :

« وأما اذا جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيه .. » الاصحاح السادس عشر آية (١٣) .

ومن هو المعزى ، وروح الحق أو الروح القدس الذى لا يأتى الا بعد ذهاب المسيح . فيخبر الناس بكل شىء ولا يتكلم من قبل نفسه بل بالذى يسمعه (يعنى من الوحى) من هذا الذى يرســـله الله (الآب) فيبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونه . ؟

ان هـــذه الأوصاف كلها لا محل لها الا أن يكون المقصـــود منها

البشارة بصاحب شريعة عامة تقرر كل ما جاء به الرسـل تبشر المؤمن وتنذر الكافر وترفع لواء الحق وتضع حلولا لكل شيء لانها هى الرسالة الخـاتمة ٠

انها شريعة الاسلام ٠ المنزلة علي محمد صلى الله عليه وسـلم ٠ أفليست هذه بشارات تضمنتها الأناجيل على اختلاف رواتها وكاتبيها ٠ ويؤيد هذا ما نقله يوحنا نفسه فى اصحاحه الخامس عشر آيتى ٢٦ ، ٢٧ وفيهما يقول :

« ومتى جاء المعزى الذى سارسله أنا اليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى ٠ وتشهدون أنتم أيضـا لانكم معى من الابتداء » ؟ !

وقد جاء القرآن الكريم شاهدا بصحة الرسالات التى تقدمت ومنها رسالة عيسى عبد الله ورسوله ٠ فعلام يتحمس مخرجو كتاب الاستحالة لنفى هـذه البشـارة وأناجيلهم بهـا ناطقة رغم محـاولات الطمس والتحـريف ٠٠ ؟ !

أما البشارة بلفظ « الفارقليط » فقد خلت منها الترجمة العربية للكتاب المقدس والتى انقل منها هـذه النصوص ٠ ومعلوم ان الكتاب ترجم وطبع عدة مرات ٠ حتى أن الترجمة العربية لتختلف من طبعة الى طبعة اختلافا بينا ٠

وجاءت كلمة « الفارقليط » فى طبعات أخرى غير التى تحت يدى ٠ فقد رأيت فى كتاب « ارشاد الحيارى » للعالم العـلامة الامام بن قيم الجوزية كلمة « الفارقليط » مكان كلمة « المعزى » فى الطبعة التى بين يدى كما رأيت فى كتاب « اظهار الحق » للشيخ الجليل رحمت الله الهندى نفس كلمة « الفارقليط » مكان كلمة « المعزى » وقد صرح الشيخ رحمت الله بانه نقل هذه الكلمة « الفارقليط » عن ترجمات عربية تمت فى لندن فى سنوات ١٨٢١ ، ١٨٣١ ، ١٨٤٤ ٠

وبمقارنة يسيرة ادركت ان الطبعات العربية التى تنتشر عندنا فى مصر وفى البلاد الاسلامية فيها كثير من الاحتياط والحذر لدى مترجميها وطابعيها بينما هى ترسل على سجيتها فى البـلاد التى لا ينتشر فيها الاسلام ٠ أو الطبعات القديمة او النسخ الخطية ٠

ولنقارن بين ما نقله ابن قيم الجوزية وبين ما هو موجود في الطبعة العربية التى تحت يدى .

اولا : نص الطبعة العربية المتداولة بيننا الآن :

« أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعـــل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ... » التثنية (١٨ / ١٨) .

ثانيا : نفس النص كما هو فى ابن قيم الجوزية ارشاد الحيارى ص ٥٠ :

« سأقيم لبنى اسرائيل نبيا من اخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه وأقول له ما آمرهم به ، والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا انتقم منه ومن سبطه » .

ولا يخفى على القارىء قوة النص المنقول لدى ابن القيم على النص المدون الآن فى الطبعة العربية المشار اليها .

وسيرا على هذا المنهج فان تلك الطبعة العربية قد خلت من كلمة « الفارقليط » لقوة دلالتها على البشارة برسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، لأنها ــ كما قلنا ــ تعنى الحامد أو الأحمد أو المحمود الخ ... ؟ ووصفت كلمة « المعزى » موضعها سدا للباب .

ولنقارن ــ كذلك بين ما ينقله الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابة اظهار الحق وبين ما فى الطبعة العربية التى ننقل نحن عنها .

يقول يوحنا فى الطبعة العربية التى بين يدينا الاصحاح الرابع عشر آيات (١٥ ــ ١٧) :

« ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصـــــاياى ، وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه . أما أنتم فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون فيكم » .

وما نقله الشيخ رحمت الله عن طبعات عربية تمت في لندن هـــذا نصـــه :

« ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وانا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبد .... »

« والفارقليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم » .

وبهذا يتضح أن كل موضع وردت فيه كلمة « الفارقليط » اثبت مكانها فى طبعتنا العربية كلمة « المعــزى » فرارا مما تسـببه كلمة « الفارقليط » للانجيليين من مضايقات . وخاصة فى هـذا العصر الذى تشطت فيه حركات التبشير (١) .

وأيا كان الأمر فان جميع النصوص قد اتفقت على أمرين :

احدهما : ان المعزى أو الفارقليط يعلم كل شيء وانه مرســل من عند الله .

وثانيهما : انه ماكث الى الأبد . وفى هذا دلالة واضـحة على أن المقصود من هاتين الكلمتين هو صاحب الرسالة العظمى الخالدة . وان هذه العبارات التى تضمنت أمر البشارة من بقايا الحق الذى جاء به من المسيح عليه السلام فى انجيله المنزل عليه قبل أن تتنازعه روايات الكتاب وقبل ان يتسرب اليه التحريف والتبديل .

ونعود فنقول بصراحة ان مخرجى الكتاب « كتاب استحالة تحريف الكتاب المقدس » لم يفظهم شيء مثلما غاظهم تمسكنا بورود البشارة بنبى الاسلام فى اسفارهم . فقد استبدت محاولة نفيهم لها فصولا مطولة من الكتاب المذكور . ونوجز للقارىء ملخصا وافيا لتلك المحاولة .

قالوا ، ويا لضعف ما قالوا :

١ — ان الكلمة اليونانية (٢) هى هى « باراكلينس ومعناه المعزى .

٢ — لمـاذا يسعى بعض الكتاب (٣) لاثبات نبوات عن رسول الاسلام من الكتاب المقدس فى الوقت الذى يهاجمون فيه الكتاب المقدس ويتهمونه بالتحريف . ولمـاذا لا يتهمونه بالتحريف فى هـذه الآيات التى يتصورون خطأ انها تشير الى رسول الاسلام ؟ ! .

---

(١) اظهار الحق (ص ٥٣٨) تحقيق د. احمد حجازى السـقا . نشر دار التراث .

(٢) يقصدون كلمة « فار قليط » .

(٣) يعنون الكتاب « المسلمين » .

٣ ـ من المستحيل ان يكون الروح القدس هو رسول الاسلام ٠٠٠ لانه جاء عن الروح القدس أو الفارقليط انه روح ٠٠ ورسول الاســــلام كان له جسد ٠

ولان الأرواح لا يتزوجون ولا يزوجون لعدم وجود الجسد ٠٠ ومن المعروف أن رسول الاسلام تزوج وهو حى عدة مرات ٠٠ ؟ !

وان المسيح قال سيرسل الروح القدس معزيا للتلاميذ وفعلا حل فيهم ورسول الاسلام لم يكن حينذاك موجودا ٠

وأن الروح القدس سيمكث الى الأبد ورسول الاسلام مات ؟ ! ٠

وان الروح القدس يشهد للمسيح ويمجده ورسول الاسلام لم يشهد للمســــيح بالالوهية ٠ بل جعله مجرد عبد ورســـول مثل باقى الناس والأنبياء ؟ !

وهل يقبل المسلمون النتائج المترتبة على هذا ومنها أن الســـيد المسيح هو الذى ارسل رسول الاسلام ٠

ومنها ان الروح القدس لا يتكلم من ذاته بل يأخذ مما للمسيح فهل يقبل المسلمون أن يكون رسولهم يتكلم بوحى من السيد المسيح ٠٠ وفى هذه الحالة يكونون ـ يعنى المسلمين ـ قد اعترفوا ضمنا بأن السيد المسيح هو الله وان رسولهم هو رسول السيد المسيح (١) ٠

دفعنا لهذه الشبهات :

ونقول لمخرجى كتاب « الاستحالة » نعم نحن متمسكون رغم كل هـذه المحاولات والتخويفات التى تثيرونها ٠ متمســـكون ومصرون بأن هـذه البشارات لرسول الاسلام ٠ ولن نتحمل فرضا واحدا مما فرضتموه مرتبا على هـذا التمسك ٠ ونرد عليكم شبهاتكم فنقول :

١ ـ لو كانت الكلمة « فارقليط » هى « باراكليتس » كما تدعون فلماذا لم تكن هى الموجودة فى تلك الترجمات بدل هذه الكلمة الدخيلة ؟ وحتى لو كانت كما تدعون هى التى معناها « المعزى » فالمعزى = الفارقليط

---

(١) انظر كتاب : « استحالة تحريف الكتاب المقدس » ص ١٠٢ ـ ١٠٦ طه ثانية ٠

لأن الأوصاف التى وصف بها كل منهما ليس لها موضع الا رسول الاسلام .

٢ ــ نحن لا نقول ان كل ما جاء فى الكتاب المقدس باطل ومحرف . ولكن الذى نقوله ، وقد اثبتناه بالدليل القاطع أن بعضه محرف وبعضه حق ومن الحق الباقى فيه هو « تلك المواضع » التى تبشر برسول الاسلام وحتى هى فقد أصابها نصيب من التحريف ولكنه لم يطمس كل معالم الحق الذى يفهم منها .

٣ ــ ليست جسدية رسول الاسلام بمانعة من وصفه بالروح القدس ، لأن المراد بهذا الوصف هى « النبوة والهداية » ونشير عليكم بدراسة المجاز اللغوى حتى لا تقعوا فى مثل هذه المآزق .

وما دام الأمر ــ كذلك ــ فمن السهل أن تدركوا أن الروح اذا جرت وصفا على انسان فله أن يزوج ويتزوج .

اما كون روح القدس قد جاء وحل فى التلاميذ بعد خمسين يوما من رفع المسيح . فهذا يبطله ما جاء فى الكتاب نفسه من كون الروح القدس باق الى الأبد . فأين هم تلاميذ المسيح الآن .

أما ان الروح القدس يشهد للمسيح . فقد شهد له رسول الاسلام بأنه عبده ورسوله . بل شهد له القرآن بما لم تضمنه اناجيلكم بأنه وجيه فى الدنيا والآخرة ؟ !

أما معنى أن الروح القدس لا يتكلم من عند نفسه بل يأخذ مما للمسيح . ان معنى هذا هو ان كلا من عيسى ورسول الاسلام صلى الله عليهما وسلم رسولان موصى اليهما كسائر الرسل . وقد صرحتم أنتم فى أناجيلكم كما نقلنا عنكم قبلا ان المسيح قال : وانا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » ونصوص أخرى كثيرة مبثوثة فى اناجيلكم تؤكد هذا المعنى . وليس معناه ــ يا سادة ــ ان المسيح هو صاحب الوحى حتى يكون هو :

الله ... ؟ !

وحتى يكون رسولنا هو :

رسول السيد المسيح .. ؟ !

ونعود فنضع امامكم هذا النص مرة اخرى : « وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله » .

ونقول لكم :

اما أن تسلموا لنا ولكم بـ « معطيات » هـذا النص وهى :

١ ــ المسيح عليه السلام (انسان) ..

٢ ــ موحى اليه من الله . فهو شيء . والله شيء آخر . واذا سلمتم بهذه « المعطيات » فقد ضاقت هوة الخلاف بيننا وبينكم .

واما ان ترفضوا هـذه المعطيات . ومعنى هـذا هو انكم تكذبون كتابكم فكيف يستساغ لكم ان تسـموه « مقدسـا » ؟ ! وانتم لا تثقون فيه ؟ !

وبقيت ملحوظة واحدة جديرة أن يقف عليها القارىء وهى :

ان مخرجى كتاب الاسـتحالة يستشهدون على « تزوير انجيل برنابا (١) » بمقال للأستاذ عباس محمود العقاد نشر فى جريدة الأخبار فى ١٩٥٩/١٠/٢٦ وعلى طريقة القوم فى بتر النصوص فقد نقلوا من مقال الأستاذ العقاد هـذه الفقرات :

« انما نشك فى كتابة برنابا لتلك العبارات ، لانها من المعلومات التى تسربت الى القارة الأوروبية نقلا عن المصادر العربية . وليس من المـألوف ان يكون السيد المسيح قد أعلن البشـارة أمام الألوف باسم « محمد رسول الله » ولا يسجل هذا الاعلان فى صفحات الانجيل . كذلك تتكرر فى هـذا الانجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودى المطلع على كتب قومه

---

(١) انجيل برنابا من الأناجيل المحرمة قراءتها عند النصارى ، لان فيه تصريحا بالاسم بمبعث محمد رسول الله صلى اللهعليه وسلم . وقد وجد مخطوطا باللغة الايطالية . وترجم الى الانجليزية ثم نقله الى العربية الدكتور خليل سعادة الى العربية سنة ١٩٠٨ . ولمـا كان هذا الانجيل يتعرض لذكر حقائق تختلف مع عقائد النصارى فقد حرمته الكنيسـة قراءته . وهم يضمرون له عداء شـديدا مع ان برنابا هذا من تلاميذ المسيح البارزين .. ؟

ولا يرددها المسيحى المؤمن بالأناجيل المعتمدة من الكنيسة الغربية ولا يتورط فيها المسلم الذى يفهم ما فى انجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن ... (١) » .

نقلوا هذه الفقرات لانها تفيدهم فيما يأتى :

١ ـ ان الاستاذ العقاد الكاتب الاسلامى الذائع الصيت ينفى أن يكون فى الانجيل بشارة برسول الاسلام . ويعتمد فى ذلك النفى على أن المسيح نفسه لم يبشر به ، اذ من غير المألوف أن يبشر به أمام الالوف ولا يسجل هذا الاعلان فى الانجيل ؟ .

٢ ـ ويفيدهم كذلك فى أن انجيل برنابا مدسوس محدث لم يعرف او لم يكتب الا بعد القرن الخامس عشر الميلادى . لان هذا هو رأيهم فى هذا الانجيل .

وقد رجعت الى ما كتبه الأستاذ العقاد فى المقال المشار اليه وقرأت ـ بوعى ـ المقال كله . وتبين لى أن الأستاذ العقاد قد كتب فى ذلك المقال ما لو صرح به مخرجو كتاب الاستحالة فى كتابهم لتهدم ما بنوه ، ولما بقيت لهم حجة أو قل شبهة يتمسكون بها ، لان الاستاذ العقاد يعارض بقوة البرهان ما يثبته مخرجو الكتاب منذ عشرين عاما ما كتبوه هم منذ عامين . ويظهر ذلك فيما يأتى :

أولا : ان الأستاذ العقاد لم ينف أصل البشارة أساسا ، وانما الذى ينفيه هو أن يكون المسيح قد اعلن البشارة هكذا « محمد رسول الله » اى مصرحا بالاسم والرسالة على أن يكون الاسم المصرح به هو « محمد » .

على ان مخرجى كتاب « الاستحالة » قد تعمدوا تحريفا فى نص الاستاذ العقاد الذى تقولوه فقالوا : « ... ولا يسجل هذا الاعلان فى صفحات الانجيل » بينما الذى قاله العقاد « .. ولا يسجل هذا الاعلان فى غير صفحات هذا الأنجيل » ؟ ! والفرق بين الصياغتين واضح . ؟ !

ثانيا : يذهب مخرجو كتاب الاستحالة (٢) أن انجيل برنابا لم يكن موجودا حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى . بينما يبطل العقاد هذا القول . واليك نصه حرفيا من المقال المذكور :

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس ص ١٣٩ .

(٢) انظر (ص ١٣٥) .

« والحقيقة أن هذا الانجيل لم يكن مجهولا قبل القرن الخامس كما وهم بعض العلماء الأوربيين ، وتابعهم فى ذلك الدكتور خليل سعادة (١) ، لان الاشـــارة اليه وردت فى كتابات أوريجين وكلمنت ويوسبيوس وابرنيموس ولاردنر ، ومنهم من اقتبس منه وروى عنه . فهو ولا ريب قد كان معروفا فى القرن الثانى للميلاد » ؟ !

العقاد يقول : انجيل برنابا كان موجودا ومعروفا فى القرن الثانى الميـــلادى .

ومخرجو كتاب الاستحالة يقولون لم يوجد ولم يعرف الا فى القرن الخامس عشر الميـــلادى أى الفـــرق بين الرأيين هو اثنا عشر قرنا (١٢٠٠ سنة) وما هو الفرق الهين . ونسأل فنقول من منهم هـــو المصيب ، ومن المخطىء ؟ .

ونقول أن المصيب هو العقاد لان الذين أشاروا الى هـــذا الانجيل واقتبسوا منه ورووا عنه عاشوا فى القرنين الثانى والثالث الميلادى . وهم من آباء المسيحية الأسبقين .

ولا شك عندنا أن مخرجى كتاب الاستحالة قد قرأوا مقال الاستاذ العقاد كله قبل أن ينقلوا منه ما نقلوا . فلماذا لم يذكروا ــ ولو تلخيصا ــ كل ما جاء فيه ويناقشوه مناقشة علمية ويثبتوا بطلان رأيه فى قـــدم انجيل برنابا ؟ ! .

والذى لا شك ــ فيه أيضا ــ أن قوة الدليل الذى بنى عليه العقاد رأيه هو وحده المسئول عن اغماض العين عما كتب ويا للمرارة ما كتب .

ثالثا : ان العقاد مع اثباته لقدم انجيل برنابا فانه يتشكك فى بعض العبارات التى وردت فيه ولا يتشكك فيه كله . وهـــذا ظاهر حتى من الفقرات المنقولة فى كتاب الاستحالة ..

رابعا : ان الاستاذ العقاد يرجع السبب فى عداء الكنيسة لهـــذا الانجيل لمخالفته للأناجيل الأخـــرى فى الحقائق التى يذكرها ولهذا لم تعتمده الكنيســـة كما اعتمدت غيره من الأناجيل وننقل للقارىء نص العقاد فى بيان السبب الذى دعا الى اضافة زيادات على انجيل برنابا

---

(١) هو مترجم انجيل برنابا من الانجليزية الى العربية كما تقدم .

الحقيقى • وهو نص يلقى ضوءا صافيا ومفيدا فى هــذا المجال • يقول العقاد « ولهذا يخطر لنا أن الزيادات قد اضيفت بقلم كاتب لم يقصــد ترويج هذا الانجيل بين اليهود أو المسيحيين أو المسلمين ، ولكنها زيدت لالقاء الشبهة عليه ووقف سريانه بين طائفة من الطوائف ، حذرا من ظهور نسخة أخرى تقل اسباب الشك فيها فيسهل قبولها والاستناد اليها » ؟ !

وبعد هذا الكلام الجميل نسأل : من هو المستفيد من تشويه سمعة انجيــل برنابا • ومن هم الذين يشــوهون ســمعته بالفعل ؟ وعلى ضوء الاجابة على هذا السؤال يعرف الذى قام باضافة تلك الزيادات ؟ أليس كذلك •

● موقف النصوص الانجيلية من دعوى عدم التناقض :

لدعوى عدم التناقض فى نصوص الكتاب المقدس أهمية خاصة عند مخرجى كتاب الاستحالة ، لان هذه الدعوى — لو صــدقت — لترتب عليها — عندهم — سلامة الكتاب المقدس — نفسه — من التحريف • ولو صدقت دعوى سلامته من التحريف لكذبت عقيدة المسلمين — حينئذ — ولتسرب الكذب الى المصادر الاسلامية الوثيقة التى استقوا منها تلك « العقيدة » وفى مقدمتها القرآن الكريم •

فما هو موقف النصوص الانجيلية من هذه الدعوى « الأم » اذن ؟ !

والواقع الذى لا يجحد أن نصــوص الانجيل تثبت ذلك التناقض من وجهين :

الأول : تناقضها مع نفسها •• ؟ !

والثانى : تناقضها مع نصوص التوراة •• ؟ !

واليكم الأدلة من واقع النصوص نفسها :

أولا : تناقض النصوص الانجيلية مع نفسها :

شهادة حق •• شهادة المسيح ليست حقا •• ؟ !

فى انجيل يوحنا وقع تناقض حول شهادة المسيح لنفسه • فمرة ينقل يوحنا عن المسيح ان شهادته لنفســه حق • ومرة ينقل عنه أن شهادته لنفسه ليست حقا • واليكم النصوص :

« اجاب يسوع وقال لهم وان كنت اشهد لنفسى فشهادتى حق ،

« لانى اعلم من أين أتيت . والى اين أذهب .. » انجيل يوحنا الاصحاح الثامن آية (١٤) .

وقال المسيح فى الاصحاح نفسه آية (١٨) .

« أنا هو الشاهد لنفسى . ويشهد لى الآب الذى أرسلنى » .

وجاء فى انجيل يوحنا نفسه الاصحاح الخامس الآيتين (٣١ — ٣٢) قول المسيح الآتى :

« ان كنت أشهد لنفسى . فشهادتى ليست حقا . الذى يشهد لى هو آخر ، وانا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق » ؟ !

هذا ما ورد فى انجيل يوحنا . فأيهما هو الصحيح . حقية شهادة المسيح لنفسه أم عدم حقيتها .. ؟ ! . أليس هذا تناقضا .

المسيح لا يقبل شهادة من انسان .. ويقبل شهادة من انسان :

جاء فى انجيل يوحنا الاصحاح الخامس آية (٣٤) قول المسيح كما يرويه يوحنا :

« وأنا لا اقبل شهادة من انسان » . ومعنى هذه الآية أن المسيح لا يقبل شهادة الانسان أبدا . ثم جاء فى نفس انجيل يوحنا الاصحاح الخامس عشر الآية (٢٧) قول المسيح الآتى وهو يتحدث مع تلاميذه .

« وأنتم تشهدون لى أيضا ، لانكم معى من الابتداء » .. ؟ !

فكيف يشهد التلاميذ له وهم من « الانسان » الذى يرفض المسيح شهادته له .

وأيهما الصحيح قبول المسيح شهادة الانسان أم عدم قبولها له ؟ ! أو ليس هذا تناقضا .. ؟ !

المسيح له كل الدينونة .. المسيح ليست له دينونة :

وجاء فى انجيل يوحنا — أيضا — أثبات كل الدينونة : لعيسى عليه السلام كما جاء فيه نفى تلك الدينونة عنه . واليكم النصوص :

« لان الآب لا يدين أحدا ، بل اعطى كل الدينونة للابن » ؟ ! الاصحاح الخامس آية (٢٢) .

« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا ، لانه ابن الانســـان » ؟ ! نفس الاصحاح آية (٢٧) .

أما النصوص النافية لدينونه ، المسيح فهى :

« وان ســـمع أحد كلامى ولم يؤمن بى فأنا لا أدينه ، لانى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » يوحنا الاصحاح الثانى عشر آية (٤٧)
« لانه لم يرســـل الآب ابنه ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم » ؟ ! الاصحاح الثالث آية (١٧) .

فأيهما هو الصحيح اثبات الدينونة للمسيح ونفيها عن الله . ام نفيها عن المسيح واثباتها لله ؟ ! أو ليس هذا تناقضا .. ؟ !

المسيح يضـــع الســـلام على الأرض .. المسيح لا يضع الســـلام بل النار والسيف :

اشتهر عن المسيح عليه السلام بأنه رسول الســـلام . والواقع أن الرسل جميعا رسل سلام لان هدفهم واحد هو اقرار الحق . ومما ترويه الاناجيل عن السيد المسيح عليه السلام ما جاء فى انجيل متى الاصحاح الخامس آيات (٣٩ — ٤٤) قوله :

« وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خـدك الأيمن فحول له الأيسر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء . ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . من ســـألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ... أحبوا أعداء لم . باركوا لاعنيكم . احسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يســـيئون اليكم ويطردونكم » .

وجاء فى انجيل متى نفسه الاصحاح العاشر آية (٣٤) ما يناقض هذا المبدأ تماما اذ يقول المسيح كما يروى متى فى الموضـــع المذكور : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى ســـلاما بل سيفا » ؟ !

ويقول فى الآية الخامسة والثلاثين من نفس الاصحاح : « فانى جئت لأفرق الانســـان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان اهل بيته » ؟ !

ويروى لوقا فى انجيله الاصحاح الثانى عشر الآيات (٤٩ — ٥٣)

ما هو أكثر تناقضا ومعارضة لمبدأ السلام الذى اشتهر به السيد المسيح عليه السلام • واليكم نص لوقا حرفيا :

« جئت لألقى نارا على الأرض • فماذا اريد لو اضرمت • ولى صبغة اصطبغها • وكيف انحصر حتى تكمل • اتظنون انى جئت لأعطى سلاما على الأرض • كلا ٠٠ ؟ ! • اقول لكم • بل انقساما لانه يكون من الأن خمسة فى بيت واحد منقسمين : ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة : ينقسم الأب على الابن • والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم • والحماة على كنتها والكنة على حماتها » ؟ ! فهل يستقيم هـــذا الكلام : دعـــوى الى السلام • ثم وضـــع النار والسيف والانقسام على الأرض •

اى المبداين وضعه المسيح • واى الكلامين هو الصحيح ٠٠ اليس هـــذا تناقضا يا هوه ٠٠ ؟ !

ونكتفى بهذا فى اثبات التناقض بين نصوص الأناجيل نفسها مع أن فيها الكثير جدا من هذا القبيل • وما اردنا الى ضرب المثل فما هو اذن التناقض الواقع بين العهدين القديم والجديد ؟ ! ذلك ما سوف نراه .

ثانيا : تناقض الأناجيل مع التوراة :

ونصور هذا التناقض — قصدا للايجاز المفيد — فى موضع واحد من الأناجيل فيه الدعوى والدليل •

جاء فى انجيل متى الاصحاح الخامس ما يأتى :

« وقيل من طلق امراته فليعطها كتاب طلاق • واما انا فأقول لكم ان من طلق امراته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى • ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى » آية (٣١) وما بعـدها •

« أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة ٠٠٠ » آية (٣٣ — ٣٤)

« سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن وأما انا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ٠٠٠ » آيات (٣٨ — ٤١) •

أليس فى هذا نقض لشريعـــة موسى المعبر عنها بقيل للقدماء ؟ !

فالطلاق فى الموسوية جائز بلا قيد فأبطلته النصرانية ذلك الجواز العام وحصرته فى علة الزنا ٠

وزواج المطلقة جائز فى الموسوية وهو فى النصرانية محظور بل هو زنا ٠

والحلف جائز فى الموسوية ممنوع فى النصرانية ؟ ٠

والقصاص جائز فى الموسوية بل هو واجب ٠ وقد الغيتموه فى النصرانية ٠

بل ان المسيح قد أحل السبت وعمل فيه ٠ وهو عطلة أسبوعية فى الموسوية ٠

بل انكم أوردتم على لسان المسيح تهجمه على الرسل السابقين عليه جميعا فقلتم انه قال :

« انى أنا باب الخراف ٠ جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص » يوحنا الاصحاح العاشر آيتا (٧ ـ ٨) ٠

وفى نفس الوقت يستشهد المسيح بأنه مكتوب عنه فى الأنبياء فاذا ابيتم أن يكون هذا ، أو بعضه تناقضا فهو على الأقل نسخ وسواء كان تناقضا أو نسخا فأنتم محجوجون به لانكم رويتم عن عيسى عليه السلام قوله : « لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ٠ ما جئت لأنقض بل لأكمل » متى الاصحاح الخامس (١٧) ٠

ونحن لا نستبعد أن يكون هذا هو قول المسيح ٠ بل يجب أن يكون قوله ولكن الذى نستبعده أن يخرج المسيح عن الناموس أو الأنبياء أو يقول : « جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص » ؟ !

وحسبنا وحسبكم هذا ٠٠ والله نسأل ـ مخلصين ـ أن يهدينا الى الحق الذى يرضاه ٠ فهو وحده الذى يفصل بيننا فيما نحن فيه مختلفون ٠ وأعملوا على شاكلتكم فانا عاملون ٠٠ ؟ !

القسم الثالث

وثيقة : أى الاثنين أقدر ‥ ؟ !

عرض ‥ ونقد

لقد استباح واضعوا هذه الوثيقة لأنفسهم فى التهجم على رسول الاسلام محمد بن عبـد الله ــ صلى الله عليـه وسلم ــ ما لم يستبحه واضعوا الوثيقتين السابقتين . وان كانت الوثيقة الثانية « استحالة تحريف الكتاب المقدس » قد خطت خطوات فى هـذه « الاستباحة » ولكنها لم تبلغ ما بلغته هذه الوثيقة (١) .

مدخل الهجوم :

بدأت هذه الوثيقة بمدخل للهجوم على رسول الاسـلام ، قدمته بتمهيد أشارت فيه الى بعض الحقائق التى يؤمن بها المسلمون والمسيحيون على حد تعبيرها . وبعد ذلك التمهيد القصير قال واضعوها (٢) :

« ولكن اخواننا **المسلمون** يذهبون الى أكثر من ذلك ، فهم يضيفون أن بعد عيسى جـاء محمد ، وأنه خاتم الأنبياء ، واعظمهم ، وأن دينه هو دين الحق ، وأن من يتبعه فسوف ينجو من يوم الحساب ، ويجيب المسيحيون ويقولون : لا . لان عيسى هو خـاتم الأنبياء ، وانه اعظمهم وأفضلهم ، وبفضله ــ فقط ــ تنجو البشرية » .

ويردف واضعوا الوثيقة فيقولون :

« لهذا يكون الفرق بين وجهتى النظر هو أن المسيحى يؤكد ان عيسى هو خاتم الأنبياء ، فى حين أن المسلم يصر على العكس أنه محمد .. فلماذا **لا نقارن بين وجهتى النظر ونتقبل اعظمهما شأنا » ؟ ! . ! ــ هـ**

كان هذا هو المدخل . ثم بدأت أولى خطوات الهجوم كما يأتى :

مرحلة الولادة :

قارن واضعو الوثيقة بين مولدى رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام . أما مولد عيسى فهو معجزة فائقة اكسبته طهـارة وقداسة .

---

(١) وضعنا فى المقدمة تعريفا وافيا بهذه الوثيقة ، يحسن بالقارىء أن يعود اليها قبل الأخذ فى القراءة هنا .

(٢) سنثبت النص كما هو وارد فيها بما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرين اليها بالبنط الثقيل :

وأما مولد محمد صلى الله عليه وسلم فاسمع ما يقوله عنه واضعو وثيقة المقارنة .

« .. ان محمد ولد عن أب اسمه عبد الله ، وسيدة اسمها آمنة ، ولم يكن هناك شيء عظيم يبشر بولادته . وظل بعد ولادته عدة سنوات ، لم تحدث خلالها معجزة ، حتى بلغ الأربعين عاما ، حيث ادعى نزول الملاك جبريل عليه ، وتحدثه معه ، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن هناك ما يبشر بأن محمدا سيكون نبيا من العظماء . وصحيح ان بعض الجهلة من المسلمين يروون القصص الخرافية حول ولادة النبى محمد (!) ولكن المسلم الذكى لا يجهل أنه لا يوجد فى القرآن مثل هذه الخرافات ! وأن هذه الاساطير ألفت فيما بعد » ؟ !!

ثم يتوجه واضعوا الوثيقة الى المسلمين بهذا النداء :

«فيا أيهــا المسلمون : انكم تدعون أن القرآن كلام الله ؟ ! لذلك فعليكم أن تعترفوا بأن ولادة المسيح كــانت تمثل حــادثا عظيما .. أن المسيحيين لا يقبلون القرآن ، ولكنهم يتقبلون الانجيل الذى تنبأ بهــذا الحدث » ؟ !

وحصيلة ما فى هذه الخطوة من مزاعم :

● كل من يولد من بشرين فهو وضيع آثم . ومن هؤلاء رســـول الاسلام ؟ !

● وولادة رسول الاسلام لم تصحبها مبشرات .. ؟ !

● ومحمد رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم لم يقم بمعجزات حتى بلغ الأربعين ؟ !

● رسول الاســـلام ادعى أن جبريل نزل عليه وجــــاءه بوحى من الله .. ؟ !

● المسلمون امـــام هذه المعجزات قسمان : جهلة يروون المعجزات حوله .. ؟ !

وأذكياء يدركون أنها ضرب من التخريف لخلو القرآن منها .. ؟ !

● المسلمون يدعون ان القرآن كلام الله فعليهم أن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى كمــــا جاء فيه . ؟ !

● المسيحيون لا يقبلون القرآن وانما يتقبلون الانجيل الذى تنبأ بهذا الحدث ٠٠ ؟ !

ونواجه ــ الآن ــ النقطتين الأخيرتين ــ مطالبتا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى عليه السلام ٠ ثم نقطة تنبؤ الانجيل بها ٠ مرجئين بقية النقاط قليلا فسيعود واضعو الوثيقة اليها ــ أيضا ــ بعد قليل ٠

مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى : ؟ !

يطالب واضعوا الوثيقة المسلمين بأن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى وقد بنوا هذه المطالبة على أساس أن المسلمين « يدعون أن القرآن كلام الله ٠» ؟ ! يدعون هكذا ٠ وما دام هذا القرآن المدعى (؟ !) قد أشاد بحادث ولادة عيسى ابن مريم ٠ فعلى المدعين ، وهم المسلمون ، أن يسلموا بعظمة تلك الولادة بنـــاء على ادعائهم أن القرآن كلام الله ؟ !

ذلك ما يقوله واضعوا الوثيقة وهم يحاورون خصومهم ٠٠ ؟ !

وكـأن أدب الجدل والحوار الموضوعى يقتضى منهم ــ لو كانوا حقا موضوعيين فى حوارهم ــ أن يقولوا « يؤمنون » بدل « يدعون » لان الايمان بكون الله هو الذى أنزل القرآن ــ هو معتقد المسلمين وليس الادعاء كما يقول واضعوا الوثيقة الوقائية الحاقدة وقصدهم من هذا « الشطط » أو قل : الحمق والسفه ٠ أن يحرجونا فى حلبة الصراع ٠ وأن يكون جوابنا واحدا من اثنين وعلى كليهما فنحن المدانون ٠

● اذا قلنا لا نعترف بما تطالبوننا به فقد خرجنا عن تصديق وحى الله الينا ٠ وهذه كارثة يتمناها واضعو الوثيقة الحاقدة ٠٠ ؟

● واذا قلنا نعترف قالوا فلم المكابرة والتمسك برسول الاسلام وها أنتم توافقوننا فى عقيدتنا ٠٠ وهذا احراج يؤدى بنا الى كارثة أخرى يتمناها واضعو الوثيقة ٠٠ ؟ !

ولسنا فى هذه وتلك ــ يا سادة ــ فى موقف المجادل الذى يتخير الرد لكى يفحم خصمه ٠ كلا والله ٠ ولكننا قوم مؤمنون بحقيقة نعلنها دائما ولا نخفيها ولا نخشى عقبى الجهر بها مهما كانت منزلتها عندكم فى حسابات الربح والخسارة ان ايماننا بأن مولد عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله كان « معجزة » حقيقة لا يمارينا فيها أحد ٠

ولن يحملنا جهل الجاهلين على التنكر لها مهما يرعوا فى أساليب

المكر وحيل الاستفزاز ، ومهما أنساهم حقدهم على رجل « آتاه الله من فضله ، وكــان فضل الله عليه عظيما » مهما أنساهم ذلك الحقد أدب الحوار وموضوعية الحديث ٠

اننا نؤمن بأن ولادة عيسى ابن مريم كانت معجزة ٠ ولكنها معجزة قد صنعها الله ولم يصنعها هو ٠ وهو دليل على قدرة الله لا على قدرة أحــد سوى الله ٠

اننا نؤمن بجلال هذه المعجزة التى أيد الله بها عبده ومربوبه ومخلوقه عيسى عليه السلام ، كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الباهرات ٠ ومع ايماننا بهذا لا نضع عيسى عليه السلام الا فى موضعه الذى وضعه فيه خالق الكائنات ٠ عبد من عباد الله حملته سيدة بارة باذن الله وأمر منه فعاش كما يعيش البشر فى طبيعتهم يأكل ويشرب ويصحو وينام ويشعر ويتألم وان فضله الله على معاصريه بالوحى والرسالة ٠٠ ؟ ! ومع ايماننابأن ولادة عيسى عليه السلام كــانت معجزة ٠٠ فاعلها هو الله نؤمن بأن لله معجزات أخرى ادخل فى باب الاعجاز من المعجزة التى صاحبت ميلاده ٠ فخلق حواء من آدم ادخل فى باب الاعجاز عند العقل من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام ٠

ومعجزة خلق الله آدم أبا البشر ادخل فى باب الاعجاز عند العقل من معجزتى حواء وعيسى وان كابر مكابرون ؟ ! ٠

وكون عيسى هكذا ولد ٠٠ وكونه كان يحيى الموتى باذن الله ، ويبرىء الأكمة والأبرص باذن الله : كونه ــ هكذا ــ فليس هو بأفضل من جميع الرسل ٠ فضلا عن أن يكون الاها ٠ فالأفضلية لها معايير أخرى فى هذا المجال ــ كما ستعرفون ــ بعد قليل ــ وما من معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام الا وقد أيد بمثلها أو بما هو أكثر اعجازا منها رسلا آخرين ٠ وقد ذكرنا من هذا القدر الكافى فى غير هذا الموضع ٠

فلسنا نحن الذين نطالب بالاعتراف ، لاننا مؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبــه واليوم الآخر ، لا نفرق بين أحــد من رسله ونحن له مسلمون وعابدون ٠ ؟

وايماننا هذا ــ بكلياته وجزئياته ــ لا مجاملة فيه لأحد ، ولا رهبــة من أحد ، وانما هو ايمان لحسابنا الخاص ، لاننا تلقيناه من مصدر صادق

أمين متصف ، عن صادق مصدوق ، لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .

ولو اننا أدرنا هذا السؤال ــ المطالبة بالاعتراف ــ على الذين وجهوه لنا . فهل نحن واجدون لديهم شجاعة أدبية يحميها رصيد صحيح من عقيدة قويمة أم الافلاس أو الشطط هو الذى سيكون سيد الموقف .. ؟ !

يحكى أن « بعوضة » جلست على طرف غصن من شجرة «جميز» ضخمة مترامية الأطراف . ثم أرادت أن تطير ، وكانت تحسب أن طيرانها سوف يقتلع الشجرة من جذورها أو يحدث بها على الأقل ــ تلفا . فقالت تنصح الشجرة قبل أن تطير :

أيتها الشجرة تماسكي جيدا فقد عزمت على الطيران .. ؟ !
وكان رد الشجرة : وعلى أى وريقاتي انت تجلسين .. ؟ !

وصدق الله اذ يقول :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا : ثلاثة ؟ ! انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ؟ ! له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيــلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبــدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليــه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأمــا الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » (١) .

تنبؤ الانجيل بولادة عيسى .. ؟ !

لا تستغرب ــ أخى القــارىء ــ من هذا العنوان ، ولا تسىء الظن بنا أننا نفتريه على واضعى رثيقة الحــــقد . فان نصهم يقول بالحرف الواحد :

« ان المسيحيين لا يقبلون القرآن ، ولكنهم يتقبلون الانجيل الذى تنبأ بهذا الحدث ... »

وموضع هذا النص هو الحديث عن عظمة ولادة عيسى . بل ان واضعى الوثيقة الحــاقدة اشاروا الى موضع ورودها فى الانجيل (٢) . فهاهم

---

(١) النســاء (١٧٣/١٧١) .
(٢) انجيل لوقا الاصحاح الأول الآيات (٢٨ ــ ٣٦) من العهد الجديد .

اذن يقولون ان الانجيل تنبأ بذلك الحدث ٠ أى ولادة عيسى عليه السلام٠٠؟!

وهذا كلام ان أخذته بالطول وجـــدته غير مستقيم ٠ وان أخذته بالعرض وجدته غير مستقيم ٠ وان أخذته بالطول والعرض معا وجدته غير مستقيم ٠

كيف ٠٠٠ ؟ !

لان التنبؤ بشيء معناه الاخبار بأمر سيكون قبل أن يكون ، ولا معنى للتنبؤ غير هذا فى أية لغة يعرفها الانسان ، لان تنبأ : تفعل أى تعاطى النبأ قبل أن يكون ٠ وهو قريب من « تصـــنع » الشيء تكلفه لان الأصل فى الاخبار أن يكون عما كان ٠ فـــان كان عما يكون فهو تنبؤ وليس باخبار قطعـــا ٠

وعلى هـــذا فان « المتنبيء » لابد ان يكون سابقا فى الوجود على « المنبأ به » ضرورة ٠

وتطبيق هذا القانون على ما نحن فيه محتاج الى هذا البيان :

أولا : ولد عيسى عليـــه السلام ثم نشأ كما نشأ الأطفال حتى بلغ رشده ٠

ثانيا : انزل الله وحيه على عيسى وارسله رسولا الى بنى اسرائيل ٠ ووحى الله الى عيسى هو المسمى « الانجيل » كما سمى وحى الله السابق عليه على موسى « التوراة » وسمى وحى الله النازل على محمد صلى الله عليه وسلم « القرآن » وهو آخر وحى لله ٠

وبعد هذا البيان نسأل واضعى وثيقة الحقد :

كيف يتنبأ الانجيل ــ اذن ــ بولادة عيسى ، وعيسى عليه السلام كان قبل أن يكون الانجيل ٠ ؟

أيهما اسبق يا قوم عيسى ام الانجيل ؟ ! قطعا لن يكون جوابكم أن الانجيل أسبق وجودا من عيسى ٠ مع أن هذا هو شرط التسليم لكم بهذا التنبؤ ٠٠ ؟ !

فان قلتم ان الانجيل اسبق ليصح لكم هذا التنبؤ ٠ كنتم كمن يقول الأرض « فوق » والسماء « تحت » ومصير القائل بهذا معلوم ؟ ! وان قلتم ــ ولابد أنكم قائلون ــ ان عيسى ــ عليه السلام ــ اسبق فان دعوى تنبؤ الانجيل بولادته ، تظل أكذوبة الأكاذيب ٠٠ ؟ !

وما دام عيسى عليه السلام كان أسبق وجودا من الانجيل فحديث الانجيل عن ولادته انما هو تسجيل لحادث وقع كما تسجل « الوثائق التاريخية » وقائع التاريخ ولا مفر من هذا القول لانه هو التعبير الحق المشار اليه ٠

واذا وصلنا الى هذه « الدرجة » فاننا نقول لكم :

ان القرآن الحكيم قد سجل حادث ولادة عيسى عليه السلام باعتباره حدثا عجيبا فيه لله معجزة ٠ فهو لم يقصر فى هذا الشأن ٠

فعلى اى وجه اذن التفرقة بين القرآن والانجيل ــ هنا ــ بأنه احدهما تنبأ بها « الانجيل » ولذلك فــان المسيحيين يتقبلونه ٠ ولكنهم لا يقبلون القرآن ٠

أليس فى هذا ظلم منكم للقرآن وهو لكم منصف أمين ؟ !

الناحية الفكرية :

وكانت الناحية الفكرية ــ على حد تعبير الوثيقة ــ هى الخطوة الثانية فى الهجوم على رسول الاسلام ٠ يقول واضعو الوثيقة فى وصف رسول الاسلام « نجد أنه بفعل ولادته كسائر البشر ورث محمد من البشر طبيعتهم الآثمة ٠٠٠ أما عيسى فكون ولادته معجزة فلابد وأنه ورث طبيعة طــاهرة لا غبار عليها ٠٠٠ » ٠

ومن الغريب أن واضعى الوثيقة مع زعمهم بأن رسول الاسلام لم ينزل عليه وحى بل هو ادعى ذلك ادعاء ٠ مع هذا فانهم عمدوا الى آيات من القرآن الحكيم حملوها ــ ظلما وحقدا ــ على ذم رسول الاسلام ؟ ! وآيات أخرى منه حملوها ــ تعصبا وجهلا ــ على مدح عيسى عليه السلام باعتباره فوق كل الأنبيــــاء والرسل ٠ وتلك هى المغالاة فى الدين التى نصحهم القرآن ، بل نهاهم عنها كما تقدم فى سورة النساء فلم يسلم رسول السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل : وتلك المغالاة فى الدين التى من الرسل فى هذه الوثيقة من النقد والتجريح والطعن وقبل ذلك ما تقدم فى كتاب « الاستحالة (١) » وما له عندهم من سبب سوى أنهم مولودون من بشرين آبــــاء وأمهات ٠ أما عيسى فلانه مولود من أم بلا أب فهــو سيد الجميع عند واضعى الوثيقة ٠

---

(١) أنظر (ص ٤) من هذه المواجهة ٠

واذا أسلمنا لهم — جدلا — بأن أساس الولادة عن البشر عار يذم من اجله أنبيـاء الله ورسله ٠ فان لعيسى عليه السلام — فرضا — نصيب من ذلك الذم — لا محالة — لانه ولد من أم بشرية ٠ واذا استحق محمد صلى الله عليه وسلم ، أو اى رسول آخر سوى عيسى عليه السلام ١٠٠٪ من الذم لانه مولود من بشرين ٠ فان عيسى عليه السلام — اعمالا — لهذا المبدأ الغريب — ٥٠٪ من الذم على الأقل ٠٠ ؟ !

ومن هذا يبدو لنا واضحا مدى تجنى واضعى الوثيقة على أنبيـاء الله ورسله — جميعا — اذ يلزم من هذا المقياس ذمهم جميعا بلا استثناء أحـد منهم ، مع التفاوت — طبعا — بين انصباء الذم ، بين الـ ١٠٠٪ والـ ٥٠٪ على الفرض الذى قدمناه ٠٠ ؟! لان من لم يكن له أب منهم فله بالقطع أم ٠٠ ؟!

فهل أدرك واضعوا الوثيقة شناعة هذه « المقولة » وما يترتب عليهامن الاطاحة برسل الله جميعا ورميهم بالنقص ، وهم المصطفون الأخيار ٠

وعودة الى المعجزات :

وتعود الوثيقة الى المقارنة بين الرسولين محمد بن الله وعيسى ابن مريم صلى الله عليها وسلم : من حيث المعجزات ٠ ويقولون : ان عيسى عليه السلام قام بالمعجزات فى حين أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) عجز عن ذلك ٠٠ ؟! ثم يردفون : صحيح أن المسلمين يقولون انه قسم القمر نصفين ، وعـدة معجزات أخرى ، ولكننا بالتعمق والدراسة نكتشف أن قصص هـذه المعجزات كتبت بعد مضى قرون (١) من وفاة الرسول محمد ٠٠ ؟ !

وهنا يفتح القوم بابا على أنفسهم لا يستطيعون ايصـاده : فليسمعوا اذن ما نقول ، وان كان عندهم من علم فليخرجوه لنا :

يا قوم اننا لن نثير معكم موضوع المعجزات المادية التى وقعت لمحمد صلى الله عليه وسلم ٠ وانما نقول لكم :

ان محمدا الذى تدعون انه لم يقم بمعجزات قط ٠ مع ان عيسى عليه السلام قام بعدة معجزات :

فأرونا اذن اين هى معجزات عيسى الآن ٠٠ ؟ صحيح ان من معجزاته — كما يقول القرآن الأمين — أحياء الموتى ٠ فأين هم الموتى الذين احياهم عيسى ؟! انهم ماتوا مرة أخرى ٠٠ ؟!

---

(١) هذا طعن خفى فى القرآن لمجىء هذه الحقائق فيه ، فكأنهم يقولون ان القرآن نفسه قد كتب بعد وفاته عليه السلام بعدة قرون ٠٠ ؟!

وصحيح انه كان يبرىء الاكمه والأبرص باذن ربه . فأين هم الذين شفاهم عيسى عليه السلام من امراضهم .. ؟! لقد ذهبـــوا ـ جميعا ـ الى الأرض التى منها خلقوا . وكان الموت هـــو مرض الأمراض أو جهيزة التى قطعت قول كل خطيب :

وما يقال فى معجزات عيسى ، يقال فى معجزات سائر الانبياء والرسل . الم يلتئم البحر الذى فلقه موسى بعصاه فى نفس اليوم الذى انفلق فيه . أو لم تخمد نار ابراهيم التى جعلها الله عليه بردا وسلاما .. أو لم ينحسر الطوفان الذى غمر الأرض كلها تصديقا لدعاء نوح .. أو لم .. أو لم .. أو لم .. ؟!

ومعجزات محمد عليه السلام التى هى من هذا النوع ومنها انشقاق القمر كما تقولون ، سنسدل الستار عنها وكأنها لم تكن . لان هذه المعجزات جميعا ادت المراد منها فى حينها وعند مشاهديها أو معاصرى مشـــاهديها لان الخبر بها اذ ذاك بلغ حد التواتر : ثم أصبحت ـ بعد ـ خبرا من الأخبار . يصدق بها من يؤمن بالله صانعها لانه يثبت له قدرة لا تعجز . ويتشكك فيها أو ينكرها من خلا قلبه من الايمان أو ضعف ايمانه فى قلبه . امـــا استمرارها أو اعادتها فهو فى علم الله محظور محظور لان الله لا يجريهـــا الا على يد رسول ، وقد انتهى عصر الرسالات .. ؟!

ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم ، يتكلم وقد سكتت الرسل . وتبقى له معجزة المعجزات ، وقد ذهبت كل المعجزات .

ان معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الباقية الخالدة خلود رسالته وخلود السموات والأرض هى : القرآن العظيم : المتلوة بكل لســـان المحفوظة فى الصدور . التى لم ينل من الدهر ، جديدة دائما ، ظاهرة دائما يشهد لها بالفضل الأعداء قبل الأصدقاء . والمخالفون قبل الموافقين . أعجازها يدرك من بنائها وتركيبها ، ومعانيها وهدايتها ، واتساقها مع الفطر السليمة وموافقتها لمعطيات المعارف والعلوم ، وشرحها لمظاهر الكون ، وتقريرهـــا لنواميس الحياة . تغدو وتروح فى سمو وشموخ كالشمس أو هى أثبت ظهورا لان الشمس تشرق وتغرب وهى مشرقة ابدا لا غروب لها . سامية فوق كل نقد ، مهيمنة فوق كل بيان .

قصت القصص فصدقت . وارشدت الى الحق فأصابت ، وقررت فأحكمت ، وأشارت الى حقائق العلوم فوافقت . وها هى ذى تتحـــدى العصور والدهور فلا يزداد الفاقهون لها الا يقينا ، ولا الباحثون فيهـــا

الا ثقة · لغتها كل عصر ، وهداها هدى كل جنال ، تتألق بالحق ويتألق الحق بها : تقنع العقول · وتمتع العواطف · وتغذى الوجدان ، وتحفظ للانسانية وصيدها الضخم من هداية السماء حيث لا أمين عليها غيرها ولا حارس لها سواها ·

تلك هي معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الباقية ما بقى الدهر · فأرونا معجزة لرسول بقت بعد انتهاء دوره على الأرض ، صالحة للفحص والدرس « الحضورى » ·· انه لا سبيل الى ذلك اذا كان الرسول غير محمد · اما ان كان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فنقول نعم اننا جاهزون · وتلك هي معجزته الصالحة للفحص والدرس الحضورى فأفحصوها وادرسوها ، فان كان الهدف هو الوصول الى الحقيقةالمجردة · فستروا فيها — بعد الفحص والدراسة الحضورية — محمدا الرسالة والرسول ·· ؟!

وشهد شاهد من أهلها :

فان قلتم ان لنا بازاء القرآن كتابا مقدسا ؟ قلنا لكم ·· لا ·· دعواأمر هذا الكتاب المقدس فانكم اول من تشكك فيه واتهمه بالزيادة والنقص وروايات الخيال والهوى والتناقض والتنافر ومجافاته للحقائق الايمانية والعقلية ·

وقد بدأ هذا الشك أو التشكك لديكم فى الكتاب المقدس منذ عهد الأب أوغسطين فى عصر ضارب فى القدم ، فكان عند مطالعته لتوراة يصطدم ببعض المشكلات النصية فيحتال على تبرير بعضها ، ويرجع ما لا حيلة فيه الى سبب انسانى (١) وحين تقدمت المعارف الانسانية،وكونت الثقافة العقلية مزاجا فكريا عنيدا لدى بعض المثقفين الانجيليين واصطدموا بما تقرره بعض نصوص الانجيل من حقائق تأباها حقائق العلم الحديث أدرك بعض الآباء خطورة هذه المشكلة ، ومنهم الأب روجى — والنقل هنا من كتاب « دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة — والأب روجى قد نصب نفسه للرد على قراءة الانجيل·ولكنه حتى مع تلك المحاولات من جانبه ، فانه يعترف كما يقول الأستاذ موريس بوكاى — ان فى الاناجيل نصوصا مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعبثية أو فاضحة » (٢) ·

ويقرران معا : الأب روجى وموريس بوكاى · ان القراءة الكاملة لنصوص الأناجيل قادرة على اثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين » (٣) ·

---

(١) ننقل هذه الحقائق من كتاب « الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة » تأليف الاستاذ موريس بوكاى الفرنسى الأصل · (طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٧ · مترجمة الى اللغة العربية ·

(٢) نفس المصدر ص ٦٥ ·　　　　(٣) نفس الموضع ·

ويقول الاستاذ موريس ، وهو ما يزال على عقيدته النصرانية ، انـه في دراسته الثانوية في مدرسة كاثوليكية لم يكن يسمح لهم الا بقراءة مقاطع مختارة من الاناجيل ، وانه بعد الوقوف على خطورة المشكلات التى تترتب على قراءة النصوص الكاملة للاناجيل ، ادرك السر في عدم اعطاء مدرسيهم لهم واجبات ترجمة من الكتب المقدسة المسيحية • والسر كما يفصح عنـــه الأستاذ موريس هو أن تلك الكتب كان يمكن أن تقود الطلاب الى طرح أسئلة على اساتذتهم يكون الرد عليها محرجا (١) •• ؟!

وينقل الأستاذ موريس رأى الأب كانينجر الذى يقول فيه : لم يعد واجبا الأخذ بحرفية الاحداث الواردة فى الأناجيل عن السيد المسيح ، فهى كتابات « ظرفية » أو « خصامية » (٢) ؟!

ويقول : ا • كولمان فى كتابه « العهد الجديد » فى نهاية حديث طويل انهاه بقوله :

« ان تجميع اقوال المسيح وربط الروايات بصيغ اسلوبية غامضة مثل : وبعد هذا ، وما ان الخ • وبالاختصار اطار الاناجيل المتوافقة كل هـــذا ادبى الطابع وليس له اساس تاريخى » (٣) •

ويوازن الاستاذ موريس بوكاى بين وجهة النظر عند هؤلاء الكتاب : روجى وكولمان ، وكانينجر وغيرهم فى الاعتراف بهذا التناقض الذى تحفل به الاناجيل وبين وجهة نظر المجمع المسكونى للفاتيكان الثـــانى فى دستوره العقائدى عن التنزيل ، والذى اعد فيما بين عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ م وقد جاء فيه :

« ان كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين ان هذه الأناجيل الأربعة (٤) التى تؤكد تاريخيتها دون أى تردد • تنقل بشكل أمين فعلا اقوال وافعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى والى أن رفع الى السماء ••• » (٥) •

فالكنيسة ــ اذن ــ تختلف جذريا مع اولئك الكتاب ولكن الاســـتاذ موريس ينتصر لرأى الكتاب فيقول :

« اذا نظر القارىء الى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظـــر الخاصة بجامعى التراث الشفهى (٦) المنتمى الى مختلف الجماعات • واذا

---

(١) المصدر نفسه (٦٥)   (٢) المصدر نفسه ص٦٨   (٣) المصدر نفسه ص٧٧
(٤) متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا •   (٥) نفس المصدر ص ٧٩
(٦) اشارة الى أن الأناجيل كتبت عن الرواية الشفهية بعد المسيح بزمن •

نظر اليها القارىء على انها كتابات ظرفية او خصامية (١) ، فانه لن يدهش عندما يجد فى الاناجيل كل هذه العيوب التى هى علامة صنع الانسان فى مثل هذه الظروف (٢) » ٠

أمثلة من الواقع :

وكفانا ما تقـــدم من أقوال فى الوصف العــام للاناجيــل ، مدحا أو قدحا فان الذين تشككوا أن يكون ما فى الانجيل « الهيـــا » أو حقيقة واقعة حملهم على ذلك التشكك وقائع وقفوا عليها فى الاناجيل أنفسها ونحن نذكر منها ما قالوه هم ولا نضيف شيئا اليه ، لان هدفنا هنا أن نبين آراءهم هم فى كتابهم المقدس ٠

ويأتى على رأس تلك « المحيرات » مســألة نسب المسيح ٠ ويتنبـــه الاستاذ موريس الى حقيقة يشترك فيها كل مطلع على انجيلى متى ولوقا ٠ ذلك انهما اهتما ببيان نسب المسيح ٠ فنجد لوقا يبتــدىء النسب من آدم حتى يصل به الى يوسف النجار عشير مريم ٠

ومتى يبتدى النسب من ابراهيم ويصل به الى يوسف النجار أيضا ٠ واذا أغمضنا النظر عن الاختلافات الجوهرية فى شجرتى النسب عند متى ولوقا فان هناك مشكلة صعبة الحل جدا وهى :

ان عيسى عليه الســـلام ولد من أم « مريم » بدون وســـاطة لقـاح أب فكيف اذن يستساع أو يقبل أن يلصق نسب السيد المسيح برجـــل لم يعاشر أمــه معاشرة زوجية قط ٠ انها مشكلة صعبة وحاشى أن يكون المسيح هو ممل هـــذه الشجرة لاى منهما فيدعى لنفســه أبا ليس هـــو أبــاه وليس له بأمــه علاقة يكون ثمرتها هــذا النسب ٠

ويقول الأستاذ موريس تعليقا على هذا :

« تطرح شجرتا النسب اللتــان يحتوى عليهما انجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية والصحة ٠٠ هى مشاكل تحرج جــدا المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجــلاء نتاج للخيال الانسانى ٠٠٠ وبادىء ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهــة الرجـال معدوم

---

١ ــ معنى الظرفية والخصومية هنــا : الاهواء التى كانت تسيطر على مشاعر محررى الاناجيل ٠

٢ ــ دراسة الكتب المقدسة : المرجع السابق ص ٧٩ ٠

المعنى فيما يتعلق بالمسيح • ولو كان من الضرورى اعطـاء المسيح نسبا وهو وحيـد أمـه وليس له أب بيولوجى • فيجب أن يكون ذلك النسب من جهـة مريم فقط » (١) •

ولا نطيل بالقارىء ونكتفى بالرأى الـذى انتهى اليه الاستاذ موريس بوكاى فى نهـاية نقده لموضوع نسب المسيح فى انجيلى متى ولوقا • واليك عبارته ذات الدلالة العميقة التى انهى بها نقده •

« لا شك أن نسب المسيح فى الاناجيـل موضوع قـد دفع المعلقين المسيحيين الى بهلوانيات جـدلية تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقـا ومتى » (٢) •

ويستعرض الاستاذ موريس بعـد هـذا آراء الكتـاب المسيحيين فى وجود الخيال والاختلاط والفوضى وعـدم المعقولية فى روايات الاناجيل وخاصة فى الظواهر الآتية :

١ ـ روايات آلام المسيح • ٢ ـ ظهور المسيح بعد قيامته •

٣ ـ صعود المسيح • ٤ ـ أحاديث المسيح الاخيرة •

وأورد فى خاتمة هـذا الفصل قوله :

« •• فخيالات متى » والتناقضات الصارخة بين الاناجيل ، والأمور غير المعقولة ، وعـدم التوافق مع معطيات العـلم الحديث ، والتحريفات المتوالية للنصوص • كل هـذا يجعل الاناجيل تحتوى على اصحاحـات وفقرات تنبع من الخيال الانسـانى وحـده • لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجـود رسالة المسيح • فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها » (٣) •

وأقول • ان ما يقرره الاستاذ موريس هنـا يتفق تماما مع عقيدة المسلم الـذى لم يقل فى الانجيل الا ما يقوله الاستاذ موريس وأمثاله • وبهـذا يتضح أن المسلم لم يتهجم على الانجيل وانما يضـعه فى نفس الموضع الذى يضعه فيـه المتدلون المنصفون من أبنائه وشيعته •

---

١ ـ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (ص ١٠٥) •
٢ ـ نفس المصدر ص (١١٦) •
٣ ـ نفس المصدر (ص ١٣١) •

فالكتاب المقدس عند هؤلاء أشبه ما يكون بعمل ملحمى روائى . تدور الصورة المجسمة فيه حول حادثة وقعت بالفعل ، ثم نماها العمل الملحمى الروائى واستولدها كثيرا من الوقائع والاحداث ، بل هى شبيهة عندهم بملحمة رولان قائد جيش شارلمان الذى كانت مهمته حماية حدوده ضد الشعوب المجاورة . لأن بين الحادثة ـ كما وقعت فى الحقيقة ، وبينها كما يصورها العمل الروائى بونا شاسعا . فهى واقعة صحيحة وضخامة الرواية التى اخرجتها لا يمحو وقوع الحادثة (١) .

ورسالة عيسى عليه السلام واقعة حقيقية لا يرتاب فيها مؤمن ، ولكن كتاب الاناجيل اضافوا حولها الكثير مما لا تثبت صحته امام معطيات المعرفة الحديثة والعقل الفاحص .

وشهد شاهد من غير اهله :

لقد نقلنا فى ايجاز بالغ ـ بعض صور النقد الموضوعى الذى أبداه الاستاذ موريس بوكاى حول وقائع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، كما نقل ما انتهى عليه الرأى عند بعض الكتاب المسيحيين الغربيين ، وما أثر عن بعض آباء المسيحية القدامى مثل الأب أوغسطين عرضنا كل ذلك فى ايجاز شديد وأمانة خالصة . بل اننا قررنا أننا لا نرى فى الكتاب المقدس أكثر مما يراه فيه هؤلاء المعتدلون . والآن فلنعرض فى ايجاز وأمانة أيضا شهادة الاستاذ موريس بوكاى للقرآن . وهى شهادة عادلة ومخلصة ماكنا نطمع فيها من مثله ، و نما يبدو أن الرجل باحث مجرد من كل هوى : ولهذا فان شهادة فى الموصفين اتسمت بالاعتدال الرائع . واليكم البيان :

صحة النص القرآنى وسموه على كل نقد :

من الامور الهامة التى طرقها الاستاذ موريس بوكاى فى كتابه العظيم هو ثبات صحة النص القرآنى سندا ومعنى . وفى ذلك يقول :

« صحة القرآن التى لا تقبل الجدل يعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد » (٢) .

---

(١) انظر نفس المصدر (ص ١٣١) .
(٢) دراسة الكتب المقدسة : (ص ١٥١) .

ـ يعنى التوراة والأنجيل ـ وقد تحدث باستفاضة عن طريق توفيق النص القرآنى فى مراحــل جمعه المختلفة ، وكونه كان محفوظا فى الصدور مكتوبا فى الالواح منذ لحظة نزوله حتى جمع فى المصحف الشريف .

ويثبت فى الصفحات الأولى من كتـــابه المذكور سلامة النص القرآنى من حيث معناه مقارنا بمعطيات العــلم الحديث ، فيقول بالحرف الواحد :

« لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أى فــكر مسبق ، وبموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ، ومعطيات العــلم الحديث . وكنت أعرف قبل هــذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، ان القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولــكن معرفتى كانت وجيزة . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى (١) استطعت أن أحقق قائمة ادركت بعــد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث » .

ثم يقول مقارنا هــذه الحقيقة ذات الدلالة الخاصة بما اسفرت عنه دراسته للكتاب المقدس بعهديه :

« وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهــد القديم والاناجيل ، أما بالنسبة للعهــد القديم فلم تكن هنــــاك حاجة للذهاب الى أبعد من الكتاب الأول أى ســـفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا » (٢) .

وبعد أن يورد على الانجيل مثلما أورد على التوراة آراه يقول :

« غير أن وجود هــذه الامور المتناقضة ، وتلــك التى لا يحتملهـــا التصديق ، وتلك الاخرى التى لا تتفق والعــلم ، لا يبدو لى أنهــا تستطيع أن تضعف الايمان بالله ولا تقع المسئولية فيهـــا الا على البشر ، ولا يستطيع أحــد أن يقول كيف كانت النصوص الاصلية ، ومــا نصيب الخيـــال والهوى فى عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبـــل كتبته هــذه النصوص ، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى ادخلت

---

(١) هذه العبارة تحتمل معنيين : أحدهما أن يقصــد المؤلف منها القرآن نفسه . والثانى أن يكون المراد منها الاطلاع على القرآن فى لغتــه العربية وليس عن طريق الترجمة .

(٢) نفس المصدر (ص ١٣) .

على الكتب المقدسة (١) وان ما يصـدمنا حقـا فى أيامنا هـذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض مـع الحقائق العلمية الثابتة » (٢) ٠

اتفاق المعارف الحديثة مع مقررات القرآن :

وينتقل الاستاذ موريس بوكاى الى ذكر أمثلة متعددة استقر عليهـا الوضع فى المعارف الحديثة والمعاصرة ، تتفق تماما مع مقررات القرآن فيها ٠ ونضع أمـام القارىء ثبتا مجردا لتلك الامثلة كما جـاءت فى الكتـاب المذكور ، ثم نختار منها واحـدا نذكره بالتفصيل منتهين الى ما انتهى اليـه الطبيب والباحث المجرد الموضوعى من نتائج رائعة ٠

أما الثبت المجرد لتلك الامثلة فهو على الوجه التالى :

خلق السموات والارض ـ علم الفلك فى القرآن ـ تأملات عـامة فى السـماء طبيعة الاجرام السماوية ـ البنيـة السماوية ـ تطور العـالم السماوى غزو الفضاء ـ الارض ـ آيات ذات مرمى عـام ـ دورة المـاء والبحر تضاريس الارض ـ الجو الارضى ـ عـالم النبات وعـالم الحيوان ـ أصـل الحياة ـ عالم النبات ـ عـالم الحيوان ـ التناسـل الانسانى ـ المـادة بعض المعلومات ـ التناسـل الانسـانى فى القرآن ـ القرآن والتربية الجنسية ـ طوفان نوح ـ خروج موسى من مصر ٠٠ »

هذه رءوس موضوعات تشير الى بحوث ممتعة ومقنعة جـدا ليس من الميسور ايجازها هنا ٠

معنى « أمشاج » فى القرآن الحكيم :

ذكر الاسـتاذ موريس بوكاى ضمن الآيات التى تتحدث عن « التناسل الانسانى » فى القرآن الحكيم قوله تعالى :

« انـا خلقنا الانسـان من نطفـة امشاج نبتليـه فجعلنـاه سـميعا بصيرا » (٣) ٠

---

١ ـ يقصد : التوراة والاناجيل وملحقاتهما ٠
٢ ـ نفس المصدر ص ١٤ ٠
٣ ـ الانسـان (٣) ٠

وتحدث عن معنى كلمة « امشاج » الواردة فى الآية الحكيمة • وبعد نقله لآراء العلماء الاقدمين فيها ، وهى محصورة فى اختلاط ماء الرجل بماء الأنثى ، بين ما توصل اليه العلم الحديث فى هذا الشأن • فقال :

« يتشكل السائل المنوى من افرازات مختلفة تأتى من الغدد التالية :

(أ) الخصبتان : يحتوى افراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية وهى خلايا مستطيلة مزودة بهدب طويل ، وتسبح فى سائل مصلى •

(ب) الحويصلات المنوية : تخزن هذه الاعضاء الحيوانات المنوية وتقع على مقربة من البروستاتا ، وتفرز افرازا خاصا •

(ج) البروستاتا : وتفرز سائلا يعطى للسائل المنوى قوامه الغليظ ، ورائحته الخاصة •

(د) الغدد الملحقة بالمسالك البولية ، وهى الغدد المعروفة باسم كوبر ، أو ميرى وتفرز سائلا جاريا ، وغدد ليترى وتفرز المخاط •

تلك هى اصول هذه « المخاليط » الامشاج التى يبدو فعلا ان القرآن يتحدث عنها » (١) •

ومعنى هذا أن العلم الحديث قد كشف عن المعنى الدقيق الذى أراده القرآن من كلمة « امشاج » ولهذا فان المعنى الذى وقف عنده القدماء وهو خلط ماء الرجل بماء المرأة يصبح متوازنا أمام حقائق العلم الحديث • فالنطفة هى وحدها « امشاج » سواء خلطت بماء المرأة أو لم تخلط • هذا هو الصحيح لأن الكلمة نفسها جاءت فى الآية وصفا لـ « نطفة » وليس وصفا لها بعد مزجها بماء المرأة فى الرحم :

مؤدى هذا التوافق بين العلم ومقررات القرآن :

وقد انتهى الاستاذ موريس بوكاى من هذه الدراسة التى أثبتت التوافق التام بين مقررات القرآن ومكتشفات العلم الحديث الى ما ينتهى اليه كل باحث موضوعى فى هذا الوحى الامين • وندع القارىء يسمع بنفسه ما يقوله هذا الباحث المنصف :

---

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩ •

« أن القرآن وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه ، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية ، وهى السمة البارزة فى مختلف صياغات الاناجيل ، بـل هـو يظهر أيضا ـ لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم ـ طابعه الخـاص ، وهو التوافق التام مـع المعطيات العلمية الحديثة : بل أكثر من ذلك ـ وكما أثبتنا ـ يكتشف القارىء فيه مقولات ذات طابع علمى من المستحيل أن انسانا فى عصر محمد صلىاللهعليهوسلم قـد استطاع أن يؤلفها • وعلى هـذا فالمعارف الحديثة تسمح بفهم بعض آيات القرآن التى كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن » (١) •

ثم يقول فى نفس الموضع :

« •• لذا فمن المشروع تماما أن ينظر الى القرآن على انه تعبير الوحى من اللـه وأن تعطى له مكانة خاصة جـدا حيث أن صحته أمر لا يمكن الشك فيـه وحيث أن احتواءه على المعطيـات العلمية المدروسـة فى عصرنا تبدو وكأنها تتحدى أى تفسير وضعى » •

هـذا قليل من كثير مما يصف بـه الباحثون الموضـوعيون من غير المسلمين القرآن الحكيم •

انه وحى لا شك فيـه ، سـام فوق كل نقـد ، حق لا باطـل فيه • فهـل يقال بعـد ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم منتحل للقرآن ، أو يقـال انـه لم يأت بمعجزات • وأى معجزة يتطلبها البشر تفوق معجزة القرآن المتعـددة الوظائف • المستمرة فى عطائها وهيمنتها فيما توحى بـه وتقرر • ذلكم هـو الحق فليراجع الذين يكفرون بهـذه الحقيقة انفسهم • وليعلموا أن نكرانهم لهـذا الحق الأبلج ليس بضائر محمدا صلى الله عليه وسلم • ولكن انفسهم يضرون •

موت محمد ، وحياة عيسى عليهما السلام :

هـذه هى الخطوة الرابعة والاخيرة فى سـلم التهجم على رسـول الاسلام عند واضعى وثيقة « أى الاثنين أقدر •• ؟ ! عيسى أم محمد ••؟! وبالرد عليها تكون قد انهينا واجبنا فى هـذه « المواجهة • للوثائق الثلاث التى تقدم التعريف بها فى المقدمة •

---

١ ـ نفس المصدر ص ٢٨٦ •

وهذه هى صورة الاتهام كما يصورها واضعوا الوثيقة فى قولهم .
« فقد مــات محمد كمثل بقية البشر ، فلقد ولـــد مثل البشر ، ومـــات مثل البشر .. وبعد مـوته دفن وفني جســده (!) مثـل أجساد بقيــة البشر .. » .

ثم يستشهد واضعوا الوثيقة على استمرار حيــاة عيسى عليه السلام بالآيات الآتية :

« يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى .. » (١) وقوله تعــالى حكاية عن عيسى عليه السلام :

« والسلام على يوم ولــدت ويوم أمــوت ويوم أبعث حيــا » (٢) وقوله تعــالى حكاية عن عيسى أيضا :

« وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلمـــا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » (٣) .

وقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شــبه لهم » (٤) ــ « بــل رفعـه الله اليه » .

ومن الغريب حقــا ان واضعى الوثيقة يعتبرون الموت احـدى صور العقـاب الواقع من الله على الآثمين (! ؟)

ودفعا لهـــذا كله نقول فى ايجاز .

اننـــا لا نمارى فى مــوت كل مخلوق بلا استثناء أحـــد « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » (٥) .

فرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مــات . اى نعم ، مات كما مات من قبل رسل الله . ولكن موت محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن عقابا وقع عليــه من اللــه لأنه آثم (!) بـل لأن هـذه هى سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وعيسى أمـات أم هـو مازال حيــا ؟ ! ونشطر الحديث هنــا ثلاث شطرات بحسب الاديان السماوية الثلاثة المعروفة الآن : اليهودية ــ المسيحية الاســلام .

---

(١) آل عمران (٥٥) .
(٢) مريم (٣٣) .
(٣) المائدة (١١٧) .
(٤) النساء (١٥٧) .
(٥) الرحمن .

أما بالنسبة لليهودية فان اليهود لا يعترفون ـ قط ـ برجل اسمه عيسى أو المسيح أرسل اليهم من عند الله · لقد خلت كل وثائقهم الدينية من الاشارة اليه كما يعترف بذلك الفيلسوف اليهودى دلفنسون بل انه ليقول ان اليهود تعمدوا حذف ما يختص بعيسى عليه السلام من وثائقهم التاريخية حتى لا يسبب لهم ذكره مضايقات من اتباعه النصارى· ولهذا فان يوسف القائد خلا تاريخه من النص عليه ، وقد كتب تاريخ يوسف القائد عام ٧١ م (١) ·

اذن فمسألة حياة المسيح أو موته لا وجود لها فى الديانة اليهودية ·؟!

وأما النصرانية فاعتقادهم الجازم أن المسيح قتل وصلب بيد اليهود فهو اذن قد مات قتيلا مصلوبا · فاذا وازنا بين موت محمد صلى الله عليه وسلم ، وبين موت عيسى عليه السلام ـ كما يعتقد النصارى ـ ثم جاريناهم فى ان الموت عقاب فان شدة العقاب الواقعة على عيسى تفوق بأضعاف مضاعفة نوع العقاب الذى وقع على محمد صلى الله عليهما وسلم فكلاهما مات · وان كان الموت واحد فان الطرق المؤدية اليه مختلفة فعيسى ـ على عقيدتهم ـ مات مصلوبا قتيلا ـ أما محمد عليهما السلام فقد مات موتا عاديا ·

ان هذا الفرض يلزمهم بلا ريب اعمالا لمقياسهم الذى وضعوه أساسا فى المفاضلة ·

ولن يستطيعوا أن يقولوا ان عيسى لم يصلب ولم يقتل · لانهم لو قالوا هذا لما بقى لديهم من النصرانية شىء قط · فما النصرانية الا صلب وقتل ؟ !

واذا كان الواقع ـ لديهم ـ هو ذلك فعلام ـ اذن ـ يتخذون من موت رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ منفذا للطعن فيه · أسلب القوم عقولهم ؟ !

أم توهموا أن عقولنا هى المسلوبة ·· ؟ !

وأما الاسلام فان الامر فيه مختلف عن اليهودية والنصرانية معا فعيسى عليه السلام حدث له أمران : توفيه ورفع ، ولكن أيهما أسبق هنا يأتى الخلاف :

---

(١) أنظر قصص الأنبياء للاستاذ النجار ·

فرأى يقول ــ وهو الاصوب والذى تؤيده النصوص ــ أن اللـــه توفاه ثم رفعــه ·

ورأى يقول : انّ الله رفعــــه · وهـــل توفاه فور الرفع ، أم هـــو مازال حيــا لم يمت · وسوف يموت قبل البعث · رأيان فى هذا الرأى ·

ولكن تنصره النصوص هـــو أن الله توفى عيسى ثم رفعـــه · لقوله تعــالى : « متوفيك ورافعك الى » ·

والواو وان كانت لمجرد العطف فاحتمال الترتيب فيها بين متعاطفيها احدى دلالاتها : ويقوى ارادة الترتيب هنا قوله تعالى حكاية عن عيسى عليــه السلام ، « كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلمـــا توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » ولو كان الرفع هـــو الذى حدث بلا وفاة لمـــا صح قوله : « فلما توفيتنى » بـــل لقال : « فلما رفعتنى » وهـــذا لم يحدث فيدل على أن الموت كان هو الاسبق من الرفع (١) ·

اما مسألة ادعـــاء النصارى ــ كما يعبر عنها واضعوا الوثيقة بـأن المسيح قام بعد ثلاثة أيام من قتله وصلبه · فهـــذا مدفوع باحـــدى الآيات التى ارتضوها شاهدا لهم على ما يقولون وهى « السلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيــا » ·

وما دام واضعوا الوثيقة قـــد ارتضوا هـــذه الآية شاهدا فليسمعوا دلالتها اذ هى تهدم كل ما بنوه من أصـــل عقيدتهم : وهى :

ان المسيح قتل وصلب فداء للبشرية ، ثم قام من قبره فجر الاحـــد وهو اليوم الثالث لقتله وصلبه · ومن هـــذا أخذ النصارى شـــارة الصليب ، وعيد القيامة المجيد ·

ونحن نقول لهم ان هـــذه الآية تنفى ان يكون المسيح قـــد قام من قبره على التسليم لكم بأنه قـــد قتـل وصلب ، لانهـا تفيد أن للمسيح يوم ميلاد واحد ويوم موت واحد ، ويوم بعث واحد ، فليس له ميـــلادان ولا موتان ولا بعثان · وتأملوا معنـــا جيدا ·· يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا (٢) ·

---

(١) أطمع أن يكون هـــذا الفهم توجيها جديدا لهذه المسألة اذ لـم أره لأحـــد !

(٢) وأطمع أن يكون هذا من الجديد فى الحوار ــ كذلك ــ اذ لم ينبه عليه أحد ·

أما الآية الاخرى التى استشهدوا بها وهى قوله تعالى ! « وما قتلوه وما صلبوه » فما داموا هم قـــد ارتضوها شاهدا ـ كذلك ـ فليسمعوا دلالتها : وهى : لا صلب ولا قتل وقع على عيسى عليه السلام . بـــل نجـاه الله من ذلك كله ، ورفع عيسى فوق مكرهم وكيدهم .

وهاتان الآيتان ، هذه والتى تقدمتها دلالتهما هكذا :

« لا قتل ولا صلب ، ولا ميلادان ، ولا موتان ولا بعثـــان » فاذا رفضتم هـــذه « المنطيات » فما لنا معكم الا هـــذا القول .

وليس يصح فى الاذهـــان شىء   اذا احتاج النهار الى دليل ؟ !

علامات استفهام ... ؟؟؟

بدت لنا ، ونحن نمارس حقنا فى مواجهة هذه الوثائق الثلاث ، علامات استفهام من الاحرى ابرازها استكمالا لصور المواجهة نفسها وبعض هذه العلامات سنجيب عليه بأمانة ، أما البعض الآخر فسنكتفى بمجرد تصوره ، لاننا لا نملك الاجابة عليه ، أو نملكها ، ولكن بقاءه — هكذا — استفهاما — بلا جواب — هو الجواب نفسه ... ؟ !

وأولى علامات الاستفهام هذه ، هى :

كيف بدأت هذه الوثائق ؟ . وكيف انتهت .. ؟ !

والجواب :

● كان قصارى جهد الوثيقة الاولى أن تبرز أهم العقائد التى يخالف الاسلام فيها النصرانية ، ثم تقيم الدليل على صحتها بآيات من القرآن نفسه كعقيدة سلامة الكتاب المقدس من التحريف ، وعقيدة التثليث ، وألوهية عيسى عبد الله ورسوله . وقد مارست الوثيقة نوعا خفيا من التعريض برسول الاسلام ، وبعض العقائد الاسلامية التى ذهب الى التدليل على صحتها ؟ !

● ثم بدأت الوثيقة الثانية — كتاب الاستحالة — بنفس القضايا التى أثارها البابا فى مقاله . ولكنها عمقت ووسعت دوائر الحديث عنها . ثم أضافت اليها قضايا أخرى لم ترد فى المقال . وأكثرت من سوق النصوص الاسلامية قرآنا فى الاغلب ، وأحاديث شريفة ، وأقوالا لمفكرين اسلاميين ، وخاصة المفسرين ، ثم عمدت الى بعض صور العقائد والعبادات والمعاملات الاسلامية وادعت أنها تقوم على أساس « التثليث » النصرانى وقد سبقت مواجهتنا لهذه الادعاءات كلها فى مظانها .

وأبرز ما فى هذه الوثيقة التعريض برسول الاسلام ، وببعض خصائص الاسلام نفسه . وقد تكفلت بتجسيم شأن هذا التعريض الجداول التى عقدها مخرجو كتاب الاستحالة للمقارنة بين موسى ومحمد ، من جهة ، وعيسى ومحمد من جهة أخرى . عليهم صلوات الله وسلامه جميعا ، ثم المقارنة بين عقائد وتشريعات الاناجيل ، وبين خصائص الاسلام وتشريعاته . والمقارنة بين مواضع فى التوراة وأخرى فى القرآن الحكيم مدعين أن القرآن اقتبس تلك المواضع من التوراة ، ومواضع من الاناجيل وأخرى من القرآن بين القرآن والتوراة ، أو القرآن والاناجيل . ؟ !

على أن وجه التعريض ـ هنا ـ قد كان سافرا الى أبعد الحدود ، ولكنه مغلف بغشاء رقيق من الحيطة والتذاكى .

واذا كانت الوثيقة الأولى قد سبقت فى الترتيب الزمنى ، الوثيقة الثانية فان الوثيقة الثانية قد سبقت الوثيقة الثالثة فى الترتيب الزمنى أيضا .

● وأبرز ما فى الوثيقة الثالثة هو التعريض برسول الاسلام . وهو تعريض وقح بلغ من البذاءة حدا ملحوظا . وقد اشرنا الى اسس المقارنة الاربعة التى ابتكرتها هذه الوثيقة وادارت الامر عليها . وهذه المقارنات جميعا سواء ما ورد منها فى كتاب الاستحالة ، أو وثيقة أى الاثنين أقدر ؟ ! فان رسول الاسلام فيها هو « الخاسر » اذا كانت المقارنة بينه وبين موسى أو عيسى ، عليهم السلام . والقرآن هو « المدان » اذا كانت المقارنة بين القرآن والتوارة ، أو القرآن والاناجيل .. ؟ !

وبناء على هذا ـ وغيره ـ فان الوثائق الثلاث تبنت فكرة التعريض بالاسلام ورسوله . هادئة فى الاولى ـ صاخبة فى الثانية ، وقحة بذيئة فى الثالثة .. ؟ وهذا يسلمنا الى علامة الاستفهام الثانية . وهى :

ما أوجه التشابه ـ بعد ـ بين هذه الوثائق الثلاث .. ؟ !

والجواب :

ان أوجه التشابه بين هذه الوثائق الثلاث وثيقة ـ العرى . وأبرزها أنها تحاول نصرة « شىء » على حساب « شىء » آخر . وانها فى سبيل الوصول الى هذه « النصرة » عمدت على « سلاح » من أرادت خذلانه واستعملته لنصرة من ارادت نصرته . فما من وثيقة منها الا وعدت على نصوص القرآن الحكيم . فأخذت منها ما توهمت أنه « ناصرها » وتركت منها ما اعتقدت أنه « خاذلها » . بل أن فيها ـ جميعا ـ نصوصا وردت بعينها لم تخل منه وثيقة منها :

وهى حين عدت على تلك النصوص حرفت معانيها لتخضع لمرادها فى غير حياء أو ضبط . على أن الخط الفكرى هو الرابط الاظهر بين هذه الوثائق جميعا وان اختلفت **الاساليب الجزئية من وثيقة الى أخرى** مع ملاحظة ان الوثائق كلها ، يخيل اليك (1) أن واضعها واحد ظهر فى

---

(1) ونأمل أن يظل الامر فى دائرة التخيل .

أدوار مختلفة حسب خطة « المخرج » اذ أن الصراع فى الوثيقة الثالثة قــد بلغ حــد « الالتهاب » وقــد ساعد عليــه أنها لم توقع من أحــد معين • فهى « قذيفة » أطلقها مجهول متوار فى الظلام ، ولهـذا فانه استباح لنفســه ما لم تستبحه الوثيقتان الاولى والثانية لان مصدريهمــا معلومان ؟ !

أما علامة الاستفهام الثالثة والاخيرة فهى :

ولمـاذا الاسلام والمسلمون ؟ !

نعم • لماذا الاسلام والمسلمون • هل هم أشر من فى الارض ؟ لكى يعلن ضدهم الجهــاد المقــدس ، أو هــل هم ظلموا أحــدا فهو يثأر لنفســه ليقتص لها منهم قصاصا عادلا •• ؟ !

اما كان أولى بهذه الجهود أن توجــه لمحاربة الالحاد والفســاد المستشرى فى الارض ؟ ! أمــا كان أولى بهــا أن توجه لمحاربة الفقر ، والمرض ، والجهل وهى ميادين فسيحة لكل جهــد مبذول ، وعمــل مشــكور ؟ ! أكل من على الارض صــالح الا المسلمون فهم المفسدون • ؟ ! أكل النظم عادلة مستقيمة الا الاسلام فهو المعوج • ؟ !

لماذا هذا كله ضد الاسلام والمسلمين ، وهم يعترفون لغيرهم بأنهم أهل كتاب لهم حقوق لا تمس : وحرية اعتقــاد وعبادة لا تصــادر •أجزاء الاســلام على اعترافه هو التنكر له ، وعلى عدله هــو الظلم له ، وعلى تسامحه هو التعصب ضده •• ؟ !

ان كان لا بد للنصرانية أن تنمى اعداد متبعيها فهناك دول يبلغ سكانها الملايين كانوا نصــارى فألحدوا • فعلى جهود المبشرين ان توجــه اليهم لتعيدهم من الحادهم الى دين آبائهم ، وهو هدف ــ لو تحقق ــ فالكسب فيــه عظيم •

وهناك بقــاع فى الارض فيها من خلق اللــه الكثيرون ، يعيشــون هملا بلا عقيدة صحيحة فليولوا وجوههم شطرها ، ويحولوا ميدان التنافس اليها • ولو أنهم فعلوا لمــا لامهم أحــد • ؟ !

ان الذى لا نفهمه ، ولا نقبله أن نطلب حقــا نحن نقر « خصومنا » على مثله • ولا نرى لهم علينا الا المعاملة بالحسنى ، مادمنــا على وجــه الارض أحيــاء • تاركين سلطة الفصل فيما نختلف فيه لله وحــده • فهو وحده المختص به : ويوم يفصل » تجف الاقلام ، وتطوى الصحف ، ويقضى بينهم بالحق • وقيل الحمد لله رب العالمين •

الفهرس

الصفحة

رقم الايداع ١٩٨٠/٣٣٢٤

مواجهة صريحة



بين الإسلام وخصومه



د. عبد العظيم ابراهيم المطعني

توزيع
دار الأنصار
٨١ ش البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣١٥٨١